حى

كتاب الحريحى في التصوف
نسخ سنة ١٥

Uzuncarşılı

٣ يا جوط
١٧٦٢

Mikrofilm Arşivi
No 1620

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على حبيبه محمد سيد المرسلين
وعلى سائر عباد الله الصالحين وبعد اقسم
عليكم يا امير المومنين ويا خير المشفقين
علي وعلى سائر المسلمين بحضرة العزة جل وتعظم
وبحضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم
لان تنظروا في هذا الكتاب من اوله الى اخره
فان لم تحبوا النظر بانفسكم فامروا شخصا
بان يقراه عندكم وانتم تستمعون فان
فيه من الفوايد الدنيوية والاخروية
لحضرتكم العالية ولنفسي الضعيف البالية
ما لا يحصى ولا يستغني عنها الا
من اشترى دنياه بالاخرى وايضا

فان لم تستوفوا النظر في نسخة جميعها فقد يتولد الفضب في الناظر
فيكون قد اثار ورود ذلك ظلما على العبد الفقير وهو غير لايق بشانكم الكبير

كتاب الحريمي في التصوف

١

١٧٦٤

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان خلد الله ملكه وقفا صحيحا
لمن طالع واسترشد وانا الفقير السيد
الامجد حرره الحقير احمد شيخ زاده المفتش
باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الله وبحمده منتهى علمه العميم وسبحان الله العظيم
وبحمده مبلغ رضاه القسيم وملاء الميزان وزنة العرش العظيم
ونشكره شكرا يوافي نعمه ويكافي مزيده وان كان العجز منه
لا يفارق عبيده ومن معظم نعمه عنايته وارشاده وهدايته
الى دعوة النفس الطالحة الى الاعمال الصالحة بالايات الظاهرة
والبينات الباهرة ونصلي ونسلم على خير البرايا محمد المصطفى المرسل الى
الثقلين والمصلي الى القبلتين وعلى ساير الانبياء والمرسلين و
آلهم واصحابهم والتابعين بخير واحسان الى يوم الدين ثم ننظر في
قوله عز وجل كل نفس ذايقة الموت وقوله كل من عليها فان وقوله كل
شيء هالك الا وجهه وقوله فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة
راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية وما ادريك ماهيه
نار حامية وقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وقوله يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى
فاما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي الماوى واما من خاف

2

مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنه هي الماوى وقوله يا ايتها
النفس المطمينه ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى
وادخلي جنتي وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله الا يظن
اوليك انهم مبعوثون ليوم عظيم وقوله ثم لتسلن يوميذ عن النعيم وقوله
يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا يغرنكم الحياة الدنيا الى قوله من
اصحاب السعير وفي قول النبي صلعم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه
ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى
الا ما قدم من عمله وينظر اشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين
يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة رواه
البخاري ومسلم من روايه عدى ابن حاتم رض وقوله من كانت عنده مظلمة
لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ
لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيات اخيه
فطرحت عليه رواه البخاري من رواية ابى هريرة رض في كتاب الرقاق من
صحيحه بهذا اللفظ ويوضح معناه اللفظ الذى اورده في كتاب المظالم
وهو قوله صلعم من كانت له مظلمة لاخيه من عرضه او شيء فليتحلله

وفي حديث ابن عباس رض قال قال ابو بكر
يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود و
الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا
الشمس كورت رواه الترمذي في شمايل
المصطفى صلعم

منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح
اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيات
صاحبه فحمل عليه وفي حديث ابي ذر رض قال قال رسول الله صلعم
ان المكثرين هم المقلّون يوم القيامة الا من اعطاه الله خيرا فنفح
بيمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا رواه البخاري وحديث
ابي هريرة رض ان رسول الله صلعم قال اتدرون ما المفلس قالوا المفلس
فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيامة
بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا
وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته
فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه
ثم طرح في النار رواه مسلم قال المازري فيما نقله عنه القاضي عياض
في شرح مسلم يعني ان هذا حقيقة المفلس خاصة لانه في استعمال
الناس من قل ماله وعدمه حتى صار فلوسا وهذا امر ينقطع وقد
ينقلب به الحال ويرجوا الانجبار لحاله واذا بقيت له صحته وسلّم
له دينه لم يهلك في الدنيا ولا في الآخرة فاعلمهم ان حقيقة

المفلس

الفلس هو الهلاك التام والعدم المتصل المهلك مثل هذا الذي
كانت معه حسنات وللناس عليه تباعات فاخذوا حسناته
كما يؤخذ من الغريم ما في يده ثم لما لم يكن له حسنات طرحت عليه
سياتهم وطرح في النار وتم هلاكه وتابد فلسه وايس من فلاحه و
انجبار حاله الا ما يكون بعد مما يفضل الله به من اخراج المذنبين
وادخالهم الجنة بعد الامد الذي قدّره الله له في هذا البوار نعوذ بالله
من فلس الدنيا والاخرة وقد ردّت المبتدعة هذا الحديث وقالوا
يعارضه قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقد غلطوا في النظر و
التاويل وهذا انما عوقب بوزره وظلمه اخاه ولا حبط عمله كما احتجت
به المعتزلة لمذهبها لكنه سقطت حسناته لمّا قوبلت بسياته ومظالمه
وزادت عليها في الوزن واستوجب العقوبة بما زاد وكان ثواب حسناته
الساقطة في الوزن ثوابا للمظلوم على صبره ومحنته به وفضلا
زاده الله تعالى من عنده فانما عوقب بما اجترم وعلى وزره ولم يظلم
ولا اُخِذَ شيء من عمله ولا احبط الا بحكم الموازنة والمحاسبة ورجحان
السيّأت قال الله تعالى ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا

انفسهم فی جهنم خالدون فمعنی اخذ الحسنات وطرح السيات
نوع من العقوبات التی اعدها الله للظالمين وزيادة فی ثواب
المظلومين الصابرين لا انه مواخذ بذنب لم يعمله من ذنوب غيره
ولا احبطت حسناته لسياته ولا دفعت لغيره بل زيد للمظلوم
على اجره مثل ثواب حسنات ظالمه فضلا من الله تعالى هذا مذهب [هذا]
اهل السنة والجماعة وعليه يتأول ظاهر الحديث حتى لا يجد فيه
ملحد مطعنا ولا له به حجة انتهى اقول هذا حال من له حسنات
فان لم يكن له حسنات بل كان منهمكا فی السيآت فما حاله وفی قوله
[للاستفهام]
صلعم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار
فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فی الدنيا حتى اذا
هذبوا ونقوا اذن لهم فی دخول الجنة فوالذی نفس محمد بيده
اهدى بمنزله فی الجنة منه بمنزله كان فی الدنيا رواه البخاری
من رواية ابی سعيد الخدری رض وحديث ابی ذر رض قال قال رسول
الله صلعم انی ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء
وحق لها ان تاط والذی نفسی بيده ما فيها موضع اربعة اصابع

الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفراشات
ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله قال ابو ذر يا ليتنی كنت شجرة
تعضد رواه احمد وابن ماجه والترمذی وقال حديث حسن وقوله
صلعم لا عيش الا عيش الآخرة رواه البخاری من رواية ابن عباس رض
وفی قوله صلعم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من
هجر ما نهى الله عنه رواه الشيخان من رواية ابی هريرة رض وهذا لفظ
البخاری ولفظ مسلم قال ان رجلا سأل النبی صلعم ای المسلمين خير
قال من سلم المسلمون من لسانه ويده وغير ذلك من الايات والاخبار
والبينات فيظهر وجوب رعاية الشرع باتيان جميع الواجبات و
اجتناب جميع المحرمات ولا سيما الكباير الموبقات ثم هذا
يتعذر مع الامارة فی هذا الزمان لوجوه احدها انه لا يمكن
فی هذا الزمان اجراء الشرع فی السياسات خالصا عن شبهات
العرف بل عما يعلم صريحا مخالفته الشرع وسياتی بيان عدم
امكان ذلك فی اخر الكلام على الوجوه وما يتعلق بها ولا يمكن

الاعتذار في الآخرة بان ما فعلناه من عرف سلاطين الدنيا فانهم
مساكين في الآخرة والخشن السياسات العرفيه قتل النفوس بغير
حق شرعي قال الله سبحانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم
خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعدله عذابا عظيما ولذلك
شرع القصاص قال الله تعالى كتب عليكم القصاص في القتلى وعن
عبد الله بن مسعود رض قال قال رسول الله صلعم اول ما يقضى بين
الناس يوم القيامة في الدماء رواه البخاري ومسلم وعن ابن عمر رض
قال قال رسول الله صلعم لن يزال المومن في فسحة من دينه مالم يصب
دما حراما رواه البخاري وعن عبد الله بن مسعود رض قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله الا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني
والمارق لدينه التارك للجماعة رواه البخاري ومسلم وعن عبد الله بن
عمرو رض قال قال رسول الله صلعم من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة
وان ريحها توجد من مسيرة اربعين خريفا رواه البخاري وعن
ابي الدرداء رض يقول سمعت رسول الله صلعم يقول كل ذنب عسى الله

ان

ان يغفره الا من مات مشركا او مومن قتل مومنا متعمدا رواه ابو داود
وعن علي رض عن النبي صلعم قال المسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم
ادناهم ويرد عليهم اقصاهم وهم يد على من سواهم الا لا يقتل مسلم
بكافر ولا ذو عهد في عهده رواه ابو داود والنسائي ثم كل هذا في
مباشرة القتل بنفسه واما الاكراه على القتل والامر به فلا خلاف
في كونه اثما عظيما في كتب العلماء وانما اختلفوا في لزوم القصاص او الدية
والكفارة على المكره والمباشر وكذا الامر على تفصيل في ذلك ولعظم اثم
قتل النفس بغير حق شرعي قال الغزالي في اواخر الاقتصاد في الاعتقاد
في الكلام على الطوايف المبتدعة من اهل القبله الذي ينبغي ان يميل
اليه المحصل الاحتراز من التكفير ما وجد اليه سبيلا فان استباحة
الدماء والاموال من المصلين الى القبلة المصرحين بقول لا اله الا الله
محمد رسول الله خطاء والخطاء في ترك الف كافر في الحياة اهون من
الخطاء في سفك محجمة من دم وقد قال النبي صلعم امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها انتهى وهذا حديث رواه بهذا اللفظ ابو داود والترمذي

كما هو مبين

سوى قوله عصموا فانهما قالا منعوا وفي آخره وحسابهم على
الله وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ومعنى الحديث ثابت
في الصحيحين بعبارات وزيادات ولفظة العصمة قايمة فيها
والثاني ان مع الامارة لابد من اخذ الاموال بلا حق اما عدم البد منه
فلما سياتي في آخر الكلام على الوجوه وما يتعلق بها واما كونه بغير
حق فلاني امعنت في النظر في الاموال الماخوذة فوجدت بعضها
يؤخذ بلا اذن الشرع صرفا وبعضها مخلوطا بالمأذون فيه
فان اخذنا غير ما اذن فيه الشرع سواء كان صرفا او مخلوطا
استحققنا العذاب وان تركناه لم يمكن رعاية مصالح الامارة في
هذا الزمان وسمعت بعض الناس يزعم ان ما يغصب من الرعايا بعرف
الملوك دون الشرع حلال لانهم يرضون اعطاءه وهذا زعم فاسد
اذ غير مسلم رضاؤهم باعطائه كيف واهل زماننا لا يرضون اعطاء
ما وجب عليهم اعطاؤه شرعا في المعاملات ونحوها اذا خلوهم
وطبعهم فاين رضاؤهم باعطاء ما لم يجب فان ظهروا عدم الكراهة
في الاعطاء فهو لاعتيادهم بالابتلاء بذلك الخسران في مالهم

لما سياتي

وان

وان سلمنا رضاءهم لكنه لا يستلزم الحل بل هو حرام كما بغير الرضاء
لان رضاهم بذلك ليس برضاء حقيقة بل رضاء مع كراهة الباطن
فلا يفيد حل المال للآخذ كرضاء المشتري بالربا ولانه رضاء لدفع مال
لم يقع اذن الشرع في اخذه بل هو منهي عنه في الاخبار الواردة في الغصب
فلا يفيد الحل كالرضاء باعطاء مال الربا فانه لا يفيد الحل بلا نزاع
وكالرضا باعطاء المال في مقابلة فعل محرم كالزنا واللواطة فانه لا
يفيد الحل بلا خلاف وكالرضا بالرشوة وهي ان يبذل ما لا ليحق باطلا
او يبطل حقا اذ لا يفيد الرضاء بها حله بلا خلاف وليس بذل المال
للتكلم في جايز عند السلطان من الرشوة بل هو جعالة جايزة
نقله بدر الدين الزركشي في شرح جمع جوامع اصول الفقه والدين
عن ابي العاصم العبادي وغيره بل الحرمة فيما نحن فيه اعني في غصب
الاموال برضاء اصحابها اولى اذ ليس فيه شيء يقابل به بخلاف الربا
اذ يقابل بمال وان لم يساوه وبخلاف المال الماخوذ على الزنا واللواط
فانه يقابل باعطاء فعل وتمكينه وان كان محرما وبخلاف مال الرشوة
فانه مقابل باحقاق باطل او ابطال حق وان كان كل منهما محرما

ثم يجب علينا ان نردّ الاموال المأخوذة الى مالكيها ان بقيت وان نغرم
بدلها ان لم يبق او نستحلّ المستحق فنبريه ويجب ان نعلم المستحق ان
لم يعلم به وان نوصله اليه ان كان غايبا ان كنّا غصبناه منه هناك
فان مات سلمناه الى وارثه فان لم يكن وارث وانقطع خبره دفعناه
الى قاضٍ سيرته وديانته مرضيّة فان تعذّر تصدّقنا به على الفقراء
بنيّة الغرامة له ان وجدناه ذكره الغزالي وغيره قال الرافعي والنووي
وان كنّا معسرًا نوي الغرامة ان قدرنا فان متنا قبل القدرة فالمرجو من
فضل الله المغفرة قال الزركشي في الخادم وهذا لا اخلاف فيه كما
جزم به الانصاري تلميذ امام الحرمين في شرح الارشاد فقال و
امّا اذا احيل بينه وبين تسليم النفس او المال بمنع وحبس ظالم له وحدث
امر يصدّه عن التمكين سقط ذلك عنه وانّما يجب عليه العزم على
التسليم اذا امكن قال وهذا مما لا اخلاف فيه انتهى وخالفه النووي
فقال في زوايد الروضة هذا اذا لم يعص بالتزامه فان عصى به لم ينقطع
عنه المطالبة في الآخرة وقال ان ظاهر السنّة يقتضيه قال الزركشي وفيه
نظر واعلم ان هنا معنى آخر لا بد من التنبّه له فلعله يتمسّك به الظلمة

الجهلة

47

الجهلة في ارتكابهم الظلم وربما سمعت عن بعضهم ما يشعر به وهو
زعم ان الله تعالى لما كان ارحم الراحمين واكرم الاكرمين كما هو ثابت
في الكتاب والسنة واجماع الامة وبل هو من ضروريات الدين وقد
صح عن ابي هريرة رض قال سمعت رسول الله صلعم يقول ان الله تعالى
كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده
فوق العرش رواه البخاري ومسلم فهو سبحانه وتعالى ارحم واكرم
من ان يعذّب احدًا من المسلمين بذنب مطلقا بل اللايق بوفور رحمته
وعظم كرمه ان يسلّي المظلومين في الآخرة بما يتجاوزون به عن
إساءة الظالمين وقد روى ابن ماجه في سُننه عن عبد القاهر بن
السّري عن عبد الله بن كنانة بن العباس بن المرداس السلمي ان اباه اخبره
عن ابيه رض ان رسول الله صلعم دعا لامّته عشية عرفة بالمغفرة
فاجيب اني قد غفرت لهم ما خلا المظالم فانّي آخذ للمظلوم منه قال
اي رب ان شئت اعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب
عشيته فلما اصبح بالمزدلفة اعاد الدعاء فاجيب الى ما سال فضحك
رسول الله صلعم او قال تبسم فقال له ابو بكر وعمر بابي انت وامّي ان هذه

لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذي اضحكك اضحك الله
سنك قال ان عدو الله ابليس لما علم ان الله عز وجل قد استجاب
دعائي وغفر لامتي اخذ التراب فجعل يحثوه على راسه ويدعو
بالويل والثبور فاضحكني ما رأيت من جزعه وهذا الزعم فاسد فان
ظهور اثر رحمته تعالى في المظلومين اليق به سبحانه لانهم احرى كونهم
مظاهر لرحمته من الظالمين ثم حصول تسليهم بجزاء الظلمة بما كسبت
ايديهم اظهر من حصوله بزيادة حسناتهم مع رفاهية الخصوم المؤذين
لهم لان كلما يفرض من احسانه تعالى لتسلي المظلومين فالله تعالى كثيرا
ما يفعله مجانا في غير مقابلة شيء مع ان كل احد يرضى بنصيبه في الجنة
ولا يحسد على ما يزيد عليه نعم ان الله تعالى قادر على صرف قلوبهم الى
التسلي بذلك بل بدونه ايضا لكن الاظهر في هذا المحل خلافه ولا سيما
لم يثبت ما يفيد ذلك واما حديث سبق الرحمة على الغضب فقال
الغزالي في كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة اعلم ان اهل البصائر قد انكشف
لهم سبق الرحمة وشمولها باسباب ومكاشفات سوى ما سمعوه من الاخبار
والآثار ولكن ذكر ذلك يطول فابشر برحمة الله تعالى وبالنجاة المطلقة

ان

بل نزل آيات وثبت اخبار تفيد خلافه وعن
ابن عباس رضه ان رسول الله صلعم بعث معاذا
الى اليمن فقال اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها
وبين الله حجاب رواه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح وهو طرف من حديث طويل اخرجه
الجماعة الا مالكا صح

ان جمعت بين الايمان وبين العمل الصالح وبالهلاك المطلق ان
خلوت عنهما جميعا وان كنت صاحب يقين في اصل التصديق و
صاحب خطأ في بعض التأويلات او صاحب شك فيها او صاحب
خلط في الاعمال فلا تطمع في النجاة المطلقة واعلم انك بين ان
تعذب مدة ثم تخلا وبين ان يشفع فيك من تيقنت صدقه في جميع
ما جاء به يعني النبي صلعم قال وغيره فاجتهد ان يغنيك الله بفضله
عن شفاعة الشفعاء فان الامر في ذلك مخطر وقال النووي في شرح
مسلم في الكلام على الحديث المذكور غضب الله تعالى ورضاه يرجعان
الى اثابة المطيع وعقاب العاصي والمراد بالسبق هنا وبالغلبة في
رواية اخرى كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على فلان الكرم والشجاعة
اذا كثر منه وقال ابو محمد الطيبي في شرح مشكاة المصابيح وفي سبق
الرحمة بيان ان قسط الخلق منها اكثر من قسطهم من الغضب وانها تنالهم
من غير استحقاق وان الغضب لا ينالهم الا باستحقاق الا ترى انه
يشمل الانسان جنينا ورضيعا وفطيما وناشيا من غير ان يصدر
منهم طاعة استوجبوا بها ذلك ولا يلحقه الغضب الا بما يصدر

عنهم من المخالفات قال وسوعلي وذان قوله تعالى كتب على نفسه
الرحمة اى اوجب وعدا ان يرحمهم قطعا بخلاف ما يترتب عليه
الغضب من العقاب فان الله تعالى غفور كريم يتجاوز عنه بفضله انتهى
وبالجملة فالحديث وكذا الآية المذكورة ليس دليلاً تاماً لهذا الزعم واما
حديث مرداس السلمي فقال الذهبي في الميزان عبد الله بن كنانة بن العباس
بن مرداس السلمي عن ابيه عن جده في الدعاء عشية عرفة لامته وعنه
عبد القاهر بن السري وحده قال البخاري لم يصح حديثه انتهى وقال
الطيبي في شرح المشكاة قال الامام احمد البيهقي رح يعني بناء على ثبوت
الحديث يحتمل ان يكون الاجابة الى المغفرة بعد ان يذيقهم شيئاً من
العذاب دون الاستحقاق فيكون الخبر خاصّاً في وقت دون وقت
ويحتمل ان يكون الخبر خاصّاً في قوم دون قوم ثم من لا يغفر له يذيقه
من العذاب ما كسب وافياً ويحتمل ان يكون عامّاً ونصّ الكتاب يدل
على انه مفوّض الى مشيّة الله تعالى حيث قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فلا ينبغي لمسلم ان يغرّ نفسه فانّ المعصية شوم وخلاف الجبار في اوامره
ونواهيه عظيم واحدنا لا يصبر على حمى يوم او وجع ساعة فكيف يصبر

على

9

على عذاب اليم وعقاب شديد لا يعلم نهايته الا الله تعالى انتهى
وللمرجيه شبه كثيرة بيانها مع اجوبتها وكذا بيان ادله اهل الحق
على التفصيل مفوض الى فنه قال الشيخ الشريف تقي الدين ابو بكر
الحصني في قمع النفوس زعمت طايفة خبيثة يقال لها المرجية
انه يكفي الاتيان بالشهادتين فقط والقران مع الاجماع يرد عليهم
على ان سيد الاولين والاخرين اخبر عن هذه الطايفة الخبيثة
بانها مجوس هذه الامه وهي طايفه يحتوي على عقول الظلمة
واتباعهم ويحسنون لهم جميع انواع المحرمات المنصوص عليها
في الكتاب والسنة وما اجمع عليه الامة ولهم زيّ الفقهاء والصوفيه
وقد ذكرنا ما اخبر به رسول الله صلعم عنهم واياك ومخالفة
رسول الله صلعم فتهلك مع من هلك انتهى واعلم انه قد كثر في زماننا غلو
الجماعة المتصوفة في الدعاوى الكاذبة والباطله واضلالهم الناس و
خدعهم اياهم وجعلهم التصوف فخاً لصيد عصافير قلوبهم
الضعيفه وبعد ما صادوهم يخرجونهم عن ملة الاسلام بما يلقون اليهم
من كلمات الضلال ويسوقونهم الى طريق الانحلال قال الغزالي في كتاب

الفرقة بين الايمان والزندقه ما يدّعيه بعض من يدّعي التصوف انه
قد بلغ حاله بينه وبين الله تعالى سقطت عنه الصلاة وحل له
شرب المسكر والمعاصي واكل مال السلطان فلا شك في وجوب قتل
مدّعيه وان كان في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا افضل من
قتل مائة كافر اذ ضرره في الدين اعظم وينفتح به باب من الاباحة لا ينسدّ
وضرر هذا فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمتنع من الاصغا اليه
لظهور كفره اما هذا فيهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب فيه الا تخصيص عموم اذ خصص
عموم التكليفات بمن ليس له مثل درجته في الدين وربما يزعم انه يلابس الدنيا
والمعاصي بظاهره وهو بباطنه بريّ عنها ويتداعى هذا الى ان يدّعي كل فاسق مثل
حاله وينحل به عصام الشرع انتهى وقد توقف في تكفيره وغيره لم يتوقف
قال الفاضل سعد الدين التفتازاني ذهب بعض المباحيين الى ان العبد اذا بلغ غاية ‏في شرح العقايد صح
المحبة وصفا قلبه واختار الايمان على الكفر من غير نفاق يسقط عنه الامر والنهى
ولا يدخله الله النار بارتكاب الكباير وبعضهم الى انه يسقط عنه العبادات الظاهرة
ويكون عبادته التفكر وهذا كفر وضلال فان اكمل الناس في المحبة والايمان هم الانبياء
خصوصا حبيب الله صلعم مع ان التكاليف في حقهم اتم واكمل واما قوله صلعم اذا احب الله
عبدا لم يضره ذنبه فمعناه انه عصمه فلم يلحقه ضررها انتهى واثما نقلت عنه صح

لفوايد في كلامه والا فقد نص على كونه كفرا غير واحد من الايمة وفي
باب المظالم والغصب نزل قوله تعالى ولا تحسبنّ الله غافلا عما يعمل
الظالمون انما يؤخّرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي
روسهم لا يرتدّ اليهم طرفهم وافئدتهم هواء، وانذر الناس يوم ياتيهم
العذاب فيقول الذين ظلموا ربّنا اخّرنا الى اجل قريب نجب دعوتك
ونتبع الرسل الى قوله ان الله عزيز ذو انتقام وعن ابن عمر رض
ان النبي صلعم قال الظلم ظلمات يوم القيامة رواه البخاري ومسلم
وفي غصب مال اليتيم نزل قوله تعالى انّ الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما انمّا ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا و
يلحق بمال اليتيم ما في معناه ، وفي الغصب وَرَدَ ما رواه البخاري ومسلم
عن سعيد بن زيد رض قال قال رسول الله صلعم من اخذ شبرا من الارض
ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين وَمَا رواه مسلم
عن ابن عمر رض قال قال رسول الله صلعم لا يحلبنّ احد ماشية امرئ
بغير اذنه ايحب احدكم ان يؤتى مشربته فتكسر خزانته فينتقل
طعامه وانما يخزن لهم ضروع مواشيهم اطعمتهم فلا يحلبنّ احد

ماشية احدا الا باذنه وما رواه البخارى عن خولة الانصارية رض
قالت قال رسول الله صلعم ان رجالا يتخوضون فى مال الله بغير حق
فلهم النار يوم القيامة وما رواه الترمذى عن خولة بنت قيس رض
تقول سمعت رسول الله صلعم يقول ان هذا المال خضرة حلوة ما اصابه
بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاب به نفسه من مال
الله ليس له يوم القيامة الا النار قال الترمذى هذا حديث حسن
صحيح ويقرب منه حديث حكيم بن خزام رض قال سألت رسول
الله صلعم فاعطانى ثم سألته فاعطانى ثم قال لى يا حكيم
ان هذا المال خضر حلو فمن اخذه بسخاوة نفس بورك له
فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى
ياكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى رواه البخارى فى
كتاب الوصايا ورواه ايضا فى كتاب الرقاق بلفظ ثم قال هذا المال
خضرة حلوة فمن اخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن اخذه
باشراف الى آخر اللفظ السابق وفى الباب ما رواه الدارقطنى
فى سننه باسناده عن عمرو بن يثربى رض قال شهدت رسول الله

صلعم فى حجة الوداع بمنا فسمعته يقول لا يحل لامرئ من مال
اخيه شئ الا ما طابت به نفسه فقلت له يا رسول الله ارايت
ان لقيت غنم ابن عم لى فاخذت شاة فاجزرتها على فى ذلك شئ
فقال ان لقيتها تحمل شفرة وازنادا فلا تمسها قال جمال الدين
الزيلعى فى تخريج احاديث الهداية فى كتاب الغصب اسناده
جيد اى يحتج به ثم لا تحل نص فى التحريم واما قوله لا تمسها
وكذا قوله فى الحديث الذى قبله لا يحلبن فنهى وظاهر النهى التحريم
كما هو مبين فى الاصول وعن كعب بن عجرة رض عن النبى صلعم قال
لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار اولى به رواه الترمذى وقال حديث
حسن وروى الشيخ الامام نور الدين ابو الحسن على بن يوسف اللخمى رح
فى مناقب قطب العارفين الشيخ محى الدين ابى محمد عبد القادر
الجيلى رض باسناده عن الشيخ ابى العباس الخضر بن عبد الله قال
كنا ليلة فى مدرسة شيخنا الشيخ محى الدين عبد القادر الجيلى رض
بغداد فجاءنا الامام المستنجد بالله ابو المظفر يوسف رح واستو صاه
ووضع بين يديه مالا فى عشرة اكياس يحملها عشرة من الخدم

اى سكينا كبيرا
اى خشبات تقدح بها النار
قوله صلعم

فقال لا حاجة لي فيها فابى الا ان يقبلها والح فاخذ الشيخ كيسا
منها في يمينه واخر في يساره وعصرها بيديه فسالا دما فقال
له يا ابا المظفر اما تستحي من الله تعالى تاخذ دماء المسلمين و
تقابلني بها فغشي عليه فقال الشيخ وعزة المعبود لولا حرمة
اتصاله برسول الله صلعم لتركت الدم يجري الى منزله والثالث
انه لا يمكن مع الامارة التخلص عن التلوث بنجاسة الاثام بين العبد
والرب سبحانه وتعالى لعدم الخلاص عن الاختلاط بالمتلوثين
بها فانا لسنا متبحرين حتى لا نتاثر بتلك النجاسة كالبحر وقد قال
النبي صلعم حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره رواه
البخاري ومسلم من رواية ابي هريرة رض واللفظ للبخاري وفي
رواية لمسلم حفت بدل حجبت اي غطت بها وقد ورد ايضاح
ذلك من وجه اخر فاخرج ابو داود والترمذي والنسائي وابن
حبان من وجه اخر عن ابي هريرة رض عن النبي صلعم لما خلق قال
الله الجنة والنار ارسل جبريل الى الجنة فقال انظر اليها والى ما
اعدت لاهلها فيها قال فجاءها فنظر اليها والى ما اعد الله لاهلها

فيها

12

فيها قال فرجع اليه فقال فوعزتك لا يسمع بها احد الا دخلها فامر بها
فحفت بالمكاره فقال فارجع اليها فانظر ما اعدت لاهلها فيها قال
فرجع اليها فاذا هي قد حفت بالمكاره فرجع اليه فقال وعزتك لقد
خفت ان لا يدخلها احد قال اذهب الى النار فانظر اليها والى ما
اعدت لاهلها فيها فاذا هي يركب بعضها بعضا فرجع اليه فقال
وعزتك لا يسمع بها احد فيدخلها فامر بها فحفت بالشهوات فقال
ارجع اليها فرجع اليها فقال وعزتك لقد خشيت ان لا ينجو منها احد
الا دخلها قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فهذا تفسير العبارة
السابقة قال ابن حجر في شرح البخاري فان المراد بالمكاره هنا ما امر
المكلف بمجاهدة نفسه فيه فعلا وتركا كالاتيان بالعبادات على وجهها
والمحافظة عليها واجتناب المنهيات قولا وفعلا واطلق عليها مكاره
لمشقتها وصعوبتها على العامل ومن جملتها الصبر على المصيبة والتسليم
لامر الله والمراد بالشهوات ما يستلذ من امور الدنيا مما منع الشرع من
تعاطيه اما بالاصالة واما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المامورات
ويلتحق بذلك الشبهات والاكثار مما ابيح خشية ان يوقع في المحرم

فكانه قال لا يوصل الى الجنة الا بارتكاب المشقات المعبر عنها
بالمكروهات ولا الى النار الا بتعاطي الشهوات وهما محجوبتان فمن هتك
الحجاب اقتحم انتهى وعن ابي امامة رض ان رسول الله صلعم قال من شر الناس
منزلة يوم القيامة عبد اذهب آخرته بدنيا غيره رواه ابن ماجه ثم
الاصرار على الاثام مما قد يودي الى سوء الخاتمة والعياذ بالله من ذلك
فقد قال الغزالي رح في الاحياء في كتاب التوبة الذي ليس له الا شهادة التوحيد
والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوءة العين فاقد لجميع
اعضايه الظاهرة والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب
من ان يموت فيزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلفت عنها الاعضاء
التي تمدها وتقويها فكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر
في الاعمال قريب من ان ينقلع شجر ايمانه اذا اصدمته الرياح العاصفة
المحركة للايمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان
لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في الاعمال فروعه لم يثبت على
عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه
سوء الخاتمة الا بما سقي بماء الطاعات حتى رسخ وثبت وقول العاصي

للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر
انى شجرة وانت شجرة وما احسن جواب الشجرة اذا قالت ستعرف
اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك
ينقلع اصولك ويتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة
في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وسوف
ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار فهذا يظهر عند
الخاتمة والعاصي اذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب معصيته
كالصحيح المنهمك في الشهوات المضرة اذا كان لا يخاف الموت
بسبب صحته وان الموت غالبا لا يقع فجأة فيقال له الصحيح
يخاف المرض ثم اذا مرض يخاف سوء الخاتمة ثم اذا ختم له
بالسوء وجب الخلود في النار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة
بالابدان فلا يزال يجتمع في الباطن مضرة مزاج الاخلاط وهو لا
يشعر بها الى ان يفسد المزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة
فكذلك المعاصي فان كان الخايف من الهلاك في هذه الدنيا
المنقضية يجب عليه ترك السموم وما يضره من الماكولات

في كل حال وعلى الفور فالخايف من هلاك الابد اولى بان يجب
عليه ذلك ويرجع عنها بالتدارك الممكن ما دام بقي للتدارك
مهلة وهو العمر فان المخوف من هذا السم فوات الاخرة الباقية
التي فيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم
والعذاب المقيم اذ ليس لمدته آخر البته فالبدار البدار الى التوبة
قبل ان تعمل سموم الذنوب بروح الايمان عملا يجاوز الامر فيه
اختيار الاطباء ولا ينفع بعده الاحتماء ولا ينجع بعد ذلك
نصح الناصحين ووعظ الواعظين ويحق الكلمة عليه بانه من
الهالكين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا
ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم
اانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ولا يغرنك لفظ الايمان
فتقول المراد به الكافرون اذ بين ان الايمان بضع وسبعون بابا
اقول وهو في حديث ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم
الايمان بضع وسبعون شعبه فافضلها قول لا اله الا الله و

ادناها

ادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان
رواه البخاري ومسلم قال وان الزاني لا يزني وهو مومن
اقول وهو في حديث رواه البخاري ومسلم من رواية ابي هريرة رض
ايضا قال فالمحجوب عن الايمان الذي هو شعب وفروع سيحجب في
الخاتمة عن الايمان الذي هو اصل كما ان الشخص الفاقد لجميع
الاطراف التي هي فروع سيساق الى الموت المعدم للروح
الذي هو اصل فلا بقاء للاصل دون الفرع ولا وجود للفرع
دون الاصل ولا فرق بين الفرع والاصل الا في شيء واحد
وهو ان وجود الفرع وبقاءه جميعا يستدعي وجود
الاصل والاصل لا يستدعي وجود الفرع ولكن بقاوه
يستدعي وجود الفرع فبقاء الاصل بالفرع ووجود
الفرع بالاصل وقال في منهاج العابدين الاصرار على
الذنوب مما يسود القلوب فيجدها في ظلمه وقساوة لا خلوص
فيها ولا صفاوة ولا حلاوة ولا لذة انتهى وما ذكره ماخوذ
من حديث ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم ان المومن اذا

اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب واستغفر
صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران
الذي ذكر الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
رواه احمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح قال الغزالي وان لم يرحم الله تعالى فيجر صاحبها
الى الكفر والشقاوة وقال الشيخ تقي الدين الحصني في
قمع النفوس وربما يخاف على من كثرت مخالفته لاوامر الله
تعالى واوامر رسوله صلعم اذ امره من امره قال الله تعالى
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا اي ولقوله
وما ينطق عن الهوى سوء الخاتمة قال الله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم قال بعض العلماء الفتنة هي الكفر عافانا
الله تعالى بكرمه من ذلك فانه يوجب العذاب
الذي لا آخر له قال العلماء اذا كان الشخص في حال
صحته وكمال عقله وفهمه ما يقول ويقال له الشيطان

اخذ

اخذ بناصيته كيف شاء كيف يكون حاله معه
اذا تداعت الاسقام في جسمه وكثر صداعه
وزال عنه منعه ودفاعه يكون للشيطان
اطوع واطوع هذا مع تحرز الشيطان لاعوانه
الذين هم موكلون بمن يريد مفارقة دار الغرور
ويقول لهم ويحكم شدوا يدكم به في هذه
الحالة فانه اذا فاتكم لا تدركونه ابدا فياتونه
في صورة اب وام واخ وصديق وشيخ ومربي
لانهم يتطورون ثم يقولون له انما جئناك
في هذه الحالة خوفا من ان تلقى ربك على غير
الدين الذي لقيتنا عليه ويذكرون له دينا
غير دين الاسلام فان وافقهم والعياذ
بالله فقد هلك مع من هلك وان سلم منهم
بفضل الله وحلمه فقعد الشيطان الرجيم
يحثو على راسه التراب ويقول ويحكم كيف

فاتكم هذا وذكر الغزالي في المنهاج
ان علامه سواد القلب ان لا تجد للذنوب مفزعا
ولا للطاعة موقعا ولا للموعظه منجعا والرابع
ان الامارة والجاه تقتضي كثرة العلايق والاسباب
وذلك يشوش فراغ القلب قال الغزالي في كتاب
اداب السفر من كتب الاحياء والدين لا يتم الا
بقلب فارغ عن غير الله وان لم يتم فراغه فبقدر
فراغه يتصور ان يشتغل بالدين ولا يتصور فراغ
القلب عن مهمات الدنيا والحاجات الضروريه
ولكن يتصور تقليلها وتخفيفها وقد نجى المخفون
وهلك المثقلون وذلك لا يتيسر لمن اتسع جاهه وكثرت
علايقه فلا يتم مقصوده الا بالخمول ونحوه وقطع
العلايق التي له بدّ عنها حتى يروض نفسه بيده
ثم ربما يمدّه الله تعالى بمعونته فينعم
عليه بما يقوى به يقينه

ويطمين به قلبه فيستوى عنده حضور العلايق وغيبتها
ووجود الاسباب وعدمها فلا يصده شي منها عما هو بصدده
من ذكر الله وذلك مما يعز وجوده جدا بل الغالب على القلوب
الضعف والقصور عن الاتساع للخلق والخالق وانما يسعد
بقوة تقارب وجود الاسباب والعلايق وعدمها عند
النفس الانبياء والاولياء والوصول اليها بالكسب صعب
شديد اقول بل ذلك ممتنع عادة من زمان مديد وقال ايضا
في كتاب ذم الجاه والرياء من كتب الاحيا طلب الجاه اما ان
يكون بالعبادات او بغيرها فان كان الثاني فهو كطلب المال
فلا يحرم من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما
يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورة فكذلك الجاه
وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه الانسان محمود
فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الافات محمود وهو
الذي طلبه يوسف صلعم حيث قال اجعلني على خزاين الارض
اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم نافع وترياق نافع فكذلك

اي قايم ثابت

الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله والدار الاخرة
فكذلك كثير الجاه بل اشد ففتنة الجاه اعظم من فتنة
المال وكما انا لانقول تملك المال الكثير حرام فلانقول ايضا
تملك القلوب الكثيرة يعني كثرة الجاه حرام الا اذا حمله
كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لايجوز نعم انصراف
الهم الى سعة الجاه مبدأ الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال
ولايقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلوب و
اللسان وغيرهما واما سعة الجاه من غير حرص منك على
طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال لاضرر فيه فلا
جاه اوسع من جاه رسول الله صلعم وجاه الخلفاء الراشدين
ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه
نقصان في الدين ولايوصف بالتحريم انتهى اقول وهذا
اذا غلب عنده قدرته على اجتناب المعاصي معه واني
يتيسر ذلك في هذه الاعصار المتاخرة البعيدة جدا عن
زمان النبي صلعم واصحابه الراشدين وتابعيهم باحسان

والصلحاء وعلماء الدين الناصحين المذكرين لاهوال يوم
الدين المؤثرين بالذكر في قلوب ضعفاء الدين والقاصرين
اذ الغالب على الناس في هذه الازمان المتاخرة الضعف
والقصور عن ذلك وعدم الاهتمام به فانصراف الهم الى
طلب الجاه فضلا عن تحصيله والاتصاف به يوصف
بالتحريم فيها لامحالة وبالله التوفيق وقال ايضا في
كتابه المسمى بالمنقذ من الضلال وكان قد ظهر عندي انه
لامطمع في سعادة الاخرة الا بالتقوى وكف النفس
عن الهوى وان راس ذلك كله قطع علاقة الدنيا عن
القلب والتجافي عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك
لايتم الا بالاعراض عن الجاه والمال والهرب من الشواغل و
العلايق وقال الشيخ شهاب الدين ابو حفص عمر السهروردي
في العوارف لابد للمريد من الخروج من المال والجاه و
الخروج من الخلق بقطع النظر اليهم الى ان يحكم اساسه

فيعلم دقايق الهوى وخفايا شهوات النفس وانفع شئ للمريد
معرفة النفس ولا يقوم بواجب معرفة النفس من له في الدنيا
البا للتعدية
حاجة من طلب الفضول والزيادات او عليه من الهوى بقية
وقال وكل مبتدئ لا يحكم اساس بدايته بمهاجرة الألّاف
والاصدقاء والمعارف ويتمسك بالوحدة لا يستقر بدايته
وقال ولا ينبغي للمبتدي ان يعرف احدا من ارباب الدنيا فان
معرفته له سم قاتل وكذا قاله قبله القشيري في رسالته من
شان المريد التباعد عن ابناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب
لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله تعالى ولا تطع
من اغفلنا قلبه عن ذكرنا انتهى قال السهروردي وقد ورد
يعني في الخبر الدنيا مبغوضة الله من تمسك بحبل منها
قادته الى النار وما حبل من حبالها كابنائها والطالبين لها
خبر ما يعني هؤلاء اشد من حبالها
والمحبين اياها فمن عرفهم انجذب اليها شاء ام ابى انتهى
وصح عن انس بن مالك رض يقول قال رسول الله صلعم
تبيع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه اهله

وماله

وماله وعمله فيرجع اهله وبقي عمله رواه البخاري
ومسلم وكذا الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولهذا
المعنى امتنع ولد ذي القرنين من السلطنة والخلافة
عن والده فقد حكى الامام محمّد بن جرير الطبري في
تاريخه انه لما مات اسكندر في رجوعه عن طلب عين
الحياة حملوه عسكره الى يونان ودفنوه هناك وكان له ولد
يسمى باسكندر ايضا وقد رباه ارسطو وعلّمه العلم والحكمة
فاجتمع عسكر اسكندر عليه واحاطوه وعرضوا عليه
الملك والسلطنة فامتنع عنه وقال انا لا اريد الملك وانما اريد
افعل تفضيل
الاشتغال بعبادة ربّي وانا اقصر في طلب المملكة من والدي
افعل تفضيل
واعجز عمّا فعله منه واخر الامر الموت ولا يكون شئ من المال
والمملكه رفيقا في ذلك الطريق ولا يحصل سوى تخريب الدين
وملك نفس الشخص فلم يقبل الملك والسلطنة وخرج من
بينهم واشتغل بعبادة ربه وكذا ترك الخلافة سيّد
شباب اهل الجنة وريحانة رسول الله صلعم ابو محمد الحسن بن

علي بن ابي طالب رضي الله عنهما حذرا من وقوع نزاع وجدال
وسفك دماء وان لم يكن محرما لقيام العذر المبيح عندهم
حينئذ وتلف اموال محترمة بسببه روى ابو عبد الله محمد
بن سعد في طبقاته باسناده عن رباح بن الحارث ان الحسن
بن علي رض قام بعد وفاة علي رض فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان
كل ما هو آت قريب وان امر الله واقع وان كره الناس واني والله
ما احببت ان لي من امر امة محمد ما يزن مثقال حبة من خردل
يهراق فيه محجمة من دم قد علمت ما يضرني مما ينفعني فالحقوا بطيتكم
وروى باسناده عن غير واحد قصة طويلة في تسليم الحسن رض
الخلافة الى معاوية رض وقد ذكرها النووي في تهذيب الاسماء
على الاختصار وان زاد فيه امورا فقال ولي الخلافة بعد قتل
ابيه علي رض سنة اربعين وبايعه اكثر من اربعين الفا كانوا
بايعوا اباه وبقي نحو سبعة اشهر خليفة بالحجاز واليمن والعراق
وخراسان وغير ذلك ثم سار اليه معاوية من الشام وسار هو
الى معاوية فلما تقاربا علم انه لن يغلب احدى الطائفتين

(هامش: بكسر الطاء والتشديد اي بنيتكم)

فارسل

فارسل الى معاوية يبذل له تسليم الامر بشروط ذكرها
فاجابه معاوية الى ما طلب فاصطلحا على ذلك وظهرت المعجزة
النبوية في قوله صلعم ابني هذا سيد يصلح (من الصلح) الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين انتهى وهذا الحديث ثابت في صحيح
البخاري وغيره ولعل اللفظ المذكور ماخوذ من جملة الاخبار
ولفظ البخاري ورواه عن الحسن البصري عن ابي بكرة رض يقول
رايت رسول الله صلعم على المنبر (مبتدا) والحسن بن علي الى جنبه (خبره) وهو
يقبل على الناس مرة وعليه اخرى ويقول ان ابني هذا سيد
ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين انتهى
قال ابن سعد فيما رواه وعاش الحسن رض بعد ذلك عشر سنين و
روى باسناده عن جبير بن نفير الحضرمي قال قلت للحسن بن علي
رض ان الناس يزعمون انك تريد الخلافة فقال كانت جماجم العرب (اي القبائل)
بيدي يسالمون (اي يصالحون) من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء
وجه الله (اي طلب التقرب الى ذاته تعالى) انتهى وحكى النووي في تهذيب الاسماء عن معاوية
انه قال لما نزل به الموت يا ليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى

(هامش: بضم الطاء موضع بمكة)

واني لم ال من هذا الامر شيئا انتهى على ان ما وقع بين معاوية
وعلي رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة من الجدال والقتال
والحروب والفتن كانت امورا مبنية على الاجتهاد وكل
مجتهد مصيب او المصيب واحد والمخطي معذور على المذهب
الصحيح الذي ذهب اليه جمهور العلماء بخلاف ما يقع في
هذه الازمان بين الامثال والاقران لعدم وقوعها عن اجتهاد
بل انما يقع عن عناد وترويج بطلان بتكثير فساد كلا سوف تعلمون
علم اليقين لترون الجحيم عين اليقين وقد قال النبي صلعم فيما رواه
البخاري عن ابي بكرة رض اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فكلاهما
من اهل النار وقيل هذا القاتل فما بال المقتول قال انه
قد اراد قتل صاحبه انتهى وكذا ترك الامارة والرياسة
والجاه والاهل والمال السيد الكبير الولي الشهير ذو
السيرة الزاهرة والايات الباهرة العارف بالله المقرب
المكرم ابو اسحق ابرهيم بن ادهم بن منصور من كورة بلخ و
كان من ابناء الملوك وكان سبب خروجه عن العلايق والاسباب

انه خرج يوما يصطاد فاثار ثعلبا او ارنبا فبينما هو في طلبه
هتف به هاتف الهذا خلقت ام بهذا امرت ثم هتف به
من قربوس سرجه ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت فنزل عن
مركوبه فصادف راعيا لابيه فاخذ جبة الراعي من صوف
فلبسها واعطاه فرسه وما معه ودخل البادية ثم دخل مكة
وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام
ومات بها وكان ياكل من عمل يده مثل الحصاد وحفظ البساتين
وغير ذلك وانه راى في البادية رجلا علمه اسم الله الاعظم فدعا
به بعده فراى الخضر عليه السلام وقال انما علمك اخي الياس ع م
اسم الله الاعظم قال الاستاد ابو القسم القشيري في رسالته
اخبرنا بذلك الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي وذكر اسناده الى ابراهيم
بن بشار قال صحبت ابراهيم بن ادهم فقلت اخبرني عن بدء امرك
فذكر هذا قال الاستاد وكان ابرهيم بن ادهم كبير الشان في باب
الورع يحكى عنه انه قال اطب مطعمك ولا عليك ان تقوم بالليل
ولا تصوم بالنهار وقيل كان عامة دعائه اللهم انقلني من ذل

معصيتك الى عز طاعتك وروى باسناده عن احمد بن خضرويه
يقول قال ابرهيم بن ادهم لرجل في الطواف اعلم انك لا تنال
درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات اولها تغلق باب
النعمة وتفتح باب الشدة والثاني تغلق باب العز وتفتح باب
الذل والثالث تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد والرابع تغلق
باب النوم وتفتح باب السهر والخامس تغلق باب الغنا
وتفتح باب الفقر والسادس تغلق باب الامل وتفتح باب الاستعداد
للموت وحكى الشيخ الامام العارف بالله عفيف الدين
اليافعي في روض الرياحين في حكايات الصالحين حكاية اخرى
من هذا الباب فقال حكى انه كان لهرون الرشيد ولد قد بلغ
ست عشرة سنة وكان قد رافق الزهاد والعباد وكان يخرج
الى المقابر ويقول قد كنتم قبلنا وقد كنتم تملكون الدنيا فما
اراها منجتكم وقد صرتم الى قبوركم فيا ليت شعري ما قلتم وما
قيل لكم ثم يبكي وكان ينشد * تروعني الجنايز كل يوم * ويحزنني بكا النايحات
فلما كان في بعض الايام مر على ابيه وحوله وزراءه وكبراء دولته

وعليه

وعليه جبة صوف وعلى راسه ميزر صوف فقال بعضهم لبعض
لقد فضح هذا الولد امير المومنين بين الملوك فلو عاتبه لعله
يرجع عما هو عليه فكلمه هارون في ذلك وقال يا بني لقد
فضحتني بما انت عليه فنظر اليه وقال انت الذي فضحتني بحبك
الدنيا وقد عزمت على مفارقتك ففارقه ولم يتزود بشيء الا
مصحف وانحدر الى البصرة فكان يعمل مع الفعلة في الطين
وكان لا يعمل الا يوم السبت بدرهم ودانق يتقوت كل يوم
دانقا قال ابو عامر البصري وكان قد سقط في منزلي حايط
فخرجت لانظر من يعمل لي في الحايط اذ رايت شابا حسن
الوجه وبين يديه زنبيل وهو يقرا في مصحف فقلت له
يا غلام اتعمل قال ومالي لا اعمل وللعمل خلقت ولكن في اي
الاعمال تستعملني قلت في الطين قال بدرهم ودانق واصلي
صلاتي قلت لك ذلك ومضيت به الى العمل وتركته يعمل
فلما كان المغرب جيت فوجدته قد عمل عمل عشرة رجال فوزنت
له درهمين قال ما اخذ غير ما شرطت لك فوزنت له درهما

ودانقا فلما كان الغد خرجت الى السوق في طلبه فلم اجده
فقيل لي انه لا يعمل الا يوم السبت فلا نراه الا يوم السبت
فاخرت العمل الى يوم السبت ثم اتيت السوق فاذا هو على حاله
فسلمت عليه وعرضت عليه العمل فقال كمقالته الاولى
فمضيت به الى العمل ووقفت انظر اليه من بعيد وهو لا يراني
فاخذ كفا من الطين وتركه على الحائط واذا الحجارة تركب بعضها
بعضا فقلت ان اولياء الله يعانون فوزنت له ثلاثة دراهم
فابى ان ياخذ سوى درهم ودانق فوزنت له ذلك فلما كان يوم
نوبته جئت السوق فلم اجده فقيل لي ثلاثة ايام وجع في
خرابة يعالج سكرات الموت فوهبت اجرة لمن يدلني عليه فدخلنا
عليه فاذا هو في خراب بلا باب وهو نايم على بارية قصب وتحت
راسه نصف لبنة وهو في سكرات الموت فسلمت عليه فراني
فعرفني فاخذت راسه فجعلتها في حجري فمنعني من ذلك وانشد
يقول شعر يا صاحبي لا تغتر وتتنعم فالعمر ينفد والنعيم يزول
واذا علمت بحال قوم مرة فاعلم بانك عنهم مسؤول

واذا حملت الى القبور جنازة فاعلم بانك بعدها محمول
ثم قال يا ابا عامر اذا انا مت فغسلني وكفني في جبتي هذه فقلت
ولم لا اكفنك في ثياب جديدة فقال الحي احوج الى الجديد من الميت
الجسد يبلى والعمل يبقى وخذ ميزري وزنبيلي فادفعهما الى
الحفار وخذ هذا المصحف والخاتم وامض بهما الى امير المومنين
هرون الرشيد من يدك الى يده وقل له معي وديعة من شاب غريب
وهو يقول لك لا تموتن على غفلتك هذه ثم خرجت روحه
فعلمت انه ولد الخليفة فعملت جميع ما اوصاني به واخذت
المصحف والخاتم ودخلت بغداد وقصدت هرون الرشيد
فلما كان يوم مركبه وقفت على شرف عال فركب في مقدار
الف فارس ثم تبعه عشرة مواكب كل موكب الف فارس
فناديت بقرابتك من رسول الله صلعم يا امير المومنين
الا وقفت لي قليلا فقلت معي وديعة من شاب غريب
ودفعت له الخاتم والمصحف واخبرته بما اوصاني به
فنكس راسه واسبل دمعه وقال لبعض حجابه توص بهذا

حتى اسال عنه فلما رجع الى قصره امر بالستور فرفعت و
قال للحاجب هات الرجل وان كان يجد على آخرانى فقال لي
الحاجب ان امير المومنين مهموم فاذا اردت ان تكلمه عشر
كلمات فكلمه خمسا فقلت نعم ودخلت عليه فاذا بمجلسه خال
فلما رآنى قال اُدن منى فدنوت منه قال تعرف ولدى قلت
نعم قال في اى شي كان يعمل قلت في الطين والحجارة قال وكيف
استعملته وله اتصال برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
المعذرة الى الله ثم اليك يا امير المومنين والله ما علمت من
هو الا عند وفاته ثم قال انت غسلته بيدك قلت نعم قال
هاتها فاخذها وتركها على صدره وهو يقول باى يد كفنت
العزيز الغريب ثم انشا يقول • يا غريبا عليه قلبي يذوب
ولعيني عليه دمع سكوب • يا بعيد المكان حزني قريب
كدر الموت كل عيش يطيب • كان بدرا على قضيب لجين
فهوى البدر في الثرى والقضيب • ثم تجهز امير المومنين الى
البصرة وانا معه حتى انتهى الى القبر فلما راه غشى عليه

قال استعملته قلت نعم

فلما

فلما افاق انشد شعر • يا غايبا لا يوب من سفره • عاجله موته على
صغره • يا قرة عينى كنت لى انسا • في طول ليلى نعم وفي قصره •
شربت كاسا ابوك شاربها • لا بد من شربها على كبره •
يشربها والانام كلهم • من كان من بدوه ومن حضره •
فالحمد لله لا شريك له • الموت من حكمه ومن قدره •
قال ابو عامر فلما كانت تلك الليلة قضيت وردى ونمت
واذا بقبة من نور عليها سجاف من نور واذا بالسجاف قد
كشف والغلام ينادى يا ابا عامر جزاك الله خيرا فقلت يا
بنى الى ماذا صرت قال الى رب راض غير غضبان اعطاني
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وآلى
على نفسه ان لا يخرج عبد من الدنيا مثل خروجى الا اكرمه
مثل كرامتى فاستيقظت فرحا به وبما قال لي وبشرني رحمه الله
وحكى فيه حكاية اخرى من هذا الباب فقال روى ان امير المومنين
بالمغرب يعقوب راى مرائي واحوالا وجدها من نفسه من
احوال المريدين كان سببها انه قتل اخاه غيرة على الملك فندم

علی قتله ندما اورثه توبه اثرت فی باطنه احوال احسنه وتغیر
علیه من نفسه ما لا یعهده لثمرة التوبة عما کان برکه علیه
ذنبا وفی مثل هذا قال القایل • ورب قطیعه جلبت وصالا (ای حمله)
وکم ذا فی الزوایا من خبایا • فشکی ما یجده لمریده کانت تدخل
وقصره فقالت هذه احوال المریدین قال کیف اعمل بنفسی و
من یعرفنی ویداوینی قالت الشیخ ابو مدین سید هذه الطایفة
فی هذا الزمان فبعث یعقوب الی الشیخ ابی مدین وطلبه طلبا
حثیثا والتجا الیه فاقتضی اجابه الشیخ ابو مدین فقال الشیخ
بطیع الله سبحانه بطاعته وانا ما اصل الیه بل اموت بتلمسان
وکان الشیخ حینئذ فی بجایه فلما وصل الی تلمسان قال الرسل
یعقوب سلموا علی صاحبکم وقولوا له شفاؤک علی ید ابی
العباس المرینی ومات الشیخ ابو مدین بتلمسان رض ومضت
الرسل الی یعقوب فاخبروه بما اوصی به الشیخ له فطلب الشیخ
ابا العباس المرینی طلبا حثیثا وسیر الرسل الی کل الجهات
الی ان ظفروا به فاخبروه بما علیه من الطلب ووجد من الحق

سبحانه

24

سبحانه وتعالی اذنا بالاجتماع به فمشی الیه واجتمع به
ففرح یعقوب بذلک ثم امر بذبح دجاجة وخنق اخری
وان یطبخ کل واحدة منهما علی حدة وقدمهما بین یدی الشیخ
وساله ان یتناول منهما لیواکله فنظر الشیخ الیهما وامر الخادم
برفع المخنوقة وقال هذه جیفة واکل من الاخری فسلم یعقوب
نفسه له ونزل نفسه منزلة خادم وفتح له علی یده وترک
الملک واشتغل مع الشیخ وثبتت قدمه علی الولایة
ببرکة الشیخ ابی العباس واشارة الشیخ ابو مدین وحکی
فیه ایضا حکایة اخری وجدتها فی الباب الرابع من کتاب
الامر بالمعروف والنهی عن المنکر من الاحیاء لحجة الاسلام
الغزالی ایضا وهی ما ذکراه عن عبد الله بن مهران قال حج هرون
الرشید فوافی الکوفة فاقام بها ایاما ثم امر بالرحیل منها وخرج
الناس ینظرون الیه وخرج بهلول المجنون فیمن خرج وجلس
بالکناسه والصبیان یوذونه اذ اقبل هودج هرون فکف
الصبیان عنه فلما قرب منه ناداه باعلی صوته یا امیر المومنین

فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يا بهلول فقال حدثنا
ايمن بن نايل عن قدامه بن عبد الله العامرى قال رايت رسول
الله صلعم فى عرفة على ناقة له صهباء كذا فى الاحياء وفى الروض
على جمل وتحته رحل رث ولم يكن بين يديه ضرب ولا طرد ولا اليك
اليك وفى الاحياء لا ضرب الى آخره وهذا الحديث رواه الترمذى
وصححه والنساى وابن ماجه بلفظ رايت النبى صلعم يرمى الجمرة على
ناقة له صهباء لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك قال بهلول و
تواضعك فى سفرك هذا خير لك من تكبرك [منجبرك] فبكى هرون حتى
سقطت دموعه على الارض ثم قال يا بهلول زدنا يرحمك الله
تعالى فقال سب انك ملكت الارض طراً او دان لك العباد فكان
ماذا الست يصير فى قرب فى قبره ويحثو التراب هذا ثم هذا
فبكى هرون وقال زدنى قال يا امير المومنين من اتاه الله مالا وجمالا
فانفق فى ماله وعف فى جماله كتب فى ديوان الابرار فقال
يا بهلول خذ جايزتك قال اردد الجايزه الى من اخذتها منه
لا حاجه لى فيها قال يا بهلول ان يكن عليك دين قضيناه قال
يا

25

يا امير المومنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى اهله و
اقض دين نفسك من نفسك قال يا بهلول فنجرى عليك
نفقه يكفيك قال انا وانت عيال [من] الله فمحال ان يذكرك و
ينسانى فتركه هرون ومضى رض وحكى اليافعى عن ابن المبارك رح
قال كان موسى بن سليمان الهاشمى من انعم بنى امية عيشا و
ارخاه بالا يعطى نفسه شهوتها من صنوف لذات الماكل و
المشارب والملابس والطيب والجوارى والغلمان ليس له
فكرة ولا همة الا فى الذى هو فيه من عيشه ولذته وكان
جميلا وكانت نعم الله عليه سابغة يشتغل فى كل حول نحو
من ثلثماية الف وثلاثة الاف درهم يصرف ذلك كله فيما
هو فيه من النعيم وكان له مستشرف عال يقعد فيه غدوة
وعشيا يشرف على الناس له ابواب شارعة الى الجادة والى
بساتينه وله فيه قبة عاج مضببة بالفضة مطلية بالذهب
وهو على سريره وعليه غلالة [اى قميص] قصب [اى ثياب ناعمة من الكتان] وعلى راسه عمامة مكللة
باللآلى ومعه فى القبة ندماؤه واخوانه وقد وقف على راسه

الخدم والقينات بحذائه في مجلس خارج من القبه يراهن
اذا اشتهى سماع قيناته نظر من وراء الستارة واذا اراد
سكوتهن اومى بيده الى الستارة فامسكن هذا دابه الى ان يذهب
الليل ويذهب عقله فيخرج الندماء ويخلو مع من شاء فاذا
اصبح اشتغل بالنظر الى اللعب بين يديه بالشطرنج والنرد
ولا يذكر بين يديه موت ولا مرض ولا شئ فيه ذكر الهم والغم
الا ذكر الفرح والسرور والنوادر التي تضحك ويطرف كل يوم
بانواع الطيب والشمامات مما يكون في اوانه حتى مضت له
سبع وعشرون سنة فبينا هو ذات ليلة في قبته وقد مضى
بعض الليل اذ سمع نغمة شجية بخلاف ما يسمع من مطربيه فاخذت
بقلبه ولهى عما كان فيه فاومى الى القينات ان امسكوا و
اخرج راسه من بعض طاقات القبة الى جهه الجاوة ليستمع
للذى وقع بقلبه فاذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح
بغلمانه وقال اطلبوا صاحب هذا الصوت وكان قد عمل فيه الشراب
فخرج الغلمان يطوفون واذا هم بشاب نحيف الجسم دقيق العنق

مصفار

مصفار اللون ذابل الشفتين شعث الراس قد لصق بطنه بظهره
حافي القدمين قايما في المسجد يناجي ربه سبحانه فاخرجوه من
المسجد وانطلقوا به لا يكلمونه حتى اوقفوه بين يديه فنظر
اليه وقال من هذا قالوا صاحب النغمة التي سمعت قال اين اصبتموه
قالوا في المسجد قايما يصلي ويقراء القران قال ايها الشاب ما كنت
تقرأ قال كتاب الله قال اسمعني تلك النغمة قال اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ان الابرار لفي نعيم الى قوله يشرب بها المقربون ايها المغرور
ان هذا المجلس خلاف مجلسك ومستشرفك وفرشك انها ارائك
مفروشه بفرش مرفوعة بطاينها من استبرق على رفرف خضر
وعبقري حسان يشرف ولي الله منها على عينان تجريان في
جنتين فيهما من كل فاكهة زوجان لا مقطوعة ولا ممنوعة في
عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية فيها سرر مرفوعة
واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة في ظلال
وعيون اكلها دايم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين
النار نار واي نار فان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر

عنهم وهم فيه مبلسون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار
على وجوههم ذوقوا مس سقر يود المجرم لو يفتدي من عذاب
يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في
الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر
وتولى وجمع فاوعى في جهد جهيد وعذاب شديد ومقت
من رب العالمين وما هم منها بمخرجين فقام الهاشمي من مجلسه
وبكى وصاح وعانق الشاب وقال للندماء انصرفوا عني وخرج
الى صحن داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه و
يندب نفسه والشاب يعظه الى ان اصبح وقد عاهد الله تعالى
ان لا يعود الى معصية ابدا فلما اصبح اظهر توبته ولزم المسجد
والعبادة وامر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت
وتصدق بها ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده
وجواريه واعتق من اختار العتق وتصدق به كله ولبس الصوف
الخشن واكل الشعير وكان يحيي الليل ويصوم النهار حتى كان
يزوره الصالحون والاخيار ويقولون له ارفق بنفسك فان

المولى

المولى كريم يشكو اليسير ويثيب على الكثير فيقول يا قوم انا اعرف
نفسي جرمي عظيم عصيت مولاي بالليل والنهار وكان كثير
البكاء وخرج حاجا على قدميه ثم ما عليه الا خيشة وما معه
الا ركوة وجراب حتى قدم مكة وقضى حجه واقام بمكة حتى توفي
فيها رحمه الله وحكى فيه ايضا عن بعض العلماء قال رايت ابا
حامد الغزالي رض في البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز
وقد كان قبل ذلك يحضر مجلسه مائة صاحب عمامة من ابناء
الامراء في بغداد وقيل كان يدرس ثلاثمائة ويحضر مجلسه
العلماء الفضلاء والطلبة النجباء قال فقلت له يا امام اليس
تدريس العلوم ببغداد خيرا من هذا فنظر الي شزرا وقال لما
بزغ بدر السعادة في فلك الارادة وجنحت شمس الوجود
الى مغارب الوصول • تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل • وعدت الى
مصحوب اول منزل • ونادت بي الاشواق مهلا فهذه •
منازل من تهوى رويدك فانزل • قال اليافعي يعني لسان
حال الاشواق وصلت الى منازل الاحباب فدع عنك تعب

السير والمشاق انتهى واعلم انا انما اطنبنا فى ايراد هذه الحكايات
تقوية للقلوب على طلب رضاء المحبوب قال اليافعى فى مقدمة كتابه
المذكور روينا عن تاج العارفين قطب العلماء سيد الطايفه
المشغولة بالله العارفه ابى القسم الجنيد قدس الله روحه ونوّر
ضريحه انه قيل له ما للمريدين فى مجاراة الحكايات فقال الحكايات
جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين قيل له فهل فى
ذلك شاهد قال نعم قوله عز وجل وكلا نقص عليك من انباء الرسل
ما يثبت به فوادك انتهى ووجدت اصل هذه الحكايه رواه
ابو عبد الرحمن السلمى فى تاريخ الصوفية ومثل الآية المذكوره
قوله تعالى لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب قال اليافعى
وكذلك حكى عن الشيخ الكبير العارف بالله الخبير ابى سليمان
الدارانى رض قال اختلفت الى مجلس بعض الصالحين فاثر كلامه
فى قلبى فلما قمت لم يبق فى قلبى منه شئ فعدت ثانيا فسمعت كلامه
فبقى فى قلبى اثر كلامه فى الطريق ثم ذهب ثم عدت ثالثا فبقى اثر
كلامه فى قلبى حتى رجعت الى منزلى فكسرت الات المخالفات

ورجعت

ورجعت ولزمت الطريق انتهى ووجدت هذه الحكاية فى باب
التوبة من رسالة القشيرى وبايراد هذه الحكايات اردت
التنبيه على طريق العقلاء فى ترك الدنيا ورياستها وامارتها
وحكومتها ولا ضعف فى نظر العاقل الى قبح وجه طلب الامارة
ولكن اكثرهم صم بكم عمى فهم لا يعقلون وقد جاء عن النبى صلعم
حبك الشئ يعمى ويصم رواه القضاعى فى مسند الشهاب عن
روايه ابى الدرداء رض وصح عنه صلعم قوله نعمتان مغبون فيهما
كثير من الناس الصحة والفراغ رواه البخارى عن رواية ابن عباس رض
وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلعم قد افلح من اسلم
ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه رواه مسلم وعن مطرف عن
ابيه قال اتيت النبى صلعم وهو يقرأ الهيكم التكاثر قال يقول ابن
آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم الا ما اكلت فافنيت او لبست
فابليت او تصدقت فامضيت رواه مسلم وعن انس رض قال قال
رسول الله صلعم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد
يتبعه اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله رواه

البخاری ومسلم ورویا ایضا عن ابن عباس رض عن النبی صلعم
قال لو کان لابن ادم وادیان من مال لابتغی ثالثا ولا یملاء جوف
ابن ادم الا التراب ویتوب الله علی من تاب وروی البخاری عن ابن
عمر رض قال قال رسول الله صلعم کن فی الدنیا کانك غریب او عابر
سبیل وعد نفسك من اهل القبور ثم الوجوه المذکور عامة الدلالة
علی تعذر اجتناب الکبایر من الذنوب وانواع کبیره کثیره من
حقوق العباد مع الامارة فی هذه الازمان المتاخرة عموما
والخامس انه علی تقدیر خلوا الامارة عن ذلك فی الحال لکن لاشك
فی سوء عاقبه الحال اذ لامحالة آخرا من وقوع النزاع والجدال و
شدة الافتتان وحدوث الهرج والمرج بین الامثال والاقران وتوّد
شرر شرور فی کل قری وبلدان ویکفینا فی اتعاظنا وانتصاحنا
ما وقفنا علیه مما جری بین آبائنا واجدادنا وبین منازعیهم
من القتال والجدال فی طلب الامارة وتحصیلها ولم یزل الناس
علی ذلك من قدیم الایام علی انه قد صح فیما رواه البخاری عن الزبیر
بن عدی رض قال اتینا انس بن مالك فشکونا الیه ما نلقی من الحجاج

فقال اصبروا فانه لا یاتی علیکم زمان الا الذی بعده اشرّ منه
حتی تلقوا ربکم سمعته من نبیکم صلعم انتهی وبوقوع ذلك صرح
اهل التواریخ فی طبقات الاعصار الی یومنا هذا فعلی العاقل
ان یتأهّب للتحرز عن ذلك قبل الحدوث والوجدان علی انه
کل ما هو آتٍ قریب کما قاله رسول الله صلعم علی ما رواه القضاعی
فی مسند الشهاب عن روایة زید بن خالد الجهنی رض وقد تطابق العقل
النقل علی لزوم ذلك قال بقراط الامن مع الفقر خیر من الغناء مع
الخوف نقله محمد الشهرستانی فی الملل والنحل وروی البخاری ومسلم
عن ابی سعید الخدری رض قال قیل یا رسول الله ای الناس افضل فقال
رسول الله صلعم مؤمن یجاهد فی سبیل الله بنفسه وماله قالوا
ثم من قال مؤمن فی شعب من الشعاب یتقی الله ویدع الناس من شرّه
(ای جبل عظیم) وهذا لفظ روایة البخاری وفی روایة لمسلم قال رجل ای الناس افضل
یا رسول الله قال مومن یجاهد بنفسه وماله فی سبیل الله قال ثم من
قال ثم رجل معتزل فی شعب من الشعاب یعبد ربه ویدع الناس من
شرّه وعن ابی هریرة رض عن رسول الله صلعم انه قال من خیر معاش

الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه
كلما سمع هيعة او فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت او رجل
في غنيمة في راس شعفة من هذه الشعف او بطن واد من هذه
الاودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى ياتيه اليقين
ليس من الناس الا في خير رواه مسلم قال ابن حجر في شرح البخاري
وليس المراد من اقتصر على الجهاد واهمل الواجبات العينية ويظهر
فضل الجهاد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى ولما فيه من
النفع المتعدي قال وانما كان المؤمن المعتزل تلوه (اي عقبه) في الفضيلة لان
الذي يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الاثام انتهى واعلم ان الجهاد
لا ينحصر في الجهاد على اعداء الدين بالسيف والسنان بل هو اعم
منه ومن الجهاد معهم بالحجة والبيان ولا يخفى ان الثاني اقوى
واهم لان ضرر تركه يودي الى هدم الدين كيف والملاحدة مع
اختلاطهم بالمسلمين والتباسهم باهل الدين على الاهتمام
البليغ لترويج الشبهات الباطلة لهدم الدين وضرر ترك الجهاد
الاول يودي الى هلاك بعض اهل الدين في بعض النواحي ولا شك

فان

فان دفع الضرر عن اصل الدين اهم من دفع الضرر عن بعض اهل
الدين فالحمد لله على ما هدانا اليه من الاهتمام على هذا المهم
من بين اخواننا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم
ومما يدل على عموم الجهاد من الجهاد المعروف حديث ابن مسعود
رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي بعثه الله في
امته الا كان له من امته حواريون واصحاب ياخذون بسنته
ويقتدون بامره ثم انها يخلف من بعدهم خلوف يقولون
ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده
فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم
بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه
مسلم ونفي الايمان المطلق محمول على نفي الايمان الكامل جمعا
بين الادلة والحديث نص على اطلاق الجهاد على الكل ومما يدل
على فضل العلم على الجهاد المعروف قوله تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فان غالب اهل الجهاد وسيما في
زماننا لا يعلمون فلا يستوون بالعلماء وقوله لرسوله محمد صلعم

وقل رب زدني علما قال الشيخ الشريف نور الدين علي بن عبد الله
الحسيني السمهودي في جواهر العقدين فانظر الى تخصيصه
تعالى للعلم بالامر لحبيبه واشرف خلقه بطلب المزيد منه
مع عظيم ما انعم به عليه مما لا يحيط به الا الله تعالى لانه
اهل النعم كلها فلو كان شيء اشرف من العلم لامر الله تعالى
حبيبه صلعم ان يساله المزيد منه كما امره ان يستزيده من
العلم وقوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا
الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المومنين فان الظاهر
ان الحمد وقع منهم على تفضيل الله تعالى لهما على كثير من عباده
بالعلم وذلك لان الله تعالى انما حكى ذلك عنهما عقب قوله
ولقد آتينا داود وسليمان علما وقوله تعالى يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال السمهودي وهو
من عطف الخاص على العام لان العلماء اخص من المومنين
فيكون المعنى انه يرفع المومنين على غير المومنين ويرفع العلماء
من المومنين على بقية المومنين وكذا جاء عن ابن عباس رض

قال

قال يرفع الله الذين اوتوا العلم على الذين آمنوا درجات رواه
الدارمي وفي مسنده ايضا عن الزهري قال فضل العالم على
المجتهد يعني في العبادة ماية درجة ما بين الدرجتين خمسماية
سنه حضر الفرس المضمر السريع وحضر بضم الحاء المهملة يعني
عدوه وفي هذه الاطلاقات ما يدل على فضل العلم على
غيره مطلقا ومن ذلك حديث مسلم وابي داود والترمذي
وصححه عن ابي مسعود البدري رض مرفوعا من دل على خير فله
مثل اجر فاعله وحديث ابن ماجه عن معاذ بن انس رض من علم
علما فله مثل اجر من عمل به لا ينقص من اجر العامل شيئا
وحديث مسلم والترمذي وقال حسن صحيح عن ابي هريرة رض
مرفوعا من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجر من تبعه
لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعى الى ضلالة كان عليه
من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا
ووجه التمسك ان اعمال المجاهدين بل واعمال جميع العاملين
انما يتلقونها عن العلماء فيكون لهم من الاجر مثل اجور المجاهدين

وساير العاملين على حسب الانتفاع بعلمهم ويفضل للعلماء
مايزيد على اعمال المجاهدين من اعمال ساير الناس واذا ضممنا
اليه سقوط اجر المجاهدين لعدم موافقة جهادهم الشرع
كما في زماننا فلا يبقى خفاء في فضل العلماء عليهم وحديث
ابن عمر رض قال قال رسول الله صلعم يوزن حبر العلماء و
دم الشهداء فيرجح ثواب حبر العلماء على ثواب دم الشهداء
قال السمهودي رواه الديلمي في مسنده من طريق عبد العزيز
ابن ابي داود وهو صدوق عابد ربما وهم اقول وقلة الوهم
لا يسقط الاحتجاج به لقلة من يسلم منه كما هو مبين في
علوم الحديث فلا غبار على الحديث المذكور والله اعلم قال
السمهودي ورواه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه
ولفظه وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم وللمنجنيقي
في كتاب رواية الكبار عن الصغار له عن الحسن البصري قوله
مداد العلماء افضل من دم الشهداء وعن ابي الدرداء قال
قال رسول الله صلعم يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم

الشهداء

الشهداء رواه ابن عبد البر في فضل العلم قال بعض العلماء
في وجه ذلك لان اعظم ما عند المجاهد دمه واهون
ما عند العالم مداده فما ظنك باشرف ما عند العالم من المعارف
والتفكر في الاء الله تعالى وفي تحقيق الحق وبيان الاحكام
وهداية الخلق ولذا جعلوا ورثة الانبياء فعن ابي الدرداء
رض قال سمعت رسول الله صلعم يقول من سلك طريقا
يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنه وان الملائكة
لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع وان العالم
ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في
الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب و
ان العلماء ورثة الانبياء ان العلماء لم يورثوا دينارا ولا
درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر رواه
ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه واحمد
بنحوه باختصار وكذا الحاكم وصححه على ما قاله السمهودي
قال والبيهقي ولفظه من غدا يريد العلم يتعلمه فتح الله له

بابا الى الجنة وفرشت له الملايكه اكتافها وصلّت عليه ملائكة
السماء وحيتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة
البدر على اصغر كوكب في السماء الحديث وزاد في آخره وموت
العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسدّ وهو نجم طمس موت قبيلة
ايسر من موت عالم قال واخرج الديلمي والحافظ عبد الغني منه
عن البراء بن عازب رض مرفوعا العلماء ورثة الانبياء يحبهم
اهل السماء ويستغفر لهم الحيتان في البحر اذا ماتوا الى يوم
القيامة وللدارمي في مسنده عن مكحول رفعه ان الله وملائكته
واهل سماواته وارضه والنون في البحر يصلون على معلّمي
الناس الخير ومرسل مثل مكحول مقبول على الصحيح لانه
تابعيّ جليل كما بينته في غاية الارشاد وغيره قال السمهودي
والصلاة من الله تعالى بمعنى الرحمة ومن الملايكه بمعنى الاستغفار
المعبّر به في الرواية الاخرى ولا رتبة فوق رتبة من تشتغل
الملايكه وغيرهم من المخلوقات بالاستغفار والدعاء له
حتى يقوم القيامة على ما اشارت اليه رواه الديلمي لان العلم

ينتفع

ينتفع به بعد موت العالم الى يوم القيامة ولهذا كان ثوابه
غير منقطع بموته كما سياتي وانه ليتنافس في دعوة من رجل
صالح فكيف بدعاء الملايكة خصوصا ملايكة السماء وقد
اختلف في معنى وضع اجنحتها فقيل التواضع وقيل النزول
عنده والحضور معه وقيل التوقير والتعظيم له وقيل معناه
يحمله عليها فتعينه على بلوغ مقصده قال السمهودي والاقرب
كونه بمعنى ما ينتظم هذه المعاني كلها كما يرشد اليه الجمع
بين الفاظ الروايات فعن معاذ رض ما لفظه ترغب الملايكة
في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وعن صفوان ابن عسال
المرادي قال اتيت النبي صلعم وهو في المسجد متكي على بردٍ له
احمر فقلت له يا رسول الله اني جيئت اطلب العلم فقال مرحبا
بطالب العلم ان طالب العلم لتحفه الملايكه باجنحتها ثم يركب
بعضهم بعضا حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب
رواه الطبراني في معجمه الكبير برجال الصحيح واما الهام
الحيوانات الاستغفار لهم فقيل لانه خلقت لمصالح

العباد ومنا فعهم والعلماء هم الذين يبيّنون ما يحل منها
وما يحرم ويوصون بالاحسان اليها ونفي الضرر عنها حتى ان
ما يحل قتله منها يبيّنون الامر فيه باحسان القتلة والنهي عن المثلة
اقول هذا في الحيوانات التي تذبح واما ما يحل بلا ذبح كالحوت
ونحوه فيبيّنون فيها حكم كراهة الذبح في بعضها واستحبابه في البعض
كما يطول حياته خارج الماء وان في بعضها قولا بانه لا يحل بلا ذبح
فليحتط فيه وان ما يحل منها يكره اذا انتن ونحو ذلك قال
فكان اشتغالهم بذلك هو الالبق بشكر هذه النعمة قال
وينشأ عن فهم هذا ان بني آدم اولى بذلك في حق علمائهم لانهم احوج
الى العلم ويعود عليهم من فوايده ما لا يعود على غيرهم من الحيوانات
فيستفاد من ذلك الاشارة الى حثهم على الاشتغال بمثل ذلك واعلى منه
في القيام بحق العلماء شكرا لنعمة العلم فاقل رتبهم ان يتشبهوا بالحيوانات
العجماوات في هديهم والا فليسوا كالانعام بل هم اضل سبيلا انتهى ومما
يدل على افضلية العلم على الجهاد ان اثره غير منقطع بخلاف الجهاد
فعن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم اذا مات ابن ادم انقطع عمله

الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له رواه مسلم
وغيره قال السمهودي قال البدر بن جماعة وانا اقول اذا نظرت وجدت
معاني الثلاثة موجودة في معلّم العلم اما الصدقة فاقراؤه اياهم العلم و
افادته الا ترى الى قوله صلعم في المصلي وحده من يتصدق على هذا
اي بالصلاة معه لتحصل معه فضيلة الجماعة ومعلّم العلم يحصل للطالب
فضيلة العلم التي هي افضل من صلاة في جماعة وينال بها شرف الدنيا والاخرة
واما العلم المنتفع به فظاهر لانه كان سببا لايصال ذلك العلم الى كل من انتفع به
واما الدعاء الصالح له فالمعتاد المستقرأ على السنة اهل العلم والحديث
قاطبة الدعاء لمشايخهم وايمتهم وبعض اهل العلم يدعون لكل من يذكر عنه
شيا من العلم وربما يقرا بعضهم الحديث بسنده فيدعو لجميع رجال السند
قال السمهودي وعندي له تتمة فاما ما حاوله من ان اقراء العلم وافادته صدقة
فقد ورد النص بان ذلك افضل الصدقة فعن ابي هريرة رض مرفوعا افضل
الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلّمه اخاه المسلم رواه ابن ماجه بسند حسن
فان قيل تعليمه قد انقضى بموته فكيف يكون من الصدقة الجارية التي لا ينقطع
قلنا تعليم ذلك المتعلم وكذا تعليم كل معلّم تعلّم منه بواسطة فيما ياتي

متسبب عن تعليمه فعلمه غير منقطع وكذا تاليفه في العلم وتدوينه
واما ما ذكره من اعتياد الدعاء للمشايخ الى آخره فقد يقال انه ليس في
معنى دعاء الولد لوالده لان الوالد يثاب على نفس دعاء ولده لتسببه في
ايجاده فكان له مثل ثواب عمله واما المشايخ فينتفعون بالمدعو به
اذا استجيبت الدعوة الا ان يكون ذلك المعلم قد سن للمتعلم منه الدعاء
لمشايخه وورثه اياه فله ثواب التسبب ايضا ويكون دوامه بدوام التعلم منه
وان كثرت الوسايط كما سبق انتهى وقد ظهر بما ذكرناه افضلية الاشتغال بالعلم
على الاشتغال بالجهاد وان سلمنا العكس او المساواة لكن جهاد اهل زماننا
لا يوافق الشرع وكذا حال قسمة الغنايم بالاركان والشروط الشرعية كما
لا يخفى عند اهل العلم بالشريعة فلا يساوي الاشتغال بمثل هذا الجهاد
حرام الا اذا ادى تركه الى اعظم مفسدة بل من يريد ثوابا من مثل هذا
الجهاد يكفر بلا شك كما يكفر من يريد ثوابا بالتصدق من المال الحرام
كما سياتي بيانه في الكتاب ان شاء الله تعالى وسئل الشيخ محيي الدين
النووي ان الاشتغال بالعلم والجهاد ايهما افضل فاجاب بانه
ما دام الجهاد فرض كفاية فالاشتغال بالعلوم الشرعية افضل

منه

ومما لا بد من معرفته في هذه الاحاديث الى آخرها

منه فان صار الجهاد فرض عين فهو افضل من العلم سواء كان
العلم فرض عين او كفاية والله اعلم انتهى وهو مذكور في فتاواه
وهو لا يخالف ما ذكرناه قبله كما لا يخفى عند المتامل وعن ابي
سعيد الخدري رض قال قال رسول الله صلعم يوشك ان يكون
خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر
بدينه من الفتن رواه البخاري في كتاب الايمان وكتاب الفتن
بهذا اللفظ وفي كتاب الرقاق بلفظ ياتي على الناس زمان خير
مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر
بدينه من الفتن وعن ابي هريره رض قال قال رسول الله صلعم
ستكون فتن القاعد فيها خير من القايم والقايم فيها خير
من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها
تستشرفه فمن وجد ملجا او معاذا فليعذ به رواه البخاري
ايضا وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رض ان رسول الله صلعم
قال كيف بكم وزمان او يوشك ان ياتي زمان يغربل الناس
غربلة يبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وامانتهم

اي رديهم تشبيه لما بقى في الغربال

واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقالوا وكيف بنا
يا رسول الله قال تاخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون
وتقبلون على امر خاصتكم وتذرون امر عامتكم رواه ابو داود
وفي رواية له عنه ايضا قال بينما نحن حول رسول الله صلعم اذ ذكر
الفتنة فقال اذا رايتم الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم
وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قال فقمت اليه فقلت كيف افعل
عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك
وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر خاصة نفسك ودع
عنك امر العامة وقال زين الدين العراقي في تخريج احاديث
الاحياء في حق هذا الحديث رواه ابو داود والنسائي في عمل
اليوم والليلة باسناد حسن انتهى وروى اصل الحديث ابن السني
ايضا في عمل اليوم والليلة له بلفظ آخر غير ما ذكره ابو داود
وذكر اصل الحديث صاحب مشكاة المصابيح بلفظ مغاير للفظهما
ثم قال رواه الترمذي وصححه وانا فتشته في سنن الترمذي
في كل ما يتوهم وجوده فيه فلم اظفر به وعن عمر رض انه قال

ذكر فوايد العزلة

العزلة راحة من خلاط السوء واعظم فوايد العزلة ما ذكره
الغزالي في الاحياء التخلص بها عن المعاصي التي يتعرض
الانسان لها غالبا بالمخالطة ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة
الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاعمال الخبيثة
التي يوجبها الحرص على الدنيا اما الغيبة فالتحرز عنها مع
المخالطة امر عظيم لا ينجو منها الا الصديقون فان عادة
الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه بها والتنقل بحلاوتها
فهي طعمتهم ولذتهم اليها يستروحون من وحشتهم في الخلوة فان خالطتهم
ووافقتهم اثمت وتعرضت لسخط الله تعالى وان سكت كنت
شريكا فالمستمع احد المغتابين وان انكرت ابغضوك وتركوا
ذلك المغتاب واغتابوك فازدادوا غيبة على الغيبة وربما
زادوا على الغيبة وانتهوا الى الاستخفاف والشتم واما
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من اصول الدين وهو
واجب ومن خالط الناس لا يخلو عن مشاهدة المنكرات

فان سكت عصى الله به وان انكر تعرض لانواع من الضرر
ور بما يجره طلب الخلاص منه الى معاصى اكثر مما نهى عنه ابتداء
وفي العزلة خلاص منه فان الامر فى اهماله شديد والقيام به
شاق واما الرياء فهو الداء العضال يعسر على الاوتاد والابدال
الاحتراز منه فكل من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم
ومن راياهم وقع فيما وقعوا وهلك كما هلكوا واقل ما يلزم منه
النفاق فانك اذا خالطت متعاديين ولم تلق كل واحد منهما
بوجه يوافقه صرت بغيضا اليهما جميعا وان جاملتهما كنت
من شرار الناس قال عليه الصلاة والسلام ان من شرار الناس ذا الوجهين
يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وهذا الحديث رواه البخارى
ومسلم عن ابى هريرة رض بلفظ قال قال رسول الله صلعم تجدون
شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه
وهؤلاء بوجه قال الغزالى واقل ما يجب فى مخالطة الناس
اظهار الشوق والمبالغة فيه ولا يخلو ذلك من كذب اما
فى الاصل واما فى الزيادة واظهار الشفقة بالسؤال عن الاحوال

بقولك

بقولك كيف انت وكيف اهلك وانت فى الباطن فارغ القلب
عن همومه نفاق محض واما مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق
الناس واعمالهم فهو داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلا
عن الغافلين منهم فلا يجالس الانسان فاسقا مدة مع كونه
منكرا عليه فى باطنه الا ولو قاس نفسه الى ما قبل مجالسته
ادرك فيه تفرقة فى النفرة عن الفساد واشتغاله اذ يصير
الفساد بكثرة المشاهدة هينا على الطبع ويسقط وقعه و
استعظامه منه وانما الوازع عنه شدة وقعه فى فاذا
صار مستصغرا بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة
ويذعن الطبع للميل اليه او لما دونه ومهما طالت مشاهدته
للكباير من غيره استحقر الكباير من نفسه ولذلك يزدرى
الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فتؤثر مجالستهم فى ان يستصغر
ما عنده وتؤثر مجالسة الفقراء فى استعظام ما ابيح له من النعم
فكذلك النظر الى المطيعين والعصاة هذا تاثيره فى الطبع فمن
يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين فى العبادة

والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار
والى عبادته بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا
فلا يخلو عن داعية الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما
للاقتداء ومن نظر الى احوال اهل الزمان واعراضهم عن الله تعالى
واقبالهم على الدنيا واعتيادهم المعاصي استعظم امر نفسه بادنى
رغبة في الخير يصادفها في قلبه وذلك هو الهلاك ويكفي في
تنفير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته قال
وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من الجليس
السوء وقال في منهاج العابدين في الكلام على عايق الخلق
واعلم ايها الاخ في الدين ان نبيك محمدا صلعم وصف زمان
العزلة وبين نعته ونعت اهله وامر فيه بالتفرد عن الخلق
وكان لا محاله اعلم بالمصالح وانصح منا لانفسنا فان وجدت
زمانك على ما وصف فامتثل امره صلعم واقبل نصيحته و
لا تشك في انه صلعم كان اعرف بما يصلح لك في زمانك
ولا تتعلل بالعلل الكاذبة ولا تخادع نفسك والا فانت هالك

ولاعذر

ولاعذر لك ثم ذكر اخبار الباب ثم قال وجميع ما ذكر في هذه
الاخبار تراه بعينك في زمانك واهله فانظر لنفسك ثم
ان السلف الصالح رض اجمعوا على التحذير من زمانهم واهله وآثروا
العزلة وامروا بذلك وتواصوا به ولا شك انهم كانوا ابصر
وانصح وان الزمان لم يصر بعدهم خيرا مما كان بل اشر وامر
وهو ما ذكر عن يوسف بن اسباط انه قال سمعت الثوري يقول
والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة في هذا الزمان قال
الغزالي قلت انا ولئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت
وافترضت انتهى اقول وفي زماننا اوجب وافرض لكونه اشر
وقد نبه عليه حديث انس بن مالك رض للزبير بن عدي وغيره
لا ياتي عليكم زمان الا الذي بعده اشر منه حتى تلقوا ربكم
سمعته من نبيكم صلعم رواه البخاري وقال الشيخ نور الدين علي
بن عبد الله الحسني السمهودي في كتاب جواهر العقدين بعد
ما ذكر مفاسد يحصل باختلاط الناس وبالجملة فهذا زمان العزلة والبعد
عن الناس لفساد حالهم وعظيم مفسدة الخلطة بهم وقد روى بعضهم

عن ابى ذر الغفارى رضـ انه قال كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا
اليوم شوكا لا ورق فيه قال السمهودى فهذا زمان ابى ذر رضـ فماذا ت
بزماننا واشراره وقد روى سبط ابن الجوزى فى فضل اهل البيت
النبوى بسنده الى سفيان الثورى قال قلت لجعفر يعنى الصادق
ابن محمد الباقر يا ابن رسول الله اعتزلت الناس فقال يا سفيان
فسد الزمان وتغير الاخوان فرايت الانفراد اسكن للفواد
ثم قال ذهب الوفاء ذهاب امس الذاهب فالناس بين
مخاتل وموارب يفشون بينهم المودة والصفا
وقلوبهم محشوة بعقارب وقال ابو بكر بن المرزبان
فى كتابه فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب
اخبرنا ابو العباس المبرد قال حدثنى بعض مشايخنا
قال كنت عند بشر بن الحارث يوما فرايته مغموما
ما يتكلم حتى غربت الشمس ثم رفع راسه وقال
ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل
امر منكر وبقيت فى خلف يزين بعضهم

بعضا ليدفع معورا عن معور قال ابن مرزبان وانشدنى زيد بن على
احذر مودة ماذق خلط المرارة بالحلاوه يحصى الذنوب عليك
ايام الصداقة للعداوه قال السمهودى واحوال زماننا
اعجب من الاول فليتهم يقتصرون على احصاء ما صدر من
الانسان بل يختلقون غير ما كان فيهم كما قال بعضهم
[اى يكذبون ه]
ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا شرا اذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا
فالمناسب الانقباض وجمع الخاطر عن هؤلاء وتجنبهم بحسب
القدرة ورفع الهمة عنهم وعن دنياهم ليتحرز من
رقهم انتهى كلامه وقال الخطابى فيما نقله ابن حجر فى
شرح البخارى لو لم يكن فى العزلة الا السلامه من الغيبه ومن رؤية
المنكر الذى لا يقدر على ازالته لكان خيرا كثيرا انتهى فان
قلت ما الغيبة وما رتبته فى كونها اثما قلت اما حده فروى مسلم
فى صحيحه وابو داود والترمدى والنساى فى سننهم عن ابى هريرة
رضـ ان رسول الله صلعم قال اتدرون ما الغيبه قالوا الله ورسوله
اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال افرايت ان كان فى اخى ما اقول قال

ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته
وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح ونقل الامام حجة الاسلام الغزالى
اجماع المسلمين على ان الغيبة ذكرك اخاك بما يكره ثم الحديث
المذكور واللفظ الذى نقله الغزالى عن اهل الاجماع يدل على انه
لا فرق فيها بين ان يقال ذلك فى غيبته او حضوره وقد نقل الزركشى
فى الخادم فيه خلافا وقال ابن حجر فى شرح البخارى والارجح اختصاصها
بالغيبة مراعاة لاشتقاقها وبذلك جزم اهل اللغة وبه قال الزمخشرى
وابو نصر القشيرى فى التفسير وابن التين وابن خميس والمنذرى وغير
واحد من العلماء وآخرهم الكرمانى نعم المواجهه بما ذكر حرام
لكنه داخل فى السب والشتم انتهى ومما يدل على عظم حرمة ذلك
قوله تعالى والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا وحديث ابى بكر رض ان رسول الله صلعم قال
فى خطبته يوم النحر بمنى فى حجة الوداع ان دماءكم واموالكم واعراضكم
حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الحديث رواه
البخارى ومسلم ثم يدخل فى الضابط المذكور للغيبة بل فى السب والشتم ايضا ذكرك

الانسان

الانسان بما فيه مما يكره سواء كان فى بدنه او دينه او دنياه او
نفسه او خَلقه او خُلقه او ماله او ولده او والده او زوجه او خادمه
او مملوكه او عمامته او ثوبه او مشيته وحركته او بشاشته او
خلاعته او طلاقته او غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته بلفظك
او كتابك او رمزت اليه او اشرت اليه بعينيك او يدك او
راسك او نحو ذلك ذكر كل ذلك النووى فى كتاب الاذكار تبعا
للغزالى قال اما البدن فكقولك اعمى اعرج اعمش اقرع قصير
طويل اسود اصفر واما الدين فكقولك فاسق خاين ظالم متهاون
بالصلاة متساهل فى النجاسات ليس بارا بوالديه لا يضع الزكاة
مواضعها لا يجتنب الغيبة واما الدنيا فكقولك قليل الادب
يتهاون بالناس لا يرى لاحد عليه حقا كثير الكلام كثير الاكل والنوم
ينام فى غير وقته يجلس فى غير موضعه واما المتعلق بالوالد
فكقولك ابوه فاسق او هندى او نبطى او زنجى او اسكاف بزاز
نخاس نجار حداد حائك اقول وكل ذلك عند الكراهه وحيث
كان ابوه كارها ايضا لما ذكره يكون غيبة للاب ايضا كما لا يخفى

على الملتفت اليه قال واما الخلق فكقوله سيء الخلق متكبر
مراء عجول جبار جبان عاجز ضعيف القلب متهور عبوس خليع
ونحوه واما الثوب فواسع الكم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو
ذلك ويقاس الباقي بما ذكرناه انتهى واما رتبته في كونه اثما
فاعلم ان الامام الغزالي جزم في الوجيز والاحياء بكونها صغيرة
ونقله الرافعي في العزيز عن صاحب العدة ايضا وهو ابو المكارم
الروياني قال الزركشي في الخادم والصواب انها كبيرة وقد
نص عليه الشافعي فيما نقله الكرابيسي في كتابه المعروف بادب
القضاء من القديم يعني ولم يخالفه في قوله الجديد قال
وبه جزم الاستاد ابو اسحق في عقيدته وكذلك الجيلي في
شرح التنبيه وغيرهما من الاصحاب يعني الشافعية قال و
كذلك الكواشي في تفسيره وحكى القرطبي في تفسيره الاجماع
عليه قال الزركشي ولم ار من صرح بكونها صغيرة الا صاحب
العدة والغزالي ودليل كونها كبيرة قوله تعالى ولا يغتب بعضكم
بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه فنهى عنها و

النهى

النهى للتحريم ثم لم يكتف به بل نزلها منزلة اكل لحم الادمي في حال
كونه ميتا ولا يخفى كونه اثما عظيما فهذه المبالغة في
بيان قبحها دليل كبر ذنبها عنده تعالى وما رواه البخاري ومسلم
عن ابي بكرة رضه ان رسول الله صلعم قال في خطبته يوم النحر بمنى
في حجة الوداع ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم
كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الا هل بلغت
قالوا نعم قال اللهم اشهد وليبلغ الشاهد الغايب وعن عايشه رض
قالت قلت للنبي صلعم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض
الرواة يعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته
قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت انسانا وان
لي كذا وكذا رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح
قال النووي في الاذكار مزجته اي خالطته مخالطة يتغير بها
طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها قال وهذا الحديث من اعظم
الزواجر عن الغيبة او اعظمها ولم اعلم شيئا من الاحاديث يبلغ
في الذم لها هذا المبلغ وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى

نسأل الله العظيم لطفه والعافية من كل مكروه وعن انس رض
قال قال رسول الله صلعم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار
من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء
يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في
اعراضهم رواه ابو داود ولم يضعفه فيكون حجة على شرطه
قال في الاذكار ومن الغيبة المحرمة ذكر مصنف كتاب شخصاً
بعينه في كتابه قايلا قال فلان كذا مريدا تنقصه والشناعة
عليه فهو حرام فان اراد بيان غلطه ليلا يغترّ به ويقبل
قوله فهذا ليس غيبة بل نصيحة واجبة يثاب عليها اذا اراد
ذلك وكذا اذا قال المصنف قال قوم او جماعة كذا وكذا وهذا
غلط او خطاء او جهالة او غفلة ونحو ذلك فليس غيبة
انما الغيبة ذكر انسان بعينه او جماعة معينين ومن
الغيبة المحرّمة قولك فعل كذا بعض الناس او بعض الفقهاء
او بعض من يدعي العلم او بعض المفتين او بعض من ينسب الى
الصلاح او يدعي الزهد او بعض من مرّ بنا اليوم او بعض

من

من رايناه او نحو ذلك اذا كان المخاطب يفهمه بعينه
لحصول التفهيم قال واعلم ان الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها
يحرم على السامع استماعها واقرارها فيجب على من سمع انسانا
يبتدي بغيبة محرمة ان ينهاه ان لم يخف ضررا ظاهرا فان
خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك المجلس ان
تمكّن من مفارقته فان قدر على الانكار بلسانه او قطع الغيبة
بكلام آخر لزمه ذلك فان لم يفعل عصى فان قال بلسانه اسكت
مع انه يشتهي بقلبه بقاءه فقال ابو حامد الغزالي ذلك
نفاق ولا يخرجه عن الاثم ولا بد من كراهته بقلبه اقول
وهنا دقيقة وهي ان نفس الانسان قد يشتهي شيا منكرا
وقلبه لا يرضاه موافقة ومراعاة لرضاء ربه تعالى وحينئذ
فانكاره مثله باللسان والقلب مع بقاء شهوة النفس لا يكون
نفاقا بل يكون به ماجورا كما لا يخفى عند اولي الالباب والله
اعلم بالصواب قال النووي ومتى اضطر الى المقام في ذلك المجلس
الذي فيه الغيبة وعجز عن الانكار او انكر فلم يقبل منه ولم يمكنه

المفارقة بطريق حرم عليه الاستماع والاصغاء للغيبة بل
طريقه ان يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه او بقلبه او يتفكر في
امر آخر ليشتغل عن استماعها ولا يضره بعد ذلك السماع من
غير استماع واصغاء في هذه الحالة المذكورة فان تمكن بعد
ذلك من المفارقة وهم مستمرون في الغيبة ونحوها وجب عليه
المفارقة قال الله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا
فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك
الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين انتهى ما
ذكره في الاذكار وهو يعم جميع المنكرات فقد ذكر في باب الوليمة من
الروضه تبعا للرافعي في العزيز ان من شروط وجوب اجابة الدعوة
الى الوليمة او استحبابها ان لا يكون هناك منكر كشرب الخمر
والملاهي فان كان نظر ان كان الشخص ممن اذا حضر رفع المنكر
فليحضر اي لوجوب الحضور اجابة للدعوة وازالة للمنكر
والا فالصحيح قال في زوايده بل الصواب ومقابله غلط حرمة
الحضور لانه كالرضا بالمنكر واقراره فان لم يعلم حتى حضرنهاهم

فان لم

فان لم ينتهوا فليخرج ويحرم القعود فان لم يمكنه الخروج
بان كان في الليل ويخاف من الخروج قعد كارها ولا يستمع اقول
اخرج مسلم عن ابي سعيد الخدري رض عن رسول الله صلعم من راى
منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه وذلك اضعف الايمان انتهى قال النووي ولو كان يشربون
النبيذ المختلف في اباحته لم ينكره لانه مجتهد فيه فان كان حاضره
ممن يعتقد تحريمه فكالمنكر المجمع على تحريمه وقيل لا انتهى اقول
وهذا مشعر بان المنكر بكسر الكاف انما ينكر اذا هو اعتقد حرمته
وان لم يعتقدها الفاعل وساكت عن حكم العكس وهو ان يكون
الامر المأتي به حراما في اعتقاد الفاعل دون المنكر وقد صرح
بحكمه الشيخ عز الدين في قواعده فقال من اتى شيئا مختلفا في
تحريمه معتقدا تحريمه وجب الانكار عليه وخالف الاطلاق
الاول ايضا فقال بعده وان اعتقد يعني الفاعل تحليله لم يجز
الانكار عليه الا ان يكون ماخذ الخلاف ضعيفا ينقض الاحكام
بمثله لبطلانه في الشرع انتهى اقول وحيث كان الشيء منكرا في اعتقاد

احد ولم يجز له الانكار على فاعله لاعتقاده اباحته فالظاهر
انه يلزمه الخروج عن ذلك المجلس وان لم يمكنه فعلى التفصيل
السابق ويؤيد ما ذكرته ما ذكره القاضي عبد الوهاب بن الشيخ
تقي الدين السبكي في التوشيح فقال سالت الوالد رح ايحرم على
رجل ان يسقي غيره الخمر اذا كان الشارب يظنه غير خمر والساقي
يعرفه خمرا فقال نعم فقلت لم مع ان الساقي لم يشرب ولم يعن
على معصية لان الشارب لم ياثم فقال لانه حقق المفسدة التي
طلب الشارع درأها من كل احد وان عذر من لا يعلم والله اعلم
قال في الاذكار واعلم ان سوء الظن بالمسلمين حرام مثل القول
فكما يحرم ان تحدث غيرك بمساوى انسان يحرم ان تحدث
نفسك بذلك وتسيء الظن به قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من
الظن وفي صحيحي البخاري ومسلم عن ابي هريرة رض ان رسول
الله صلعم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث والاحاديث
بمعنى ما ذكرته كثيرة والمراد بذلك عقد القلب وحكمه على غيرك
بالسوء فاما الخواطر وحديث النفس اذا لم يستقر ويستمر عليه

صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء لانه لا اختيار له في وقوعه
ولا طريق له الى الانفكاك عنه وهذا هو المراد بما ثبت في الصحيح
عن رسول الله صلعم انه قال ان الله يجاوز عن امتي ما حدثت به
انفسها ما لم يتكلم به او تعمل قال العلماء المراد به الخواطر التي
لا تستقر اقول بل الظاهر ان المراد به الخواطر التي لا تضر ما لم
يتكلم به او يعمل وان استقر واستمر فتعين الاستدلال
للمطلوب بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقوله وما
جعل عليكم في الدين من حرج وقوله صلعم انما بعثتم ميسرين و
لم تبعثوا معسرين رواه البخاري في جملة حديث بول الاعرابي
في المسجد وغير ما ذكرناه والله اعلم قال قالوا اي العلماء و
سواء كان ذلك الخاطر غيبة او كفرا او غيره فمن خطر له الكفر
مجرد خطران من غير تعمد لتحصيله ثم صرفه في الحال فليس بكافر و
لا شئ عليه وذكر ان الغيبة تباح في احوال فعدها واعمها وقوعا
واهمها بيانا منها ان يكون الشخص الذي يغتاب مجاهرا بفسقه
او بدعته كالمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس واخذ المكس

وجباية الاموال ظلما وتولى الامور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر
به ويحرم ذكره بغيره من العيوب الا ان يكون لجوازه سبب
اخر من الاسباب المجوزه للغيبة انتهى ويستدل له بما رواه
البخارى عن عايشه رض قالت استاذن رجل على النبى صلعم
فقال ائذنوا له بئس اخو العشيرة او ابن العشيرة فلما دخل الان
له الكلام قلت يا رسول الله قلت الذى قلت ثم النت له الكلام
قال اى عايشه ان شر الناس من تركه الناس او ودعه الناس اتقاء
فحشه ثم النووى عقد بابا لبيان كفارة الغيبه والتوبه
منها بل من ساير الذنوب ايضا وقال اعلم ان كل من ارتكب معصيه
لزمه المبادرة الى التوبة منها انتهى ويعنى انه يجب التوبه على الفور
ويحرم التاخير وهذا لا نزاع فيه بين العلماء ودليله قوله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون وقوله يا ايها الذين امنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم الايه
ووجه الاستدلال ما سنح لى وهو ان الامر المطلق ان اقتضى
الفور كما هو قول بعض العلماء ثبت المطلوب وهو وجوب التوبة

على

على الفور نعم هو من حين ارتكاب المحرم لا من وقت ورود الامر
لان الامر بالتوبه انما يتوجه الى مرتكب المحرم وهو لا يكون مرتكبا
قبل الارتكاب وان لم يقتض الامر الفور فالامر بالشى يتضمن او
يستلزم النهى عن ضده وبالعكس على المذهب الصحيح والنهى يقتضى
التحريم على الفور والبدار على الصحيح ايضا فيلزم ان يكون ترك التوبة
عقب فعل المحرم حراما فيكون فعل التوبة على الفور واجبا
وهو المطلوب ويدل عليه ايضا ما رواه مسلم عن ابى موسى الاشعرى
رض قال قال رسول الله صلعم ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار
ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
انتهى والاقرب فى معناه ما قاله الطيبى فى شرح مشكاة المصابيح
من انه تمثيل شبه حالة ارادة الله تعالى التوبة من العبد وانها مما
هو مطلوب به يجب ان ينالها بحالة من ضاع ما هو معيشته به ولا
غنى له عنه فيتفقده ويمد يده الى من وجد ضالته طالبا منه
متضرعا لديه ثم استعمل فى جانب المستعار له ما كان مستعملا
فى جانب المستعار منه من بسط اليد قال ويشهد له ما جاء

في رواية اخرى ان الله واضع يده لمسيء الليل انتهى والحاصل ان
توبة مسيء النهار وبالعكس يكون مطلوبا شديدا لله تعالى من
العبد ولا معنى لوجوب فورية التوبة الا ذلك ويدل عليه
ايضا ما سنح لي ايضا من ان المحرمات منهيات لان تحريم بعضها
مستند الى النهي بالاصالة وبعضها اليه بواسطه الامر بضده
وهو في ترك واجب ثبت وجوبه بالامر به فان تركه منهي لان الامر
بالشيء يتضمن او يستلزم النهي عن ضده بل وجوب فعل كل واجب
ووجوب ترك كل محرم ثابت بالامر اما بالخصوص واما بعموم
قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا ينفصل عن الامر بالشيء
النهي عن ضده كما مر والمذهب المشهور المختار ان مقتضى النهي
المطلق الدوام والتكرار ومن ضرورته الفور والبدار كما بيناه في
غاية الارشاد فيثبت المطلوب وهو وجوب التوبه على الفور
وايضا فبا ول ارتكاب المحرم يستحق المكلف النار ما لم يتب
فيكون في حكم ملابس المحرم وان كان منفصلا عنه في الخارج
الى ان يتوب واجتناب المحرم حقيقة وحكما في كل وقت واجب

فالوجوب

فالوجوب يستوعب الاوقات والشارع قد جعل التوبة
منها شيا ينفصل العبد به عن ملابسة المحرم حكما فيجب
التوبة من اول الاوقات وهو معنى فوريتها وايضا فالموت محتمل
في جميع الاوقات ولذا قال رسول الله صلعم لابن عمر رض كن في
الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وكان ابن عمر يقول اذا امسيت فلا
تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك
لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري وكذا الترمذي
وابن ماجه وزاد في حديث النبي صلعم وعد نفسك في اصحاب
القبور هو للترمذي وقال ابن ماجه في اهل القبور وببقاء
الذنب على العبد يستحق العقاب قال الغزالي في الاحياء
واي سبب ادل على نزول العقوبة من العاصي واي مخبر اصدق من
الله ورسوله ولو حدثه انسان واحد يسمى طبيبا ان مرض ولده
لا يبراء وانه سيموت طال في الحال حزنه فليس ولده باعز
من نفسه ولا الطبيب باعلم واصدق من الله ورسوله ولا المرض
بادل على الموت من المعاصي على سخط الله والتعرض بها للنار انتهى

فيظهر وجوب البدار الى التوبة والخروج عن الذنوب بما امكن
وبالله التوفيق رجعنا الى كلام النووي في الاذكار قال والتوبة
من حقوق الله تعالى يشترط فيها ثلاثة اشياء ان يقلع عن المعصيه
في الحال وان يندم على فعلها وان يعزم على ان لا يعود اليها
والتوبة من حقوق الآدميين يشترط فيها هذه الثلاثه ورابع
وهو رد الظلامة الى صاحبها او طلب عفوه منها والابراء منها
انتهى وقال القاضي عبد الوهاب ابن السبكي في جمع الجوامع في
تفسير التوبة هي الندم وتتحقق بالاقلاع وعزم ان لا يعود وتدارك
ممكن التدارك وقال بدر الدين الزركشي في شرحه تفسير التوبة
بالندم لانه ركنها الاعظم كقوله صلعم الحج عرفه وروى ابن ماجه
باسناد لين الندم توبة انتهى وقال زين الدين العراقي في تخريج
احاديث الاحياء رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح اسناده
من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث انس
وقال صحيح على شرط الشيخين ونقل الزركشي عن ابن القشيري
انه قال في المرشد التوبة في اصطلاح المتكلمين الندم على الزلة

لاجل باعث الندم له قال الزركشي وهذا القيد لانه ربما يندم على
الزلة لاضرارها به فهو نادم غير تايب قال قال وهذا الحد
ذكره القاضي والاستاذ واما الفقهاء فذكروا له ثلثة اركان
الاقلاع في الحال والعزم على ان لا يعود في الاستقبال والندم
قال الزركشي وكان المصنف اراد ان لا يخالف الفريقين
فجمع بين الطريقين فسلك طريق المتكلمين في تفسيرها بالندم
وجعل كلام الفقهاء لا يخرج عنه لان ذلك يتضمن الندم اذ يستحيل
حصول الندم الحقيقي على شئ مع ملازمته في الحال وعدم العزم
على مفارقته انتهى وغالب ما ذكره موجود في رسالة القشيري
فانه نقل فيه عن ارباب الاصول من اهل السنة قالوا شرط
صحة التوبة ثلاثة اشياء الندم على ما عمل من المخالفات و
ترك الزلة في الحال والعزم على ان لا يعود الى مثل ما عمل من
المعاصي فهذه الاركان لا بد منها حتى يصح توبته قال هؤلاء
وما في الخبر ان الندم توبة انما نص على معظمه كما قال الحج
عرفة اى معظم اركانه عرفة اى الوقوف بها لا انه لا ركن في الحج

سوى الوقوف بعرفات ولكن معظم اركانه الوقوف كذلك قوله
صلعم الندم توبه اى معظم اركانها الندم ومن اهل التحقيق من
قال يكفى الندم فى تحقيق ذلك لان الندم يستتبع الركنين الاخرين
فانه يستحيل تقديران يكون نادما على ما هو مصرّ على مثله او
عازم على الاتيان بمثله انتهى رجعنا الى كلام الزركشى قال وان
تعلق بحق آدمى فلا بد من الخروج عنه قال وهذا قاله الفقهاء
وقال الامام فى الشامل ان لم يردّ المظلمة وندم فقد صحّت
توبته فانها الندم على ما سلف وما تعلق بردّ المظلمة حق آخر
وجب عليه فاذا لم يفعله لم يبطل ما اتى من حقيقة التوبه وقال
امام الحرمين فى الارشاد يصح الندم على القتل الموجب للقود
من غير تسليم القاتل نفسه ليستفاد منه فاذا ندم صحّت توبته
فى حق الله تعالى وكان منعه القصاص من مستحقه معصية
مجدّدة لا يقدح فى التوبة بل تستدعى فى نفسها خروجا عنها
وتوبة منها ومما يتعلق التوبة بحق الادميين ولا يصح دون الخروج
منه وذلك كاغتصاب شئ من مال الغير ولا يصح الندم عليه مع

ادامة شدّ اليد عليه انتهى وفرق بين القتل والغصب قال
الزركشى وحكى ابن القشيرى فى المرشد عن والده زيادة شرط
آخر وهو تعيين الذنب فلو اسلف ذنبا ونسيه فان عيّن ذنوبه
فى الجمله وعزم ان لا يعود الى ذنب لم تصح توبته مما نسيه وما
دام ناسيا لا يكون مطالبا بالتوبة ولكن يلقى الله وهو مطالب
بتلك الزلة وهذا كما لو كان عليه دين لادمىّ ونسى المديون ولم
يقدر على الاداء فهو فى الحال غير مطالب مع النسيان ولكن يلقى
الله وهو مطالب قال وهذا ماخذ ظاهر لان التوبة ندم والندم
انما يتحقق مع الذكر بما فعله حتى يتصور الندم قال الزركشى وقال القاضى
ان لم يتذكر التفصيل يقول ان كان لى ذنب لم اعلمه فانى تائب الى
الله تعالى منه قال وذكر المحاسبى انه يعيّن كل ذنب على انفراده قال
ولا يخفى اشكاله وقال الشيخ عز الدين يتذكر من الذنوب السالفة
ما يمكن تذكّره وما تعذّر فلا يجب عليه ما لا يقدر عليه انتهى
ما ذكره الزركشى وقال صاحب المواقف التوبة هى الندم على
معصيته من حيث هى معصية مع عزم ان لا يعود اليها اذا قدر

عليها فقولنا الندم لما سياتى من الحديث وقولنا على معصيته
لان الندم على فعل لا يكون معصية اى بل مباحًا او طاعةً لا
يسمى توبة قال وقولنا من حيث هى معصية لان من ندم على شرب
الخمر لما فيه من الصداع وخفة العقل والاخلال بالمال والعرض
لم يكن تائبا شرعا وقال التفتازانى فى شرح المقاصد الندم لخوف
النار او لطمع الجنه هل يكون توبة فيه تردد بناء على انه ندم
لكونه معصيه ام لا وقال الحسن بن الفنارى فى حواشى شرح
المواقف والحق انه لا تردد لان معنى كونه معصية انه يبعد
من الجنه ويقرب من النار ولا يتوب الرجل من المعصية الا لهذين
المعنيين نعم خلوص التوبة ان تكون لوجه الله تعالى لا لطمع جنة ولا
لخوف نار لكن التوبة من المعصيه من حيث هى معصيه تعم الكل والله
اعلم اقول وفيه بحث اذ قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره
فى الباب التاسع من كتاب مباحث البسمله ان من الناس من
يعبد الله لطلب الثواب وهو جهل وسخف ويدل عليه وجوه
الاول ان من عبد الله تعالى ليتوصل بعبادته الى شيء آخر كان المعبود

فى الحقيقة والمعنى ذلك الشى وكان الله وسيله الى ذلك المعبود
وهذا جهل عظيم الثانى ان من عبد الله لطلب الثواب وللخوف من
العقاب لم يصح عبادته لان معبوده فى الحقيقه الثواب والبعد من
العقاب ونقل عند قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية اتفاق
المتكلمين على ان من عبد الله ودعاه لاجل الخوف من العقاب والطمع
فى الثواب لم يصح عبادته ولا دعاوه الثالث ان من عمل عملا
لغرض آخر كان بحيث لو وجد ذلك الغرض بطريق آخر لترك الواسطة
فمن عبد الله للاجر والثواب كان بحيث لو وجد الاجر والثواب
بطريق آخر لم يعبد الله ومن كان كذلك لم يكن محبا فى الله تعالى
ولم يكن راغبا فى عبادة الله وكل ذلك جهل قال ومن الناس من
يعبد الله لغرض اعلى من الثواب والخوف من العقاب وهو ان
يتشرف بخدمة الله تعالى لانه اذا شرع فى الصلاة وحصلت النيه
فى القلب وتلك النية عبارة عن العلم بعزة الربوبية وذلة
العبوديه وحصل الذكر فى اللسان وحصلت الخدمة من الجوارح
فى الاعضاء فيتشرف كل جزء من اجزاء العبد بخدمة الله

فمقصود العبد حصول هذا الشرف انتهى وكان يكفي لنا في هذا
المقام ايراد الوجه الثاني مع ما ذكره في موضع آخر لكن اوردنا
كل ما ذكره معه مع المناسبه حرصا على تكثير الفوايد وعود
المستفيد العوايد ثم الوجه الثاني مع ما ذكره في الموضع الآخر
يدفع كلام ابن الفناري ويرفع تردد التفتازاني فيعين ان لا يكون
الندم لخوف النار او لطمع الجنه توبة معتدا بها لان التوبة
عبادة بلا نزاع والاظهر ان مطلق العبادة لاحد الوجوه الثلثه
يصح اطلاق القول عليه بانه يصح والاطلاق بانه لا يصح اذ لكل طاعة
اعتبارين عند العلماء احدهما سقوط القضاء وثانيهما ترتب الثواب
فصحة الاطلاق الاول على الاعتبار الاول وصحة الاطلاق الثاني
على الاعتبار الثاني والله اعلم قال صاحب المواقف وقولنا اي في
تفسير التوبه مع عزم زيادة تقرير لما ذكر لان النادم على الامر لا يكون
الا كذلك ولذلك ورد في الحديث الندم التوبه وقال السيف الابهري
في شرحه هكذا قالوا ويمكن ان يقال النادم على فعل في الماضي قد يريده
في الحال او الاستقبال ولا يسمى تائبا فهذا القيد احتراز عنه وما ورد

في الحديث

في الحديث محمول على الندم الكامل وهو ان يكون مع العزم
على عدم العود ابدا ورد بان الندم على المعصية من حيث هي معصية
يستلزم ذلك العزم كما لا يخفى انتهى قال ابن الفناري ومن هذا
الرد يفهم جواب اعتراض من اعترض بان فعل المعصية في المستقبل
قد لا يخطر بالبال الذهول ونحوه فالعزم على ترك المعاودة انما
يقارن التوبه في بعض الاحوال ولا يطرد في كل حال قال صاحب المواقف
وقولنا اذا قدر لان من سلب عنه القدرة على الزنا وانقطع طمعه
عن عود القدرة اليه اذا عزم على تركه لم يكن ذلك توبة منه
قال الشريف وفيه بحث لان قوله اذا قدر ظرف لترك الفعل
المستفاد من قوله لا يعود وانما قيد به لان العزم على ترك الفعل
في وقت انما يتصور ممن قدر على ذلك الفعل وتركه في ذلك الوقت
ففايدة هذا القيد ان العزم على الترك ليس مطلقا حتى يتصور
ممن سلب قدرته وانقطع طمعه بل هو مقيد بكونه على تقدير
فرض القدرة وثبوتها فيتصور ذلك العزم من المسلوب ايضا
ويؤيد ما قررناه قول الآمدي حيث قال وانما قلنا عند كونه

ونقل هذا الاعتراض
الشريف في شرحه ثم قال

اي قطع آلته

اهلا لفعله فى المستقبل احترازا عما اذا زنى ثم جُبّ اوكان مشرفا
على الموت فالعزم على ترك الفعل في المستقبل غير متصور منه
لعدم تصور الفعل منه ومع ذلك فانه اذا اندم على ما فعل صح
توبته باجماع السلف وقال ابوهاشم الزانى اذا جُبّ لا يصح
توبته لانه عاجز عنه وهو باطل بما اذا تاب عن الزنا وغيره وهو
في مرض مخوف فان توبته صحيحة بالاجماع وان كان جاز ما
بعجزه عن الفعل في المستقبل هذه عبارة الامدى وايضا
فقول المصنف لم يكن ذلك توبة منه يدل على انه مختار الكل
او الاكثر فينا فيه ما صرح به من ان توبة المجبوب صحيحة عند
غير ابى هاشم فتدبر ثم نقل صاحب المواقف عن المعتزله
انهم شرطوا في التوبة امورا ثلثة رد المظالم وان لا يعاود
ذلك الذنب اى الذى تاب عنه اىّ ذنب كان وان يستديم
الندم اى على الذنب المتوب عنه في جميع الاوقات قال
وهى عندنا غير واجبة فى صحة التوبة اما رد المظالم قال
الشريف والخروج عنها برد المال والاستبراء عنه او

الاعتذار الى المغتاب واسترضائه ان بلغه الغيبه ونحو
ذلك قال العضد فواجب براسه لا مدخل له فى الندم على ذنب
آخر ويشرحه قول الامدى اذا اتى بالمظلمة كالقتل والضرب
مثلا فقد وجب عليه امران التوبه والخروج عن المظلمة وهو
تسليم نفسه مع الامكان ليقتص منه ومن اتى باحد الواجبين
لم يكن صحة ما اتى به متوقفه على الاتيان بالواجب الاخر كما
لو وجب عليه صلاتان فاتى باحدهما دون الاخرى انتهى وقد
سبق عن امام الحرمين مزيد تفصيل فيه فليتذكر قال العضد
واما ان لا يعاوده اى اصلا الى ما تاب عنه فلان الشخص قد
يندم على الامر زمانا ثم يبدو له والله تعالى مقلب القلوب وشرحه
قول الامدى تبعا لامام الحرمين التوبة ماموربها فيكون عبادة
وليس من شرط صحة العبادة المأتى بها فى وقت عدم المعصية
فى وقت اخر بل غايته انه اذا ارتكب ذلك الذنب مرة ثانية
وجبت عليه توبه اخرى عنه قال العضد واما استدامته اى
للندم فى جميع الازمنه فلان الشارع اقام الحكمى اى الامر الثابت

حكما مقام ما هو حاصل بالفعل كما في الايمان فان النايم وكذا
الغافل مؤمن بالاتفاق ولما في التكليف باستدامة الندم
من الحرج المنفي عن الدين انتهى بل يلزم من التكليف بها كما قال
الامدي اختلال الصلوات وباقي العبادات وان لا يكون
بتقدير عدم استدامة الندم وتذكره تايبا وان يجب عليه اعادة
التوبة وهو خلاف الاجماع قال ومهما صحت التوبة ثم تذكر الذنب
لم يجب عليه تجديد التوبة خلافا لبعض العلماء وذلك لانا نعلم
بالضرورة ان الصحابة ومن اسلم بعد كفره كانوا يتذكرون
ما كانوا عليه في الجاهلية من الكفر ولا يجددون الاسلام
ولا يامرون به فكذلك الحال في كل ذنب وقت التوبة عنه
قال التفتازاني في شرح المقاصد ويكفي في التوبة عن
المعاصي كلها الاجمال وان علمت مفصلة لحصول الندم والعزم
وذهب بعض المعتزلة الى انه لا بد من الندم تفصيلا فيما علم
مفصلا ورد بانه مكلف بالتوبة في كل وقت مع امتناع اجتماع
الذنوب الكثيرة في القلب في وقت واحد فلو لم يكف الاجمال لزم

تكليف

تكليف ما لا يطاق قال صاحب المواقف وفي التوبة الموقتة مثل ان لا
يذنب سنة وفي التوبة المفصلة نحو ان يتوب عن الزنا دون شرب
الخمر للمعتزلة خلاف مبني على خلاف آخر لهم ان الندم اذا كان لكونه
ذنبا هل يجب عمومه الاوقات والذنوب او لا يجب قال الشريف
تبعا للابهري في شرحه للمواقف فذهب بعضهم الى انه يجب العموم لانه
اذا ندم على ذنب في وقت ولم يندم على ذنب آخر او في وقت آخر ظهر
انه لم يندم عليه لقبحه ولا يندم على قبايحه كلها لاشتراكها في العلة
المقتضية للندم ولا يندم ايضا في جميع الاوقات واذا لم يكن ندمه
لقبحه لم يكن توبة وذهب آخرون منهم الى انه لا يجب عليه العموم
كما في الواجبات فانه قد ياتي المامور ببعضها دون بعض وفي بعض
الاوقات دون بعضها ويكون الماتي به صحيحا في نفسه بلا توقف
على غيره مع ان العلة المقتضية للاتيان بالواجب هي كون الفعل
واجبا قال ابن الفناري قيل لا يتم القياس على الواجب للفرق بين
المقيس والمقيس عليه فان ترك القبيح لكونه قبيحا لا يحصل الا بترك
جميع القبايح بخلاف الاتيان بالواجب فانه لكونه اتيانا يحصل باتيان

واجب دون واجب ورد بان الكلام في الواجبات التي صدر عن
الشارع الامر بكل واحد منها على حدة كالصلاة والزكاة مثلا لا في افراد
واجب امر الشارع بالاتيان بواحد منها لا على التعيين كاعتاق رقبة
اي رقبة كانت وظاهر ان تمام الامتثال بالامر لا يحصل باتيان واحد منها
دون الآخر بل باتيان الجميع كما ان تمام الامتثال بالنهي لا يحصل بترك
قبيح دون آخر من غير فرق فلو لم يصح التوبة عن بعض القبايح دون بعض
لم يصح اتيان بعض الواجبات دون بعض لكن التالي باطل اتفاقا فكذا
المقدم قال الشريف فان قيل مراتب الحسن مختلفة في الافعال ويتفاوت
ايضا اقتضاؤها بحسب الاوقات قلنا مراتب القبح ايضا كذلك قال
والاشاعرة وافقوا هؤلاء في صحة التوبتين انتهى وسبقه الى نقل ذلك
عن الاشاعرة الابهري ودليلهم على ما نقل التفتازاني هو انه كما يجوز الاتيان
بواجب لحسنه مع ترك واجب آخر يجوز ترك قبيح لقبحه مع الاصرار على
قبيح آخر كما سبق ثم ههنا بحث وهو انك قد علمت انهم اشترطوا في التوبه العزم
على ان لا يعود الى الذنب الذي تاب عنه ابدا ولم اقف على خلاف في
ذلك ولا يجتمع معه القول بصحة التوبة الموقتة كما لا يخفى

ولعل

53

ولعل الامام الرازي لاجل ذلك لم يتعرض في معالم اصول الدين
للخلاف فيها حيث تعرض للخلاف في صحة التوبة عن بعض الذنوب
دون بعضها ثم يمكن ان يقال ان اشتراطهم في التوبة العزم
على ان لا يعود الى الذنب ابدا مبني على القول بعدم صحة التوبة
الموقتة والشرط عند المصححين للتوبة الموقتة العزم على كف
النفس عن ارتكاب ذلك المحرم الى ذلك الوقت الذي اراده
والله اعلم وافاد قطب الدين الخونجي في شرح معالم اصول
الدين في شرح مسئلة التوبة عن بعض الذنوب فوايد لا يستغنى
عن بيانها فلننقل كلامه قال رح اختلفوا في صحة التوبه عن
بعض الذنوب مع الاصرار على البعض الاخر فالجمهور من العلماء
على انها صحيحة وذهب بعضهم الى انها غير صحيحة وهو
اختيار ابي هاشم حجة الجمهور من وجهين احدهما قوله صلعم
الندم توبة فلم يشترط التوبة من كل ذنب فوجب ان لا يكون
شرطا والثاني ان اليهودي اذا غصب شيا ثم تاب عن الكفر
ورجع الى الاسلام مع اصراره على الغصب فان توبته عن الكفر

يعني مع انه اعظم الذنوب صحيحة بالاتفاق وذلك يدل
اي دلالة ظاهرة على تصور التوبة عن بعض الذنوب دون بعض
واحتج المخالف بان من تاب عن شرب الخمر مثلا فاما ان يتوب لكون
ذلك معصية وقبيحا او يتوب لا لذلك بل لشيء آخر فان
كان الاول وهو انه انما تاب عن شرب الخمر لقبحه ولكونه معصية
ولا يخفى ان ذلك موجود في جميع المعاصي فيستحيل ان لا يندم
عن الزنا ولو جاز ذلك لجاز ان يتوب عن شرب الخمر عن
احد الدنين دون الاخر وان كان الثاني وهو انه انما تاب عن
شرب الخمر لا لكونه معصية وقبيحا بل لامر آخر فهذا لا يكون
توبة والجواب انه لم لا يجوز ان يتوب عن شرب الخمر لخصوصية
تلك المعصية ولقبحها وهذه الخصوصية غير موجودة في
معصية اخرى وهذا كما ان الانسان قد يشتهي الطعام لا لعموم
كونه طعاما بل لخصوصية ذلك الطعام فكذلك قد يقدم
الانسان على معصية لخصوصية تلك المعصية لا لنفس كونها
معصية واما شرب الخمر من احد الدنين دون الاخر فنقول انما

لايمكن

54

لا يمكن التوبة عن بعض الدنان دون البعض لانها متماثلة في حق
التعرض لسخط الله تعالى اقول وفيه نظر اذ يجوز ان يكون
خمر احد الدنين رقيقة صافية وخمر الاخر غليظة كدرة ولا
شك ان ميل النفس الى الاولى اشد وتعاطيها اياها اكثر
فالقياس صحة التوبة عن مثلها مع عدم التوبة عن الغليظة
الكدرة قال نعم يجوز ان يتوب عن الخمر دون النبيذ اقول
يعني على القول بكونه في حكم الخمر في حرمة القليل منه ايضا ثم
جواز التوبة عن الخمر دون النبيذ للتفاوت في حرمتهما اذ المظنون
لا يساوي المقطوع قال والكثير منه يعني من المسكر مطلقا
دون القليل للتفاوت في اقتضاء السخط منها وفي زيادة القبح
ونقصانه فاذن لا بد وان يكون ما تاب عنه مخالفا لما بقي
عليه اما في شدة المعصية واما في غلبة الشهوة حتى يتصور التوبة
عن البعض دون البعض انتهى وقال الزركشي في شرح جمع جوامع
الاصول قال الحليمي يصح التوبة من كبيرة دون اخرى من غير
جنسها لم يتب عنها كما يصح اقامة الحد عليه لاجلها وان كان

الشهوة وفيه م

قوله واما في غلبة الشهوة … لما سبق من … م

عليه حدا آخر من غير جنسه وحكاه عنه البيهقي وسكت عليه
وقضيّته انها اذا كانت من جنسها لا يصح وقال ابن القشيري
قال الامام ان كان يعتقد ان العقوبة على احدهما اعظم صحّت
التوبة منه دون الآخر وان استوت الدواعي وهما مختلفا الجنس
كالقتل والشرب فهما مثلان لا يصح التوبة عن احدهما مع الاصرار
على الاخر وقال الاستاد ابو بكر يعني ابن فورك يصح التوبة
من جنس مع الاصرار على جنس آخر فيصح التوبة من الزنا مع
الاصرار على البعض ولا تصح التوبة عن الزنا بزينب مع الاصرار
على الزنا بهند اذ لا يتصور الندم في هذا ويتصور الندم
في جنس مع المقام على جنس آخر وقال الاستاد ابو اسحٰق
التوبة من قبيح مع الاصرار على مثله صحيحة حتى يصح ان يتوب
عن الزنا بامراة مع المقام على الزنا بمثلها قال ابن القشيري
والاصحاب يابون هذا فان شرط صحة التوبة الندم على
ان لا يعود الى مثله وذلك محال مع الاصرار على مثله اقول
ويمكن ان يقال اذا كان الجماع بامراة الذ لصفات في نفسها

فيجر

فيجر الى طول اللبث في المصاحبة معها واستمرار العمل
بها فيصح التوبة من الزنا بها مع عدم التوبة من الزنا بغيرها
وكذا الكلام في اللواطة كما قال مثله الخونجي في التوبة
عن الخمر دون النبيذ والكثير منه دون القليل والله اعلم
قال الزركشي وعند الصوفية التوبة من السالك لا يصير
مفتاحا للمقامات حتى يتوب عن جميع الذنوب لان كدورة
بعض القلب واسوداده بالذنب يمنع من المسير الى الله تعالى
انتهى ثم نحن نرجع الى بقية كلام النووي السابق ذكره
قال فيجب على المغتاب التوبة بهذه الامور الاربعة يعني
الاقلاع عن المعصية في الحال والندم على فعلها والعزم على
عدم العود اليها ورد الظلامة الى صاحبها او طلب العفو
والابرآء منها قال لان الغيبة حق آدمي ولا بد من استحلاله
من اغتابه وهل يكفيه ان يقول قد اغتبتك فاجعلني في
حل ام لا بد ان يبين ما اغتابه به فيه وجهان لاصحاب الشافعي رض
احدهما يشترط بيانه فان ابرائه من غير بيانه لم يصح كما لو ابراء

من مال مجهول والثاني لا يشترط لان هذا مما يتسامح فيه فلا يشترط
عليه بخلاف المال قال والاول اظهر لان الانسان قد يسمح بالعفو
عن غيبة دون غيبة انتهى اقول بل الاظهر التفصيل الذي
ذكره الغزالي في منهاج العابدين والاحياء فقال في المنهاج
اعلم ان الذنوب في الجملة ثلاثة اقسام احدها ترك واجبات
الله تعالى عليك من صلاة او صوم او زكاة او كفارة او غيرها
فيقتضي ما امكنك منها والثاني ذنوب بينك وبين الله
سبحانه كشرب الخمر وضرب المزامير واكل الربا ونحو ذلك
فتندم على ذلك وتوطن قلبك على ترك العود الى مثلها ابدا
والثالث ذنوب بينك وبين العباد وهذا اشكل واصعب وهي
اقسام قد يكون في المال وفي النفس وفي العرض وفي الحرمة
وفي الدين فما كان في المال فيجب ان ترده عليه اذا امكنك
فان عجزت عن ذلك لعدم وفقر فتستحل منه وان عجزت عنه
لغيبة الرجل او موته وامكنك التصدق عنه فافعل وان لم
يمكنك فعليك بتكثير حسناتك والرجوع الى الله تعالى

بالتضرع

بالتضرع والابتهال ان يرضيه عنك يوم القيامة انتهى اقول
ومما ذكره هو وغير واحد من العلماء يوخذ ان التصدق لا
يجوز مع القدرة على رد المال الحرام عينه او بدله حيث يجوز
رد البدل الى صاحبه ويشهد له حديث ابي هريرة رض عن النبي صلعم
قال من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن فيه اجر وكان اصره
عليه رواه ابن حبان في صحيحه ونبه عليه زين الدين العراقي
في تخريج احاديث الاحياء في كتاب الحلال والحرام واهل الزمان
متغير في ذلك فانهم يتصدقون بالمال الحرام مع امكان رده
او بدله الى صاحبه ويرجون منه الثواب والتقرب الى الله تعالى
مع ان في الفصول العمادية لو تصدق على الغير شيا من المال
الحرام يرجو الثواب كفر وسلمه جامع الفصولين وهو حق
لا شك فيه نعم هو محمول على حالة عدم العجز عن الرد الى صاحبه
ثم ذلك لانه يتضمن استحلال الحرام بالاجماع لان الثواب انما
يرجى من الواجبات او المندوبات والمرجو من مباشرة المحرمات
هو العقاب وان اريد معه الثواب فمن فضل الله لا من المحرم

ذنبه

وكذا قال في الاحياء اما امواله الخاصة
فليردها الى المالك ما يعرف له مالكا
معينا وما لا يعرف له مالكا معينا فعليه ان
يتصدق به وان اختلط الحرام بالحلال
عرف قدر الحرام بالاجتهاد وتصدق
بذلك المقدار كما سبق تفصيله في
كتاب الحلال والحرام انتهى صح

من الكتب المعتبرة للحنفية صح

ثم ذلك حيث كان ذلك المال حراما بالاجماع او في اعتقاد
المتصدق به وان ذهب بعض العلماء الى حله لانه حينئذ
يكون رادا للمشروع في اعتقاده وسو يتضمن رد الشارع كما ذكر
العلماء مثله في بعض المواد قال الغزالي واما ما كان في النفس في المنهاج
فتمكنه او اولياءه من القصاص حتى يقتص منك او يجعل في
حل وقال الرافعي وغير واحد من الاصحاب يجب في القصاص
ان يخبر المستحق ويقول انا الذي قتلت اباك مثلا ولزمني القصاص
فان شئت فاقتص وان شئت فاعف قال الغزالي
بعد كلامه المذكور فان عجزت فالرجوع الى الله سبحانه
وتعالى والابتهال اليه ان يرضيه عنك يوم القيامة ونقل الزركشي
في الخادم عن الانصاري تلميذ امام الحرمين انه قال في شرح
الارشاد اذا حيل بينه وبين تسليم النفس والمال بمنع وحبس
ظالم له وحدوث امر يصده عن التمكين سقط ذلك عنه وانما
يجب عليه العزم على التسليم اذا امكن قال وهذا مما لا خلاف
فيه قال الغزالي واما العرض بان اغتبته او بهته او شتمته

فحقك

فحقك ان تكذب نفسك بين يدي من فعلت ذلك عنده او
تستحل من صاحبه ان امكنك هذا ان لم تخش زيادة غيظ
وهيج فتنة في اظهار ذلك او تجديده فان خشيت ذلك
فالرجوع الى الله تعالى ليرضيه عنك والاستغفار الكثير
لصاحبه واما الحرمة بان خنته في اهله او ولده ونحو ذلك فلا
وجه للاستحلال والاظهار لانه يولد فتنة وغيظا بل تتضرع
الى الله سبحانه ليرضيه عنك ويجعل له خيرا كثيرا في مقابلته
فان امنت الفتنة والهيج وهو نادر فتستحل منه وقال في
الاحياء واما الجناية على القلوب بمشافهة الناس بما يسوءهم
او بغيبتهم في الغيبة فليطلب كل من تعرض له بلسانه او اذى
قلبه بفعل من افعاله وليستحل واحدا واحدا منهم ومن مات
او غاب فقد فات امره ولا تدارك الا بتكثير الحسنات
لتؤخذ منه عوضا في القيامة وكذا قال النووي في الاذكار
ان كان صاحب الغيبة ميتا او غائبا فقد تعذر تحصيل
البراءة منها لكن قال العلماء ينبغي ان يكثر الاستغفار له

والدعاء ويكثر من الحسنات انتهى قال الغزالى فاما من وجده
واحله بطيبة قلب فذلك كفارته وعليه ان يعرفه قدر جنايته
وتعرضه له فالاستحلال المبهم لا يكفي وربما لو عرف ذلك
وكثرة تعديه لم تطب نفسه بالاستحلال وادخر ذلك للقيامة
ذخيرة بان ياخذ من حسناته او يحمله من سياته فان كان
في جملة جنايته على الغير ما لو ذكره وعرفه لتاذى بمعرفته
كزناه بجاريته او اهله او نسبته باللسان الى عيب من خفايا
عيوبه يعظم اذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق
الاستحلال فليس له الا ان يستحل مبهما ثم يبقى عليه مظلمة
فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلمة الميت والغايب فاما الذكر
والتعريف فهو مظلمة جديدة يجب الاستحلال منها اي لانه
ايذاء له قال ومهما ذكر جنايته وعرفها المجني عليه فلم تسمح
نفسه بالاحلال بقيت المظلمة عليه فان هذا احقه فعليه
ان يتلطف به ويسعى في مهماته واغراضه ويظهر من حبه
والشفقة عليه ما يستميل بذلك قلبه فان الانسان عبيد

الاحسان وكل من نفر بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه
بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال فان ابى
الا الاصرار فليكن تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته
التي يمكن ان يجبر بها في القيامة جنايته وليكن قدر سعيه
في فرحه وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في
ايذايه حتى اذا قاوم احدهما مقام الاخر او زاد عليه اخذ
ذلك منه عوضا في القيامة بحكم الله به عليه كمن اتلف في
الدنيا مالا فجاء بمثله فامتنع الذي له المال من القبول ومن
الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض عنه شاء ام ابى فكذلك
يحكم في صعيد القيامة احكم الحاكمين واعدل المقسطين انتهى
اقول وما استشهد به صورته ان يجي بمثله مما يمكنه من حلال
ماله والا فلا يكفي في قضاء الدين رد المال الحرام لان صاحبه
اولى بالرد عليه وان كفى فيبقى مديونا لصاحبه وبالله التوفيق
قال النووي في الاذكار واعلم انه يستحب لصاحب الغيبة
ان يبريه منها ولا يجب عليه ذلك لانه تبرع واسقاط حق

فكان الى خيرته ولكن يستحب له استحبابا متاكدا الابراء ليخلص
اخاه المسلم من وبال هذه المعصية ويفوز هو بعظيم ثواب
الله تعالى في العفو ومحبة الله سبحانه وتعالى قال الله تعالى
والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
قال وطريقه في تطييب نفسه بالعفو ان يذكر نفسه ان
هذا الامر قد وقع ولا سبيل الى دفعه فلا ينبغي ان افوت
ثوابه وخلاص اخي المسلم وقد قال الله تعالى ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف
والايات بنحو ما ذكرنا كثيرة وفي الحديث الصحيح والله في
عون العبد ما كان العبد في عون اخيه انتهى وما ذكره يعم
ساير الذنوب ايضا كما لا يخفى والله اعلم قال الغزالي في المنهاج
واما في الدين بان كفرته او بدعته او ضللته فهو اصعب
الامر فتحتاج الى تكذيب نفسك بين يدي من قلت ذلك له
وان تستحل من صاحبك ان امكنك والا فالابتهال الى الله
تعالى جدا والتندم على ذلك ليرضيه عنك فيكون ذلك

في مشية الله تعالى يوم القيامه والرجاء منه بفضله العظيم
واحسانه العميم انه اذا علم الصدق من قلب العبد فانه يرضى
خصماؤه من خزانة فضله ولا حكم فاعلم هذه حقا راشدا
فهذه هذه فاذا انت عملت ما وصفناه وبرات القلب
عن اختيار مثلها في المستقبل فقد خرجت من الذنوب كلها
وان حصلت منك تبرية القلب ولم يحصل منك قضاء
الفوايت وارضاء الخصوم فالتبعات لازمة وساير الذنوب
مغفورة انتهى كلامه وقال القمولي في الجواهر ان تعلق
بالمعصية حد كالزنا فان لم يثبت ذلك عند الحاكم قال
القاضي ابو الطيب فالافضل ان يستر نفسه وقال القاضي
حسين يكره ان يظهره ولا يحرم قال البندنيجي الا ان يتقادم
عهد ذلك ونقول الحد يسقط بتقادم العهد فلا يحل
لسقوطه قال القمولي وان ثبت عند الحاكم اشترط في توبته
التمكن من اقامة الحد عليه ويجب ذلك عليه ويتوقف
التوبة على استيفايه والامام هو الاثم بترك الاستيفا

قال ابن الصباغ ولو اشتهر بين الناس او تكابه ما يوجب
الحد ولم يثبت عند الحاكم اشترط في صحة توبته عنه
التمكين من اقامة الحد عليه ان لم يتطاول العهد به وان
تطاول ففيه الخلاف في سقوطه بطول العهد قال القمولي
وان كانت المعصيه بترك عبادة كترك الصلاة والصوم
توقفت صحة توبته على قضايها انتهى **اقول** اما ما ذكره
في موضعين من اشتراط التمكين من اقامة الحد عليه في
صحة توبته فهو مذهب ينقل عن المعتزلة وعند الاشاعرة
لا يشترط ذلك كما سياتي وسبق نص امام الحرمين عليه
وقال ابن قدامة الحنبلي في المغني ان كانت معصيته مشهورة
فذكر القاضي ان الاولى الاقرار به ليقام عليه الحد لانه اذا
كان مشهورا فلا فايدة في ترك اقامة الحد عليه والصحيح ان
ترك الاقرار اولى لان النبي صلعم عرض للمقر عنده بالرجوع
عن الاقرار فعرض لماعز وللمقر عنده بالسرقة بالرجوع
مع اشتهاره عنه باقراره وكره الاقرار حتى انه قيل انه

لما قطع السارق كانما اسف وجهه رمادا ولم يرد الامر
بالاقرار ولا الحث عليه في كتاب ولا سنة ولا يصح له قياس
انما ورد الشرع بالستر والاستتار والتعريض للمقر بالرجوع
عن الاقرار وقال لهزال وكان هو الذي امر ماعزا بالاقرار
يا هزال لو سترته بثوبك كان خيرا لك وقال اصحاب الشافعي
توبة هذا اقراره ليقام عليه الحد وليس بصحيح لما ذكرنا و
لان التوبة توجد حقيقتها بدون الاقرار وهي تجب (اي تقطع) ما قبلها
كما ورد في الاخبار مع ما دلت عليه الايات في مغفرة الذنوب
بالاستغفار وترك الاصرار انتهى واما ما ذكره القمولي من
توقف صحة التوبة عن ترك عبادة على قضايها فهو مبني على
شيئين **احدهما** ان قضاء الصلاة والصوم يجب على الفور وفيه
كلام فان من لزمه صلاة ففاتته لزمه قضاؤها قال الشيخ
بهرام المالكي في شرحه الكبير لمختصر الخليل قال ابن بشير
والاجماع منعقد على وجوب قضاء الخمس فما دونه على الناسي
يريد والنايم واكثر العلماء على وجوب ذلك عليه مطلقا

قال بهرام قال الجزولى ولا خلاف بين مالك والشافعى وابى
حنيفة وفقهآء الامصار فى وجوب القضاء على العامد خلافا
لبعضهم يريد به داود قال ومراده لم ينفعه القضآء لا انه
لا يلزمه القضآء اذ لا قايل به قال القاضى عياض وسمعت
بعض شيوخنا يحكى عن مالك فى المفرط قولة شاذة كقول
داود ولا يصح انتهى ما ذكره بهرام وقايل القول المذكور ليس
منحصرا فى داود فقد قال الشيخ عز الدين فى قواعده قال
اهل الظاهر وبعض العلمآء من تعمد ترك الصلاة والصوم لا يلزمه
القضآء انتهى وقال الامام النووى فى شرح المهذب فى كتاب
الصلوة اجمع العلمآء الذين يعتد بهم على ان من ترك صلاة
عمدا لزمه قضاوها وخالفهم ابو محمد على بن حزم فقال لا يقدر
على قضايها ابدا ولا يصح فعلها ابدا قال بل يكثر من فعل الخير
وصلاة التطوع ليثقل ميزانه يوم القيامة وليستغفر الله
تعالى ويتوب اليه وهذا الذى قاله مع انه مخالف للاجماع باطل
من جهة الدليل وبسطوا الكلام فى الاستدلال له وليس فيما

ذكر

ذكر دلالة اصلا ومما يدل على وجوب القضآء حديث ابى هريرة رضه
ان النبى صلعم امر المجامع فى نهار رمضان ان يصوم يوما مع
الكفارة اى بدل اليوم الذى افسده بالجماع عمدا رواه البيهقى
باسناد جيد وروى ابو داود نحوه اقول والصلاة ونحوها
يقاس على الصوم قال ولانه اذا وجب القضآء على التارك
ناسيا فالعامد اولى انتهى فان كان فوات الصلوة بعذر فهل
يجب قضاوها على الفور او على التراخى فيه مذهبان احدهما
واليه ذهب المالكيه والحنبليه وهو وجه للشافعية انه
يجب قضاؤها على الفور حين ذكرها وثانيهما واليه ذهب
جمهور الشافعيه القطع بانه يجب على التراخى وهو الصحيح
ولم اجد فى كتب الحنفيه تصريحا بهذه المسئله نعم نقل العالمى
فى التاتارخانيه عن الحجة ان الاشتغال بقضاء الفوايت اولى
واهم من النوافل الا السنن المعروفة وصلاة الضحى وصلاة
التسبيح والصلاة التى رويت فى الاخبار فيها سور
معدودة انتهى ويستنبط منه انه على التراخى عندهم

قال ره

والا لما جاز سوى الفوايت ولو جب ان يتشاغل بالقضاء
مالم يلحقه مشقة في بدنه او ماله اما في بدنه فبضعف او
خوف مرض او نصب واعياء واما في المال فبقطعه عن
معيشته او فوات شيء من ماله او ضرره كما نص احمد على معنى
هذا ذكره ابن قدامه الحنبلي في المغني وان فوتها بلا عذر
فوجهان للشافعية اصحهما عند العراقيين بل نقل الشيخ
ابو حامد الاتفاق عليه على ما نقله الزركشي في الخادم انه يستحب
القضاء على الفور ويجوز التاخير واصحهما عند الخراسانيين
انه يجب القضاء على الفور وبه قطع جماعات منهم او اكثرهم
على ما قاله النووي في شرح المهذب ونقل امام الحرمين في
النهايه اتفاق الاصحاب عليه وهو الصحيح كما قاله النووي
وهو مقتضى اطلاق المالكية والحنابلة والقول به منا اولى
لان جواز التاخير ترفية وتخفيف والمتعدي لا يستحق ذلك
ومقتضى ما نذكره في الصوم من الحنفية انه على التراخي مطلقا
واما الصوم فذكر صاحب الهداية من الحنفيه ان وجوب

قضاه

الفور بل يوجب

قضايه على التراخي حتى كان له ان يتطوع وقال صاحب غاية
البيان ان الله تعالى اوجب القضاء مطلقا عن الوقت والامر
المطلق لا يوجب التراخي على ما هو الصحيح من مذهب اصحابنا
خلافا للشيخ ابي الحسن الكرخي رح فكل وقت قضى فيه يخرج عن
العهدة لاطلاق الامر ولهذا كان له ان يتطوع فلو كان موجبه
الفور لم يجز التطوع لانه يلزم التاخير حينئذ اقول ومطلق
الامر هل يقتضي الفور والتكرار ام لا قد اطنبنا في بيانه في غاية
الارشاد ولنا تحقيق بليغ في بيان اقتضايه لهما ذكرنا حاصله
في الكلام على وجوب التوبة على الفور في هذا الكتاب وان سلمنا
ان مطلق الامر لا يقتضيهما لكن ذلك لا يمنع وجوب قضاء
الصوم وكذا الصلاة والحج ونحوهما بخصوصها على الفور
على المتعدي بتركها لان جواز التاخير نوع ترفية وتخفيف
والمتعدي لا يستحق ذلك بل انما يستحق التضييق والتغليظ
في زجره وذلك بايجاب قضاء ما تعدى في تفويته على الفور
وللمسئله غير هذا من الادلة ثم مما ذكره يوخذ ان قضاء جميع

العبادات على التراخي عندهم وقد اشعر بذلك صاحب معراج
الدرايه في استدلاله على تراخي قضاء الصوم بقوله ولان الصوم
عبادة موقتة فقضاؤها لا يتوقف بما قبل مجي مثلها كساير
العبادات هذا عند الحنفيه واما عند الشافعيه فقال
النووي في كتاب الصلوة من شرح المهذب الصوم الفايت
من رمضان كالصلاة فان كان معذورا في فواته كالفايت
بالحيض والنفاس والمرض والاغماء والسفر فقضاؤها على التراخي
مالم يحضر رمضان السنة القابلة اقول ويجي فيه الوجه الذي
حكيناه عن حكاية البغوي في الصلاة انه على الفور قال
النووي وان كان متعديا في فواته ففيه الوجهان كالصلاة
اصحهما عند العراقيين ان قضاءها على التراخي واصحهما عند
الخراسانيين وبعض العراقيين وهو الصواب انه على الفور
قال القمولي في كتاب الصوم من جواهر البحر من فاته صوم رمضان
وجب قضاؤه فان فاته بعذر كحيض وسفر ونسيان نية او
غلط بان اكل ظانا انه ليل فبان نهارا كان قضاؤه على التراخي

مالم

مالم يبلغ رمضان الثاني يعني وقتا قبله يسع القضاء لكن المستحب
تعجيله ولا يجوز تاخيره اليه بغير عذر وهذا القضاء مقيد
بهذا الوقت المخصوص فان كان له عذر بان استمر سفره
او مرضه جاز له التاخير مادام العذر باقيا وان بقي سنين
وتكررت رمضانات وان فاته بغير عذر فهل يجب قضاؤه
على الفور او التراخي مالم يبلغ رمضان الثاني فيه وجهان
اصحهما عند الخراسانيين وجماعة من العراقيين انه على
الفور حتى قال البغوي لا يجوز له تاخيره بعذر السفر وحيث
اخر القضاء مع الامكان حتى دخل رمضان الثاني وجب عليه
صوم رمضان الحاضر وقضى الفايت بعده ويجب عليه مع
القضاء لكل يوم مد ولو اخر القضاء حتى مضى رمضانان
فصاعدا فهل يتكرر المد بتكرر السنين ام يكفي مد واحد
عن كل يوم لها كلها فيه وجهان احدهما انه لا يتكرر وينسب الى
ابن سريج وصححه الماوردي وقال البندنيجي انه المذهب و
اصحهما انه يتكرر انتهى واما عند المالكية فقال ابن الحاجب

في فروعه لا يجب قضاء رمضان على الفور اتفاقا قال ابن
عبد السلام في شرحه يعني ان زمن القضاء موسع الى آخر
شعبان الا ان المستحب تعجيل القضاء واختلف في المتاكد من
نافلة الصيام كعاشوراء هل يجوز تقديمها قبل قضاء رمضان
او ما دون ذلك من تطوع الصيام فالمنصوص يعني لمالك
انه لا يفعل قال ابن الحاجب فان اخره الى رمضان ثان من غير
عذر يعني عذر سفر او مرض وما اشبه ذلك فالفدية
اتفاقا فلو مرض او سافر عند تعين القضاء ففي الفدية قولان
قال ابن عبد السلام يعني لو مرض في شعبان او سافر في اواخره
بقدر الايام الواجب عليه صيامها او جرى له ذلك في
جميع شعبان ان كان عليه قضاء جميع الشهر مع سلامة من
الموانع من اول زمن القضاء الى القدر الذي وجب عليه
ان يقضي فيه رمضان وجوبا مضيقا فهل يلزمه الفدية او لا
قولان واما عند الحنبلية فقال ابن قدامه في المغني ان من عليه
صوم رمضان له تاخيره ما لم يدخل رمضان آخر ولا يجوز تاخير

القضاء

القضاء عن رمضان آخر من غير عذر فان اخره فان كان لعذر
فليس عليه الا القضاء وان كان لغير عذر فعليه مع القضاء
اطعام مسكين لكل يوم وبهذا قال ابن عباس وابن عمر وابو هريرة
ومجاهد وسعيد بن جبير ومالك والثوري والاوزاعي و
الشافعي واسحق وقال الحسن والنخعي وابو حنيفه لا فدية عليه
فان اخره لغير عذر حتى ادركه رمضانان او اكثر لم يكن عليه
اكثر من فدية مع القضاء وان مات المفرط بعد ان ادركه رمضان
آخر اطعم عنه لكل يوم مسكين واحد نص عليه وقال ابو الخطاب
يطعم عنه لكل يوم فقيران واختلف الرواية عن احمد في جواز
التطوع بالصوم لمن عليه صوم فرض فنقل عنه حنبل انه قال
لا يجوز له ان يتطوع بالصوم وعليه صوم من الفرض حتى
يقضيه يبدأ بالفرض وان كان عليه نذر صامه يعني بعد
الفرض وروى عنه انه يجوز له التطوع واما الحج فهل قضاؤه
على الفور او التراخي ذكر الحنفية ان من فاته الحج عليه ان
يقضي في العام الذي يلي عامه ولا دم عليه وقال النووي

في شرح المهذب في كتاب الصلاة في المسألة وجهان
اصحهما انه على الفور وذلك لانه متعد بالافساد واطال
الكلام فيه في كتاب الحج يكفي هنا بيان ما ذكره في الروضة
قال فيها يجب على مفسد الحج القضاء بالاتفاق سواء كان
الحج فرضا او تطوعا ويقع القضاء عن المفسد فان كان فرضا
وقع عنه وان كان تطوعا فعنه ولو افسد القضاء بالجماع
لزمه الكفارة ولزمه قضاء واحد وانما يتصور القضاء في
عام الافساد بان يحصر بعد الافساد ويتعذر عليه المضي في
الفاسد فيتحلل ثم يزول الحصر والوقت باق فيشتغل بالقضا
وفي وقت القضاء وجهان اصحهما على الفور والثاني
على التراخي قال القمولي في الجواهر فان اخره عن السنة
المستقبلة بغير عذر اثم ولم يسقط بل تجب المبادرة به
في السنة التي تليها فان اخره اثم ووجب في التي تليها وهكذا
ابدا ولو ارادت المراة القضاء على الفور كان للزوج منعها ان
قلنا انه على التراخي والا فلا وقال الشيخ بهرام المالكي في شرحه

الصغير

الصغير يجب ان يقضي مما افسد من حج او عمرة على الفور
وهو القضاء للحج في العام القابل ولا يوخره عنه فان
اخره عصى وقضاه فيما بعده واما العمرة فيقضيها بعد
التحلل من فاسدها لانها تقع في جميع السنة وسواء كان
الحج الذي افسده فرضا او تطوعا قال واذا احرم قضاء مما
افسد ثم افسد القضاء ثانيا فانه يلزمه ان يحج حجتين احداهما
قضاء عن الاصل والثانيه قضاء عن القضاء المفسد وهو المشهور
وقيل لا يجب عليه الا حجة واحدة وهي الاولى قال وكما يجب عليه حجة
ثانيه بسبب افساده القضاء كذلك يجب عليه هدي اخر
مع الهدي الاول وهو مذهب ابن القاسم وابن وهب وقال
عبد الملك لا يلزمه غير الهدي الاول وقال ابن قدامة الحنبلي
في المغني ان الحج اذا افسد فعليه اتمامه وليس له الخروج
منه ويلزمه الحج من قابل بكل حال لكن ان كانت الحجة التي
افسدها واجبة باصل الشرع او بالنذر او قضاء كانت
الحجة من قابل مجزية ويكون القضاء على الفور ولا نعلم

فيه مخالفا قال والعمرة فيما ذكرناه كالحج قال واذا افسد
القضاء لم يجب عليه قضاؤه وانما يقضي عن الحج الاول
قال النووي في كتاب الصلاة من شرح المهذب واما الكفارة
فان كانت بغير عدوان ككفارة القتل خطأ وكفارة
اليمين في بعض الصور فهي على التراخي بلا خلاف لانه معذور
وان كان متعديا فهل هي على الفور ام على التراخي فيه الوجهان
حكاهما القفال والاصحاب اصحهما على الفور قال القفال
هما كالوجهين في قضاء الحج لان الكفارة كالحج يعني في وضع
الشرع على التراخي مثله الشيء الثاني ان الشخص اذا تاب من
ترك الصلاة والصوم ونحوهما كيف يتوقف صحة توبته على
قضاء الفوايت منها مع ان ترك الاداء شي وترك القضاء
شيء آخر لكن النظر في انه هل لا فرق بينهما فيصير مثل
التوبة من خمر دون خمر دون آخر ومن الزنا بامراة دون
امراة اخرى فلا يصح التوبة من ترك القضاء او بينهما فرق
لان ترك الاداء كبيرة بالضرورة من الدين واما ترك القضاء

فهل

فهل هو كبيرة فيه بحث لان تركه اما ان يكون تركا مطلقا
او مقيدا اعني به التاخير اما الثاني فقد عرفت فيه الخلاف
والتفصيل وان الصحيح في بعض المذاهب الفرق بين ما وقع
بالتعدي وغيره والمنع في الاول والجواز في الثاني واما
الاول وهو ان يكون ترك القضاء مطلقا اعني مع عدم العزم
على القضاء او مع العزم على عدم القضاء وقد علمت ان عند
بعض العلماء لا يجب القضاء مطلقا واختلاف العلماء
في حكم مانع من غلظة الحكم الا ترى ان شرب الخمر وهو
الحاصل من عصير العنب كبيرة وان لم يسكر وكذا مطلق السكر
من ساير الانبذة كبيرة بالاجماع واما شرب مقدار ما لا يسكر
منها هل هو كبيرة فيه خلاف بين العلماء فقد قال القاضي
الماوردي في الحاوي ما اختلف في اباحته كشرب النبيذ
والنكاح بلا ولي ان فعله معتقدا للتحريم كان كبيرة وان لم
يعتقد تحريمه ولا اباحته مع علمه بالخلاف فيه وجهان
قال البصريون هو فاسق مردود الشهادة لان ترك

الاسترشاد فى الشبهات تهاون بالدين وقال البغداديون
لا يفسق لان اعتقاد الاباحة اغلظ من التعاطى ولا يفسق
معتقد الاباحة وكذا قال شريح الروياني في روضة الحكام
من اعتقد مذهب الشافعي اذا شرب النبيذ فهل يكون
كبيرة فيه وجهان واشار القاضي عبد الوهاب ابن السبكى
في جمع الجوامع الى الجزم بكونه صغيرة قال الزركشي في شرحه
وهو المشهور ولذا صرح بالجزم به جلال الدين المحلى في
شرح جمع الجوامع وان سلمنا ان ترك القضاء من الكباير ايضا
لكن لا نسلم مساواته لترك الاداء ولا شك في التفاوت
بين الكباير فيظهر من هذا كله ان التوبة من ترك الصلاة والصوم
صحيحة مع بقاء المتروكات ما قضيت وقد اشعر بذلك الغزالي
حيث قال وان حصلت منك تبرية القلب ولم يحصل منك
قضاء الفوايت وارضاء الخصوم فالتبعات لازمة وساير
الذنوب مغفورة وقد سبق والله اعلم قال القمولي في الجواهر
وان لم يعرف مقدار الصلوات المتروكة قال الغزالي يتحرى و

بالتعاطي او مطلقا

اذ لو لم تصح التوبة لم تغفر ساير الذنوب صح

يقضى

ويقضى ما تحقق انه تركه من حين بلوغه وان كان حقا ماليا
كالزكاة التى اخر اداءها مع الامكان والكفارات اشترط اى في
صحة التوبة عن ترك ادايها ايصالها الى مستحقيها انتهى وقال
الشيخ عز الدين في قواعده ان ما فوته الايمة والحكام من الاموال
مضمون عليهم فى الدنيا وان ادوه بريت ذممهم وبقوا فى عهدة
اثم الحيلولة فان لم يؤدوه اخذ فى الاخرة من حسناتهم فان فنيت
حسناتهم طرح عليهم من سيات من ظلموه ثم طرحوا فى الجحيم يعني
لما صح ذلك في كلام النبي صلعم قال والتقدير اخذ فى الاخرة من
ثواب حسناتهم فان فنيت حسناتهم طرح عليهم من عقوبات
سيات من ظلموه بقدر ظلمه وكذلك الحكم فى الدماء والابضاع
وفيما اخروه من الحقوق التى يجب تقديمها فقد قال رب العالمين
ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا وان كان
مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين انتهى قال الغزالي في
الاحياء وليحاسب نفسه على الحيات والذرات من اول يوم حياته
الى يوم توبته قبل ان يحاسب في القيامة وليناقش نفسه قبل

ان يناقش فمن لم يحاسب نفسه طال في الاخرة حسابه فاذا حصل
مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد ممكن فليكتبه
وليكتب اسماء اصحاب المظالم واحدا واحدا وليطف في نواحي
العالم وليطلبهم وليستحلهم وليؤد حقوقهم وهذه التوبة تشق
على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين
كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل واحد ان يفعل منه
ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات
حتى يقتص منه يوم القيامة فتوخذ حسناته وتوضع في موازين
ارباب المظالم وليكن كثرة حسناته بحسب كثرة مظالمه فانه
ان لم تف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم عليه
فيهلك بسيئات غيره فهذا طريق كل تايب في رد المظالم وهذا
يوجب استغراق العمر في الحسنات لو طال العمر بحسب طول مدة
المظالم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الاجل قريبا
فينبغي ان يكون تشمره للحسنات والوقت ضيق اشد من تشمر
الذي كان في المعاصي في متسع الاوقات انتهى ما ذكره

وقال

وقال الشيخ عز الدين بعد كلامه السابق نقله فان قيل لو مات
المكلف وعليه دين لم ياثم بسببه ولا بمطله فهل يوخذ من
حسناته في الاخرة بمقدار ما عليه من الدين قلنا نعم يوخذ
من ثواب الاخرة بقدر ما عليه من الدين وان فنيت حسناته
كما توخذ امواله ومساكنه وعبيده واماؤه في الدنيا وان لم
يكن آثما بسبب الدين ولا بمطله فان فنيت حسناته في الاخرة
لم يطرح عليه شيء من السيات لانه غير عاص ولا آثم ولا عقوبة
الا على العاصين والآثمين ولا يتعجبن متعجب من ذلك فان ذلك
عدل من الله تعالى في الدنيا والاخرة قال فان قيل فما حكم ما يفضل
عليه من الديون بعد فناء حسناته قلت الامر في ذلك الى الله
تعالى ان شاء عوض رب الدين من عنده وان شاء لم يعوضه انتهى
وقال النووي في زوايد الروضة ظواهر السنة الصحيحة تقتضي
ثبوت المطالبة بالظلامة فان مات معسرا عاجزا اذا كان عاصيا
بالتزامها وللزركشي فيه نظر سبق ذكره قال النووي فاما اذا استدان
في موضع يباح له الاستدانة واستمر عجزه عن الوفاء حتى مات

او اتلف شيئا خطأ او عجز عن غرامته حتى مات فالظاهر ان هذا
لا مطالبة في حقه في الاخرة اذ لا معصية منه والمرجو ان الله
تعالى يعوض صاحب الحق وقد اشار امام الحرمين الى هذا
في كتاب النكاح انتهى وصرح بذلك الغزالي في الاحياء في كتاب
الفقر فقال من كان غرضه الوقف وطلب الثواب فله ان يستقرض
على حسن الظن بالله لا اعتمادا على السلاطين الظلمة فان رزقه
الله من حلال قضاه وان مات قبل القضاء قضاه الله عنه و
ارضى غرماءه وذلك بشرط ان يكون مكشوف الحال عند من
يقرضه ولا يغش المقرض ويخدعه بالمواعيد وان يكشف حاله
عنده ليقدم على اقراضه عن بصيرة ودين مثل هذا واجب
ان يقضى من بيت المال والزكاة انتهى قال الزركشي وما ذكره مولاء
من عدم المطالبة في الاخرة حيث استدان في مباح وفات القضاء
بالعجز والموت هو التحقيق اذ المناسب لاحكام الحليم الكريم
ان تكون هذه الديون على نسبة احكام الدنيا كيف واذا حكم
الشرع في المديان بسبب مباح اذا عجز ان يودى عنه جميع دينه

اي كثير الدين

من سهم الغارمين المحصل في بيت المال على يدى حكام الشرع
فان يقضى الله عن المديان العاجز عن الاداء الى حين موته من
غير عصيان بارضاء غرمائه من خزاين فضله بالطريق الاولى
قال ثم ما جزموا به من انقطاع الطلب عنه في الدنيا ليس على وجهه
فانه اذا كان في بيت المال ما يفي ما عليه وجب اداؤه من بيت
المال قال وهذا من دقيق الفروع الذى ينبغي ان يتنبه له الايمة
العادلون بل والقضاة الذين تحت ايديهم الزكوات وفيها سهم
الغارمين قال وقد نبه على هذا يعنى مع الغزالي ابن عبد البر في
الاستذكار انتهى واذا عرفت حد التوبة وكيفية الخروج عن المظالم
فينبغي ان يتنبه لشئ ذكره الامام الغزالي في منهاج العابدين
فقال فان قلت كيف يمكن الانسان ان يصير بحيث لا يقع منه
ذنب البتة من صغيرا وكبير كيف وانبيا الله تعالى صلوات الله
عليهم الذين هم اشرف خلق الله سبحانه قد اختلف اهل العلم
هل نالوا هذه الدرجة ام لا فاعلم ان هذا امر ممكن غير مستحيل
ثم موهبين والله يختص برحمته من يشاء ثم من شرط التوبة ان لا يتعمد

ذنبا فاما ان وقع منه بسهو وخطاء فهو معفو عنه بفضل الله
تعالى ومناهين على من وفقه الله تعالى انتهى كلامه على ان الله تعالى
قال ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وعن ابي
هريرة رض قال قال رسول الله صلعم الصلوات الخمس والجمعة الى
الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنب الكباير
رواه مسلم وذلك قد يوهم ان التوبه عن الصغاير لا يجب وليس
كذلك قال الزركشي في شرح جمع الجوامع يجب التوبة من الصغاير
كما يجب من الكباير خلافا لابي هاشم فانه قال لا يجب التوبة منها على
من عرف انه لا عقاب فيها وان كانت الصغيرة محرمة وهو محجوب
باجماع المسلمين على وجوب التوبة من الصغاير والكباير ولم يحفظ امام
الحرمين في الارشاد خلاف ابي هاشم في هذه المسئله وتبعه
تلميذه الانصاري في شرحه فحكى الاجماع على وجوب التوبة
من الصغاير قال وكان الشيخ الامام السبكي مترددا في وجوب
التوبه عينا من الصغاير ويقول لعل وقوعها تكفره الصلاة
واجتناب الكباير فهذا يقتضي ان الواجب احد الامرين التوبة

اوفعل ما يكفرها وبتقدير الوجوب فيحتمل ان لا يجب
على الفور بل حتى يمضي ما يكفرها وخالفه ولده المصنف
فقال الذي اراه وجوب التوبه عينا على الفور عن كل ذنب نعم
ان فرض عدم التوبه عن الصغيرة ثم جاءت المكفرات كفرت
الصغيرتين وهما تلك الصغيرة وعدم التوبة منها

ان كانت بعد وقوفه عليه

اقول وهذا هو المختار لعموم النصوص الموجبة للتوبة مع عدم
ما يصلح للتخصيص ولاجماع المسلمين قبل ابي هاشم وبعده
عليه وابو هاشم محجوج بالاجماع قبله وآثم بمخالفته والله اعلم
وقال الغزالي في الاحياء بعد ما اطلق تكفير اجتناب الكباير
للصغاير ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها
مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امراة ومواقعتها فيكف
نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدة نفسه
في الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدامه على
النظر في اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن
امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف

امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا وكل من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو
ابيح له شربها ما شربها فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته
كسماع الملاهي والاوتار نعم من يشتهي الخمر وسماع الملاهي فيمسك نفسه
بالمجاهدة عن الخمر ويطلقها في السماع فمجاهدة النفس بالكف
ربما يمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية السماع و
كل هذا احكام اخروية يجوز ان يبقى بعضها في محل الشك فيكون
من المتشابهات ولا يعرف تفصيلها الا بالنص ولم يرد النص بعدد
ولا بحد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة فقد روى ابو هريرة رض
عن رسول الله صلعم انه قال الصلاة الى الصلاة كفارة الا من ثلاث
الاشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة
قال الخروج عن الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه
بالسيف يقاتله قال العراقي في التخريج روى الحاكم من حديث ابي هريرة
نحوه وقال صحيح الاسناد انتهى وما ذكره في الخروج عن الجماعة
هو اذا كان بغير عذر يجوز له وقد سبق بيان ذلك قال الغزالي فهذا
وامثاله من الالفاظ لا يحيط بالعدد كله ولا يدل على حد جامع فيبقى

لا محاله

لا محاله مبهما فان قلت الشهادة لا تقبل الا ممن يجتنب الكباير
والورع عن الصغيرة شرطا في قبول الشهادة وهذا من احكام الدنيا
فاعلم انا لا نخصص رد الشهادة بالكباير فلا خلاف ان من يسمع الملاهي
ويلبس الديباج ويتختم بالذهب ويشرب في اواني الذهب والفضة
لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكباير قال
وقال الشافعي رح اذا شرب الحنفي النبيذ حددته ولم ارد شهادته
فقد جعله كبيرة بايجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على ان الشهادة
نفيا واثباتا لا تدور على الصغاير والكباير بل كل الذنوب يقدح في
العدالة الا ما لا يخلو الانسان عنه غالبا بضرورة مجاري العادات
كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الاقوال وسماع
الغيبة وترك الامر بالمعروف واكل الشبهات وسب الولد والغلام
وضربهما بحكم الغضب زايدا على حد المصلحة واكرام السلاطين الظلمة
ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون
اليه من امر الدين فهذه ذنوب لا يتصور ان ينفك الشاهد عن قليلها
وكثيرها الا بان يعتزل من الناس ويتجرد لامر الاخرة ويجاهد نفسه

مدة يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولولم نقبل الا قول مثله
لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير و
سماع الملاهي واللعب بالنرد ومجالسة الشربة فى وقت الشرب و
الخلوة بالاجنبيات ونحوهن الصغاير من هذا القبيل فالى
مثل هذا المنهاج ينبغى ان تنظر في قبول الشهادة وردها الى
الصغيرة والكبيرة اما احاد هذه الصغاير التى لا يردّ الشهادة
بها لو واظب عليها لاثرت في ردّ الشهادة كمن اتخذ الغيبة
وثلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقتهم والصغيرة
تكبر بالمواظبة كاللعب بالشطرنج والترنم بالغناء على الدوام
وغيره انتهى كلامه ههنا وما اختاره فى الباب مما يردّ الشهادة و
ما لا يردها خلاف ما اختاره الاصحاب كما نبه عليه القمولى فى
جواهر البحر قال في منهاج العابدين فان قلت انما يمنعنى من التوبة
انى اعود الى الذنب ولا اثبت على التوبة فلا فايدة فى ذلك فاعلم
ان هذا غرور من الشيطان ومن اين لك هذا العلم فعسى ان تموت
تايبا قبل ان تعود الى الذنب واما الخوف من العود فعليك العزم

بما لا
اى لا علم من نفسى

والصدق

والصدق في ذلك وعلى الله الاتمام فان تم فمن فضله وان لم يتم فقد
غفرت ذنوبك السالفة كلها وتخلصت منها وتطهرت وليس
عليك الا هذا الحديث الذى احدثته الان وهذا هو الربح العظيم
والفايدة الكبرى ولا يمنعك خوف العود عن التوبه فانك من
التوبه بين احدى الحسنيين والله ولى التوفيق والهداية انتهى وما
ذكره من عدم قدح نقض التوبه فى صحتها عن الذنوب الماضية قال
النووى في زوايد الروضة هو مذهب اهل الحق قال الزركشى في
شرح الجمع هو المشهور ونقل فيه وفي الخادم عن امام
الحرمين عن القاضى ابى بكر ان توبته الاولى تنتقض حتى يلقى الله
مواخذا بحكم الزلة الاولى التى تاب منها قال في شرح الجمع
والصحيح الاول فانه كمن ترك صلاة فقضاها ثم تركها فالاولى
التى قضاها لا يطالب بحكمها بل هى تامة انتهى واعلم انه
قال نجم الدين القمولى في جواهر البحر والتوبة من اعظم العبادات فلابد
فيها من النية وتبعه على ذلك الدميرى في شرح المنهاج وقال
صاحب المواقف تبعا للامدى الظاهر ان التوبة طاعة واجبة

فيثاب عليها لانها ما مور بها قال الله تعالى توبوا الى الله
جميعا ايها المومنون والامر ظاهر فى الوجوب لكنه غير قاطع
لجواز ان يكون رخصة وايذانا بقبولها دفعا للقنوط كقوله
تعالى لا تقنطوا من رحمة الله لا تيا سوا من روح الله ان الله يغفر
الذنوب جميعا **اقول** ولا خلاف في وجوب التوبه بل على الفور
ايضا وقد سبق ما فيه كفاية فى الباب وكيف يرخص فى تركها
مع ان بقاء الذنب يستحق العبد العقاب وهى طريقة فى الخروج
عن حكم التلبس بالذنب وفى دفع استحقاق العذاب عن نفسه
بها ان كان دفع الاستحقاق بها غير مقطوع به من جهة
احتمال تقصيره فى الاتيان بجميع اركانها وشروطها فان ذلك
من نفسه لا من الله تعالى وكون كون الامر للوجوب ظاهرا غير
مقطوع به هو فى الامر المجرد عن المؤيدات والقراين وقد
اجتمع فى هذه المسئله منها ما لا محيص بسببها عن الحكم
بالوجوب قطعا **لكن** يبقى النظر فى انه هل يكون بذلك من العبادات
فلا بد فيها من النية اذ لا يلزم ان يكون كل ما مور به واجب

عباده

عبادة يفتقر صحتها الى النية كازالة النجاسة بالاتفاق فانه
ما مور بها فى عموم قوله تعالى والرجز فاهجر وفى اخبار صحيحة منها
قوله صلعم لاسماء فى دم الحيض حتيه ثم اقرصيه ثم اغسليه بالماء
مع انها لا تعد من العبادات ولا يفتقر الى النية بلا خلاف نعم
اذا نويت صارت عبادة وكازالة الحدث عند من لا يوجب
فيها النية فانه ما مور بها بقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم الاية
وكذا وقع الامر به فى الصحيح فى حديث الاعرابى المسئ لصلاته فانه
صلعم قال له اذا قمت الى الصلوة فاسبغ الوضوء الحديث رواه
البخارى ومسلم مع انها لا تفتقر الى النية عند من لا يوجب
فيها النية **وانما** يظهر وجوب النية فى التوبة ببيان انها عبادة
فيكون صحتها مفتقرة الى النية وبان يقال فى بيان المقدمة الاولى
انها داخلة فى حد العبادة وهو انها عمل او تركه يتقرب به الى الله
تعالى على ما هذبناه من العبارات المختلفه فيه فى غاية الارشاد
وقولنا عمل ليتناول العمل الظاهر والباطن وقولنا او تركه ليتناول

ترك المحرمات والمكروهات من عمل الظاهر والباطن ولا شك
في ان التوبة كذلك ويقال في بيان المقدمة الثانية قال الله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فلما كانت العبادة
مأمورًا بها حال الاخلاص يكون مأمورًا بها حال النية لان النية
داخلة في الاخلاص كيف وهو عبارة عن النية الخالصة ويدل
على وجوب النية فيها ايضا قوله صلعم انما الاعمال بالنيات و
انما لكل امرئ ما نوى حديث صحيح رواه الشيخان البخاري في
مواضع من صحيحه ومسلم في كتاب الجهاد والتوبة من اعظم
الاعمال واعظمها بعد الايمان ويدل على وجوبها ايضا القياس
على الحج والعلة الجامعة كونهما عبادة مكفرة للذنب كلها
مع وجوب النية فيه اما تكفير الحج لها فلقوله صلعم من حج
لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه رواه البخاري
ومسلم عن رواية ابي هريرة رض ولقوله صلعم العمرة الى العمرة
كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة رواه الشيخان

ايضا ويصح القياس على العمرة ايضا فانه كالحج للحديث
المذكور ولحديث ابن عباس رض ايضا قال قال رسول الله صلعم
ان عمرة في رمضان تعدل حجة رواه الشيخان ايضا واما
تكفير التوبة للذنوب فلقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة
عن عباده وقوله غافر الذنب وقابل التوب ولا معنى لقبول
التوبة الا تكفير الذنوب التي تاب عنها وقوله سبحانه انه
كان للاوابين غفورا قال الغزالي قال سعيد بن المسيب نزل
في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب اقول وذلك لان
الاواب صيغة مبالغة من الايب وهو التايب والمبالغة
في التوبة انما يمكن بالتكرار وتكرارها انما يكون بتكرار الذنب
واذا وقع المغفرة عند تكرار الذنب اذا تاب فان تقع اذا تاب
ولم يعد الى الذنب بطريق الاولى هكذا سنح لي في توجيه
ذلك والله اعلم ولقوله صلعم ان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب
الله عليه رواه الشيخان عن رواية عايشه رض وعن ابي هريرة
رض قال قال رسول الله صلعم من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها

تاب الله عليه رواه مسلم ومعنى تاب الله عليه قبل توبته
وغفر ذنبه ولانعقاد الاجماع على قبول التوبة وان
اختلفوا في كونه قطعيا او ظنيا ولا معنى لقبولها الا تكفير
الذنوب واما وجوب النية في الحج والعمرة فللاجماع عليه
ويصح قياسها ايضا على الصلوات الخمس وصوم رمضان والجامع
كونها عبادات تكفر الذنوب مع وجوب النية في الصلوة والصوم
بالاجماع بل افتقار التوبة الى النية اولى من افتقار الصلاة
والصوم اليها لان التوبة عبادة اعظم منهما كيف وهي تكفر
الكباير ايضا بخلاف الصوم والصلاة فانهما انما تكفران
الصغاير بشرط الاجتناب عن الكباير كما سبق واذا ثبت بما
قررناه وجوب النية في التوبة فيبقى الكلام في وقت النية ومقتضى
مذهب الحنفية والحنبلية في نية الصلوة ان لا يدخل بينهما
زمان طويل ولا عمل اجنبي عنها ومذهب المالكيه والشافعيه
في نية الصلاة وجوب المقارنة والصحيح المختار في مذهب الشافعي
الاكتفاء بالمقارنة العرفية وهي مقارنة النية لبعض التكبير

اذ

اذ يعد بذلك مستحضرا لها والمقارنة الحقيقية تكليف
شطط لم يعهد من الاولين والله تعالى يقول وما جعل عليكم
في الدين من حرج ثم اجراء نية التوبة على هذه الطريقة غير ممكنة
لان التوبة عمل قلبي كالنية والخاطران لا يجتمعان في آن واحد و
ان اجتمعا لكن لا شك في قيام اشد حرج فيه فيظهر جواز
تقديم النية عليها لكن ينبغي تقدير مدة التقديم ومقتضى مذهب
الجمهور ان تكون عقبها من غير تحلل زمان بينهما حقيقة ومقتضى
المذهب المختار الاكتفاء بان تكون عقبها بحيث لا يعد التايب
عند اول التوبة غافلا عن نيتها عرفا ولقايل ان يقول اذا كان
التوبة واجبة على الفور فكيف يجوز اللبث زمان النية والجواب
ان مقدار هذا التاخير جايز لضرورة اداء ما وجب عليه من النية
وايضا فمقتضى مذهب جمهور الشافعية انها تكون من اركان التوبة
ومقتضى مذهب الحنفيه انها تكون من شروطها فيضطر اليها
على كل حال في الاتيان بالتوبة فكيف لا يجوز اللبث زمان النية
هكذا ظهر لي كل هذا والله اعلم واما التوبة عن الكفر فالظاهر

كنية الصلاة وغيرها ع

انما قسنا على نية الصلاة دون نية سائر العبادات
لانها في امكان المقارنة على الوجه المذكور بينها
اشبه فان الصوم في مقارنة نيتها بابتدائها
عسر شديد بل في حد الامتناع فيجوز تقديمها
عليه وفي غيره المقارنة سهلة على ما قيل ولعله
لا تفاوت في جميع العبادات من الصعوبة فالمختار
ان العبرة في الكل بالمقارنة العرفية الا في الصوم
فيجوز القياس على سائر العبادات
غير الصوم ايضا
والله اعلم ع

انه لا يفتقر الى النيه لان التوبة هي الندم على الكفر وليس
اسلامه توبة عن كفره نعم لا يتصور ان يؤمن ولا يندم على كفره
بل يجب مقارنة الايمان الندم على الكفر كما قاله امام الحرمين فعلى
هذا لا يمكن مقارنة النية للتوبة عنه ولا فايدة فى التقديم اذ
لا عبرة بالنية فى حال الكفر كما صرحوا به ولا يخفى والله اعلم مطلقاً
ولا بأس ببيان بعض ما يعين على مفارقة الذنوب واجتنابها
فمما يرد وسوسة الشيطان واضلاله وامره بالفواحش اسم الله
تعالى الفعال قال الفقيه ابو القسم بن على البخارى فى شرح
مختصر للزاهد احمد البونى فى الاسماء والدعوات اسم الله
الفعال يصلح للمغلوبين بالخواطر والوسواس والخيالات وكثرة
الافكار واغتمام القلب يكون بهذا السبب فمهما ذكره من
هذه صفته نقلت افكاره الى ما يقع به سرور وفرح **وقال**
فى اسم الحى واسم القيوم من ذكرهما مبادي الصبح الى طلوع الشمس
يجد من الزيادة فى الخشية والنزوع الى طلب الفضايل ما لم يعهده
قبل **وقال** فى اسم العزيز والجبار والمتكبر هى من اسماء صفات

الذات الملازمه للخوف والرهبة والعظمة لا يذكرها ذليل
الا عز ولا حقير الا ارتفع ولو تلاها بين يدي جبار ذل له
وخضع ولا يذكرها ملك من ملوك الارض الا وجد فى
نفسه ذلةً وانكساراً قال ولا يتوهم انه يظهر تاثير ذلك
من المرة والمرتين بل اذا استدام الذاكر الذكر واقله ساعة
زمانية فانه يوافقه بعض عوالمه عليه فاذا استدام اكثر
من ذلك اقبلت عوالمه وروحانياتها تذكر معه وحينئذ يرى
آثار الانفعالات فى نفسه وغيره بقدر حضوره وصفاء
نيته وتصحيح عزيمته **اقول** ولا يخفى فى اشتراط هذا الشرط
فى تأثير ساير الاسماء ايضا الا اذا كان لاسم منها عدد معين
والله اعلم **وقال** فى اسم الملك والقدوس يصلح للسالك الذى
يغلبه شهوات نفسه فانه لا يستديم ذكره من هذا مقامه
الا بعث الله اليه قوة ملكيه يؤيده وينصره على من يخالفه
من عوالمه **وقد** يحتاج الانسان فى قطع شهوة الجماع اذا غلبت
وخيف تاديته الى ارتكاب المحرم منه او الاكثار منه مع كونه

مع الايمان

مبتلًى به الى استعمال بعض الادويه والمعاجين وتناولها مثل
الكافور قال ابن البيطار في المغني استعماله يقطع الباه وان شرب
كان في ذلك اقوى وقال رشد اللبيب في معاشرة الحبيب اذا نقع
من الكافور نصف مثقال في ماء وشرب ابطل العضو وقطع
النكاح قال ونور الحناء الذي يسمى الفاغية اذا نقع في الماء
حتى يصفر وشرب عَمِلَ عَمَلَ الكافور اوقريبا منه انتهى ولكن
يجب كون المستعمل للكافور على حذر من ضرره قال الرازي
في الحاوي اخذ رجل من معار في ستة مثاقيل كافور في ثلاث مرات
ففسدت معدته حتى لم يهضم البته وانقطع عنه الباه بواحدة
ولم يحدث عليه مرض غير هذا وقال صاحب منهاج البيان الاكثار
منه يسرع الشيب ويقطع الباه ويولد حصا الكلى والمثانه وفي
الحاوي في الامراض عن الطبري قال ان شرب من بزر الخس راحة
وافرة بماء بارد قطع الباه وعن اهرن مما يقطع المني جوارش
الكمّون مع الخل قال الرازي يسقى جوزة من جوارش الكمّون بالخل
اذا كانت حرارة وبماء السداب وبماء الفوتنج اذا لم تكن حرارة

انتهى وجوارش الكمّون هو ما ذكره صاحب كامل الصناعة كمّون
كرماني منقوع بخل خمر يوما وليلة مجفف في الظل ثم مقلو بالنار
رطلان فلفل اسود ثلاث اواق زنجبيل صيني اربعة اواق بورق
ارمني عشرة دراهم ورق السداب المجفف في الظل اربع اواق يجمع
هذه الادوية مسحوقة منخولة وتعجن بعسل منزوع الرغوة ثلاثة امثال
الادوية وذكر الرازي ايضا في الحاوي قرصا لكثرة المني يقطعه
بهمنان جزان بزر الفقد وايرسا نصف جزء من كل واحد يعجن
بعصير السداب ويقرص الشربة درهم قال دواء آخر يوخذ ورد
واقاقيا وعفص وبزر الرجله يستف بعصير الكراث وفي الشفاء
للطبيب خضر بن الخطاب الرومي دواء يقلل الجماع والمني بزر الفقد
وبزر الفوتنج والسداب خمسه خمسة كمّون سعد جلنار درهمان
درهمان يستف غدوة وعشية راحة راحة ويسمّى قاطع النسل
آخر يقلل المني ويستعمل اذا كان من حرارة بزر الخس وبزر الرجلة
من كل واحد عشرة دراهم بزرقطونا كسفرة يابسة ثلثه ثلثة
جلنار وبزر نيلوفر وورد احمر درهمان درهمان يوخذ منه ثلاثة

دراهم مع جوزبزكا فورا ياماً وذكر فيه دواء آخر وقال يقطع
الجماع بالكلية وهو من الخواص باخذ خصية الاسقنقور
اليمني وبجفف ويسحق ويداف بماء السداب الرطب فمن شرب
منه وزن قيراط انقطعت شهوته ونسله وقال الامام فخر الدين
الرازي في كتابه المسمى بالطب الكبير زعم ابقراط ان اكثر مادة
المني من الدماغ وانه ينزل من العرقين اللذين خلف الاذنين ولذلك
يقطع فصدهما النسل ويورث العقر واما جالينوس فانه
لم يعرف هل قطع هذين العرقين يورث العقر ام لا انتهى اقول
وما نقله عن ابقراط من التفريع يرشد الى ان المفرع عليه ثابت
مقرر عنده بالتجربة فعلى هذا لا التفات الى عدم معرفة جالينوس
ذلك لانه مستند الى عدم استيفاء تجربته اياه والله اعلم
اذا عرفت هذا فلك ان تقول هل يجوز شرعا مباشرة هذه
الامور وفيها ما يقطع النسل بالكلية مع ان الانسان اذا فعل
شيئا لانسان قطع منيه ونسله يجب عليه الدية فيلزم كونه
ذنبا عظيما والجواب ان فعل ذلك لغيره كذلك لا نزاع فيه

لكن

لكن يجوز للانسان ان لا يقرب من المراة مطلقا سواء كانت
مزوجه او مملوكه في جميع عمره فاي فرق بينه وبين قطع نسل
نفسه بسبب لا يضر بدنه تحرزا من ارتكاب الجماع المحرم ولا
سيما فيه دفع اعظم المفسدتين باصغرهما بل يمكن القول بجواز
ذلك مطلقا في حق من كان من ابناء الملوك او نحوهم وولادة
اولاد له مما يؤدي الى مفاسد عظيمة الخطر شرعا كسفك
الدماء وغصب الاموال ومباشرة المجامعات المحرمة وساير
التجاوزات عن حدود الشرع الحادثة بسبب تلك الاولاد
بان يكونوا سببا لجعل الناس والدهم سلطانا بالجبر ويترتب
على سلطنته ظهور المفاسد على يده او بان يظهر تلك المفاسد
على ايدي تلك الاولاد التي حصلت بسبب والدهم او على ايدي
من يتعلق بهم مع ان والدهم يعلم او يظن ظنا غالبا ذلك منهم
وما احسن قول من قال بالفارسية بيت عاقبت كرك زاده كرك
شود كرجه با آدمي بزرك شود ولا يخفى استحقاق الوالد
العذاب بسبب امثال تلك الاولاد وكونه سببا لهم مع علمه

اوطنه بما يصدر عنهم ويحدث بسببهم من المفاسد والمضار
ويشهد له شهادة صادقة ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله
بن عباس رض قال قال النبي صلعم ليس من نفس يقتل ظلما الا كان
على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل
وما رواه مسلم عن جرير رض قال قال رسول الله صلعم من سن في
الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده
من غير ان ينقص من اجورهم ومن سن في الاسلام سيئة كان
عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من
اوزارهم شيء انتهى وعن بلال بن حارث المزني رض قال قال
رسول الله صلعم من احيى سنة من سنتي قد اميتت بعدي فان
له من الاجر مثل اجور من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم
شيا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان
عليه من الاثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا
رواه الترمذي وقال حديث حسن ورواه ابن ماجه عن كثير
بن عبد الله بن عمرو عن ابيه عن جده فحكم رسول الله صلعم بعود

اثر

مما يتأكد وجوب النظر فيه

اثر عمل العاملين بتلك البدعة الى واضعها الاول ومبتدعها
المتقدم لكونه بوضعه اياها سببا لعمل العاملين بها بعده فكذا
فيما نحن فيه بالقياس الظاهر وان كان ابتداء الامر لا باس به لكنه
يؤدي الى المفسدة عادة بلا شك فيه يلحق بذلك وبالله التوفيق
ثم لا شك ان المفاسد المذكورة الحاصله لواحد من ابناء الملوك
كنفسي المذنبه المسرفة بتقوى الله وطاعته مثلا بسبب الاولاد
على تقدير حصولها غالبة على مفسدة قطع نسل نفسه بدواء
على تقدير كونه حراما اذا لم يكن بد من احدهما فيلزم جواز
قطع نسل النفس بل وجوبه اذ يجوز بل يجب دفع اعظم المفسدتين
المحرمتين باصغرهما اذا لم يكن من احدهما بد كما هي قاعدة مقررة
في الشرع وقد اكثر من ايراد امثلتها الشيخ عز الدين بن عبد السلام
في قواعده وينبغي ان يتنبه لمعنى آخر وهو ان بعض الناس قد
ينتهي في تناول الخمر الى حد يصعب عليه تركه فينبغي ان يتدارك
فيه بالحيل ومنها ما ذكره صاحب الشفاء السابق ذكره فقال
المعتاد بالشراب اذا اراد تركه ينبغي ان يجوع نفسه اياما

من التوقان

ثم ياكل الخبز الملتت بالشراب ويجتنب اللحم فان تاقت نفسه الى
الشراب شرب نبيذ الفانيذ ممزوجا ويستعمل الاطريفل او يثرد
الخبز النقي اربعة ايام في خمر العنب ويعطى على الريق فانه يبغض
الخمر او يوخذ من الذباب قدر دانق ويجفف في الظل ويسحق
ويجعل في الشراب ويسقى فانه يبغضه انتهى وبعض هذه الامور
محرمة لكن قد يشتد الضرورات فتبيح المحظورات وصنعة
الاطريفل المذكور على ما ذكره صاحب الكامل وغيره ان يؤخذ
هليلج اصفر وكابلي منزوعان وهليلج اسود مرضوضة على
قدر السمسم وبليلج واملج بالسويه يدقان وينخلان بحرير
ويلت الجميع بدهن اللوز الحلو ويعجن بثلاثه امثال الادوية
عسلا منزوع الرغوة وقدر ما يستعمل منه ثلاثة دراهم وهو
من الادويه التي يبقى قوته من شهرين الى سنتين وله منفعة
تقليل المني ايضا واعم دواء لقطع شهوة الذنوب كلها الجوع
قال الغزالي في كتاب كسر الشهوتين من الاحياء في الكلام على
فوايد الجوع من كبار فوايد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء

على

على نفس الامارة بالسوء فان منشأ المعاصي كلها الشهوات و
القوى ومادة القوى والشهوات لا محالة الاطعمة وتقليلها
يضعف كل شهوة وقوة وانما السعادة كلها في ان يملك الانسان
نفسه والشقاوة في ان لا يملكها قال ذو النون ما شبعت قط
الا وعصيت او هممت بمعصية وقالت عايشه رض اول بدعة
حدثت بعد رسول الله صلعم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم
جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست فايدة بل هي من خزاين
الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانه من خزاين الله فاول ما يندفع به
شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه شهوة
فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب
والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك فاذا شبع افتقر الى
فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس ولا يكب الناس في النار
على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما شهوة الفرج فلا يخفى
غايلتها والجوع يكفي شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان
منعه التقوى لم يملك عينه والعين يزني كالفرج فان ملك

اى تميلة

عينه بغطاء التقوى فلا يملك فكره فيخطر له من الافكار
الرديه وحديث النفس باسباب الشهوه وتيشوّش به مناجاته
وربما عرض في اثناء الصلاة وانما ذكرنا آفة اللسان و
الفرج مثالا والا فجميع معاصي الاعضاء السبعه سببها القوة
الحاصلة بالشبع ويقرب منه مما عدّه من فوايد الجوع الانكسار
والذل وزوال الفرح والبطر والأشر [أي شدة الفرح] الذى هو مبدأ الطغيان
والغفلة عن الله عز وجل ولا تنكسر [عطف تفسيري] النفس ولا تذل بشئ كما تذل
بالجوع فعنده تستكين [أي تخضع] لربها وتخشع وتقف على عجزها وذلها
اذ ضعفت منّتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام التى فاتتها واظلمت
عليه الدنيا بشربة ماء تأخرت عنها ومن لم يشاهد ذل نفسه
وعجزه لم ير عزّ مولاه وقهره وانما سعادته فى ان يكون دايما
جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدًا للاضطرار بالشوق وممّا
عدّه من فوايده صفاء القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة
فانّ الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويكثر البخار فى الدماغ
شبه السكر حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه

عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبى اذا اكثر
الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطئ الفهم والادراك
ومنه رقّة القلب وصفاوه الذى به يتهيّأ لادراك لذة المناجاة
والتأثّر بالذكر وكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب و
لكن القلب لا يلتذّ به ولا يتأثّر حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوة
القلب وقد يرقّ في بعض الاحوال فيعظم تأثّره بالذكر ويلتذّ بالمناجاة
وخلوّ المعدة هو السبب الاظهر فيه ومنه دفع النوم ودوام السهر
فان من شبع شرب كثيرًا ومن كثر شربه كثر نومه واجمع سبعون
صديقا على انّ كثرة النوم من كثرة الشرب وفى كثرة النوم ضياع العمر
وفوت التهجّد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر نفس الجواهر
وهو رأس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فبكثرته ينقص العمر
ثم فضيلة التهجّد لا يخفى وفي النّوم فواته ومهما غلب النوم
وتهجّد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتعزّب اذا نام على الشبع احتلم
ويمنعه ذلك ايضا من التهجّد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد
فيتأذّى به اقول بل يؤدّى الي المرض في بعض الاشخاص وهو مانع

من العبادات كما يأتيك بعد قال او يحتاج الى الحمّام وربما يقع
عينه على عورة فى دخول الحمّام فان فيه ايضا اخطارا اقول
يحصل بكثرة دخول الحمام والغسل بالماء البارد ترطّبا لدماغ
بل حتى الزكام والنزلة ولا شك ان رطوبة الدماغ يبلد الذهن وينفي
انقاد القريحة ونفاذ البصيره فقد جرّبنا كل ذلك كثيرًا وانت اسأل
المجرِّب ولا تسأل الطبيب قال وكذلك اثر الشبع فالنوم منبع
الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له انتهى واعلم ان كون
النوم مذموما ليس على اطلاقه كيف مع انه من الامور الضرورية
للانسان وقد يؤدي السّهر الى بعض الامراض كاختلاط العقل
بل المقصود ذمّ الاكثار منه قال الشيخ شهاب الدين السّهروردي
الصوفي في عوارف المعارف في الباب الثامن والاربعين من
عجز عن قيام الليل كله يستحب له قيام ثلثيه او ثلثه واقل الاستحباب
سدس الليل فاما ان ينام ثلث الليل الاول ويقوم نصفه وينام
سدسه الاخير او ينام النصف الاول ويقوم ثلثه وينام السّدس
فيكون القيام بين النومين والاغلب لنفس من اول الليل

وسعد

82

ويتنفل فاذا غلبه النوم ينام فاذا انتبه يتوضأ فيكون له
قومتان ونومتان ويكون ذلك من افضل ما يفعله ولا يصلّي
وعنده نوم يشغله عن الصلاة والتلاوة حتى يعقل ما يقول
قال ولا يليق بالطالب ولا ينبغي له ان يطلع الفجر وهو نايم الا ان
يكون سبق له من الليل قيام طويل فيعذر فى ذلك على انه اذا
استيقظ قبل الفجر بساعة مع قيام قليل سبق في الليل يكون
افضل من قيام طويل ثم النوم الى بعد طلوع الفجر قال فاذا استيقظ
قبل طلوع الفجر يكثر الاستغفار والتسبيح ويغتنم تلك الساعة
وكلما صلى بالليل يجلس قليلا بعد كل ركعتين ويسبّح ويستغفر
ويصلّي على رسول الله صلعم فانه يجد بذلك ترويحا وقوة على
القيام قال والذى يخلّ بقيام الليل كثرة الاهتمام بامور الدنيا
وكثرة اشغال الدنيا واتعاب الجوارح والامتلاء من الطعام و
كثرة الحديث واللهو واهمال القيلولة والموفَّق من يعرف داءه
ودواءه ولا يهمل فيُهمَل وقال في الباب الخمسين والنوم بعد الفراغ
من صلاة الضحى وبعد الفراغ من اعداد اخر من الركعات حسن

قال سفين كان يعجبهم اذا فرغوا ان يناموا طلبا للسلامة ومنها
النوم فيه فوايد منها انه يعين على قيام الليل ومنها ان النفس
تستريح ويصفو القلب لبقية النهار والعمل فيه والنفس اذا
استراحت عادت جديدة فبعد الانتباه من نوم النهار يستجد
الباطن نشاطا اخر وشعفا آخر كما كان في اول النهار وينبغي ان يكون
انتباهه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتمكن من الوضوء و
الطهارة وقت الاستواء مستقبل القبلة ذاكرا ومسبحا وتاليا
قال الله تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وقال فسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب قيل قبل طلوع الشمس صلوة الصبح
وقبل الغروب صلاة العصر ومن آناء الليل فسبح اراد العشاء
الاخيرة واطراف النهار اراد الظهر والمغرب لان الظهر صلاة في
آخر الطرف الاول من النهار واخر الطرف الاخر غروب الشمس وفيها
صلوة المغرب فصار الظهر اول الطرف الاخر فيستقبل الطرف الاخر
باليقظة والذكر كما استقبل الطرف الاول وقد عاد بنوم النهار
جديدا كما كان بنوم الليل ومما عده الغزالي من فوايد الجوع صحة البدن

ودفع

ودفع الامراض قال فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط
في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع
من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء
والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وتعبات لا يخلو الانسان فيها
بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما
يدفع عنه كل ذلك انتهى وقد يحتاج في دفع الذنوب ودرء مفسدتها
الى الانقطاع من الاصحاب السوء ومفارقتهم قال الاستاذ ابو القاسم
القشيري في باب التوبة من رسالته فانهم هم الذين يحملونه على رد
هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم يعني العزم على عدم
العود الى الذنب ولا يتم ذلك الا بالمواظبة على المشاهدة التي تزيد
رغبته في التوبة وتوفر دواعيه على اتمام ما عزم عليه مما يقوي خوفه
ورجاءه فعند ذلك ينحل من قلبه عقدة الاصرار على ما هو عليه
من قبيح الفعال فيقف عن تعاطي المحظورات انتهى وقال الامام الغزالي
في المنهاج العايق الثاني الخلق ثم عليك وفقك الله وايانا لطاعته
بالتفرد عن الخلق وذلك لامرين احدهما انهم يشغلونك عن عبادة الله

عزوجل بل يمنعونك منها بل يوقعونك في الشر والهلاك على ما قال
حاتم الاصم رح طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجد طلبت منهم
الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت عينوني عليها ان لم تفعلوا فلم
يفعلوا فقلت ارضوا مني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها
اذن فمنعوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله العظيم ولا تعادوني
عليها ان لم اتابعكم ففعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي قال
الغزالي واما الامر الثاني فهو ان الناس يفسدون عليك ما يحصل
لك من العبادة ان لم يعصم الله سبحانه بسبب ما يعرض من قبلهم
من دعاوى الرياء والتزين ولقد صدق يحيى بن معاذ رض حيث قال
روية الناس بساط الرياء وهؤلاء الزهاد قد خافوا على انفسهم من
هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور ولقد ذكر ان هرم بن حيان
قال لاويس القرني يا اويس صلنا بالزيارة واللقاء فقال اويس قد
وصلتك بما هو انفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة
واللقاء يعرض منهما التزين والرياء انتهى واويس القرني رض هو
الذي روي في حقه مسلم عن عمر بن الخطاب رض ان رسول الله صلعم

قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له اويس لا يدع باليمن غير ام له قد كان
به بياض فدعا الله فاذهبه الا موضع الدينار او الدرهم فمن لقيه منكم
فليستغفر لكم وفي رواية لمسلم ايضا قال سمعت رسول الله صلعم
يقول ان خير التابعين رجل يقال له اويس وله والدة وكان به بياض
فمروه فليستغفر لكم وحديث اني اجد نفس الرحمن من جانب اليمن
مشهور وقد ذكره الغزالي في كتاب قواعد العقايد بهذا اللفظ وقال
زين الدين العراقي في تخريج احاديث الاحياء رواه احمد في جملة
حديث عن ابي هريرة مرفوعا بلفظ واجد نفس ربكم من قبل اليمن
قال العراقي ورجاله ثقات قال الغزالي في المنهاج وقيل
لسليمان الخواص قدم ابرهيم بن ادهم افلا تاتيه قال لان القى شيطانا
ماردا احب الي من لقائه فاستنكروا ذلك من قوله فقال اني اذا
لقيته اخاف ان اتزين له واذا القيت شيطانا امتنع منه انتهى ويغني
العقلاء من ذلك كله ما ذكره القاضي ابو نصر عبد الوهاب ابن القاضي
تقي الدين السبكي في جمع الجوامع مع ما نضم اليه على طوله فقال
اذا خطر لك امر فزنه بالشرع فان كان مامورا فبادر فانه من الرحمن

فان خشيت وقوعه لا ايقاعه على صفة منهية فلا عليك
انتهى وقال الزركشي في شرحه اذا عرض للسالك الى الله تعالى في
الطريق امر فطريقه ان يزنه بميزان الشرع ويقصد باب العلم
اذ لا عمل الا بعلم ولا يخرج عن ثلاثة اقسام اما ان يكون مامورا
به او منهيا عنه او مشكوكا فيه والمصنف ذكر الثلاثة فان وجده
مامورا به اعم من الواجب والمندوب فليبادر الى فعله فانه من
الرحمن فان خشيت وقوعه على صفة منهية من عجب او رياء فلا
عليك ولا تجعل هذا الخاطر مانعا من العمل فانه شيطاني نعم
ان اوقعته على تلك الصفة المنهية كان ذلك محبطا له وههنا
امور احدها ان المصنف اجمل الخاطر من الرحمن وهم يقسمون الى
ملكي والهامي وروحي مع اشتراك الكل في الحق فالخواطر الملكية
هي ما تعلق بالترغيب في العبادات على وفق اوامر الشرع والنهي
عن المخالفات واللوم على ارتكاب المحظورات والفرق بينه و
بين الالهام ان الخواطر الملكية قد يردها النفس والشيطان
بالهواجس والوساوس بخلاف الخواطر الالهاميه فانه لا يردها

اي الخواطر

85

شئ بل ينقاد لها النفس والشيطان طوعا وكرها الثاني علم من قوله
فبادر بقاء التعقيب السرعة قال الاستاذ ابو القسم القشيري
فانك ان توقفت بردت الامر وهبت ريح التكاسل وقد حكى عن
البوسنجي انه كان في حالة التفرغ فدعى من ينزع قميصه عنه وقال
ادفعه الى فلان فقيل له لو صبرت حتى يخرج فقال خفت ان يزول
ذلك الخاطر عن القلب الثالث اشار المصنف بذلك الى ان المدار
على الامر والنهي وقد قال الاستاذ ابو القسم القشيري في كتاب الاشارات
وقد سئل ما اول طريق الحق وما آخره فقال اوله وآخره معانقة
ما امرت به ومفارقة ما زجرت عنه وما عداها فعبارات آيلة
اليه قال القاضي عبد الوهاب واحتياج استغفارنا الى استغفار
لا يوجب ترك الاستغفار ومن ثم قال السهروردي اعمل وان خفت
العجب مستغفرا منه وقال الزركشي في شرحه هذا جواب عن سوال
مقدر تقديره انه نقل عن رابعة العدوية رض انها قالت استغفارنا
يحتاج الى استغفار واذا كان كذلك فلم نستغفر والجواب ان التلفظ
المحض خير من الصمت فاحتياجه اليه لا يوجب الصمت عنه

قال الغزالي في الاحياء في باب التوبه لا يظن ان رابعة تذم حركة
اللسان بالاستغفار من حيث انه ذكر الله تعالى بل تذم غفلة
القلب فهو محتاج الى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه
فان سكت عن الاستغفار باللسان احتاج الى استغفارين لا
استغفار واحد قال الزركشي وهذا معنى قول القائل حسنات
الابرار سيأت المقربين فان هذه الامور تثبت بالاضافة فلا
ينبغي ان تؤخذ من غير اضافة قال ولاجل ذلك اختار الغزالي ان
جريان الاستغفار على اللسان مع الغفلة حسنة لانها خير
من حركة اللسان بغيبة مسلم او فضول كلام بل هو خير من السكوت
وان كان ناقصا بالنسبة الى عمل القلب ولذلك قال بعضهم
لشيخه ان لساني في بعض الاحيان يجري بالذكر والقران وقلبي
غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك في خير
وعودها الذكر ولم يستعمله في الشر والفضول قال الزركشي وما
قاله حق فان تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها طبعا يدفع
جملة من المعاصي فمتى تعود لسانه الاستغفار اذا سمع من غيره

كذبا سبق لسانه الى الاستغفار ومن تعود الاستعاذة اذا حدث
له ظهور مبادي شر قال بحكم سبق اللسان اعوذ بالله حتى يدفع
بذلك شر لعنته او غيبته فاياك ان تلمح في الطاعات مجرد الافات
فيقل رغبتك في العبادات فان هذه مكيدة من الشيطان انتهى
مذكور الزركشي وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في باب البدايات
والنهايات من العوارف وينبغي ان يعلم ان الاعتبار بالقلب فكل
عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا
يعتد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص قال الزركشي وحكى الاستاذ
ابو القسم القشيري في الاشارات عن بعضهم انه لا ينفع ذكر اللسان
مع غيبة القلب ثم قال وقال بعض الموفقين ان الله اكرم من ان لا يحفظ
على العبد قلبه اذا احضر هو بلسانه قال قال الاستاذ وهذا هو التحقيق
قال وقال في موضع عنده المعظم يلقن العبد ذكرا في الابتداء حتى يتمرن
اي يلين عليه اللسان ثم يرد الذكر الى القلب قال الزركشي وما نقله
المصنف عن السهروردي اشارة الى واقعة وهي انه سأل بعض
ايمة خراسان الشيخ شهاب الدين السهروردي فقال القلب

مع الاعمال يداخله العجب ومع ترك الاعمال يؤدي الى البطالة
فاجابه الشيخ لا تترك الاعمال وداو العجب بان تعلم ان ظهوره
من النفس وكلما الم بباطنه خاطر العجب يستغفر الله تعالى فانه
يصير ذلك كفارة خاطر العجب ولا تدع العمل رأسا وكذا قال
الامام في المطالب من مكايد الشيطان ان يترك العمل خوفا من
ان يقول الناس انه مراء وهذا باطل فان تطهير العمل من بدعات
الشيطان بالكليه متعذر فلو وقفنا العبادة على الكمال
لتعذر الاشتغال بشيء من العبادات وذلك يوجب البطالة
وهي اقصى غاية غرض الشيطان بل الصواب انك ما دمت تجد
باعثا دينيا على العمل فلا تترك العمل فان ورد في اثنايه خاطر
بالرياء فجاهد نفسك واجتهد في ازالة ذلك الخاطر بقدر القدرة
انتهى وقال النووي في اوايل كتاب الاذكار الذكر يكون بالقلب
ويكون باللسان والافضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا
فان اقتصر على احدهما فالقلب افضل ثم لا ينبغي ان يترك الذكر
باللسان مع القلب خوفا من ان يظن به الرياء بل يذكر بهما جميعا

ويقصد به وجه الله تعالى وقد قدمنا عن الفضيل بن عياض رض
ان ترك العمل لاجل الناس رياء ولو فتح الانسان عليه باب
ملاحظة الناس والاحتراز من تطرق ظنونهم الباطلة اليه لا
نسد عليه اكثر ابواب الخير فضيع على نفسه شيا عظيما من
مهمات الدين وليس هذا طريق العارفين قال الزركشي ولهذا
احسن من قال سيروا الى الله عرجا ناو مكاسير ولا تنتظروا
الصحة فان انتظار الصحة بطالة والعلم في هذا المعنى قول الامام
الشافعي رض اذا خفت على عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي
اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي عافية تشكر واي بلاء
تذكر فانك اذا فكرت في واحدة من هذه الخصال صغر في عينك
عملك قال الزركشي والذي ينبغي للعاقل ان لا يثق بنفسه ابدا بل
يتهمها قال يحيى بن معاذ لا تسكن الى نفسك وان دعتك الى الرغائب
وقال صاحب الجمع وان كان اي الامر الذي خطر بالبال منهيا
فاياك فانه من الشيطان فان ملت فاستغفر الله وقال الزركشي
في شرحه القسم الثاني ان تجده في الشرع منهيا عنه فلا تقربه

المعنى

فانه من الشيطان فان غلبك الامر فاستغفر لانه معصية
كفارتها الاستغفار وجعل المصنف كله من الشيطان خلاف
ما عليه ايمة هذا الشان من تقسيم الخواطر الباطلة الى نفسي
وشيطاني وفرقوا بينهما مع اشتراك الكل في الباطل بان النفساني
علامته انه اذا طلب شيا لا يرجع عنه والشيطان قد ينقله
الى مثله اذا عجز عن الاول لان قصده شغل القلب بغير الله او
ايقاعه في الفتنه فلا يزال يزين الاشياء في نظره ويدعوه اليها
فان لم يلتفت الى شيء زين آخر وهكذا لان جميع المخالفات سواء
بخلاف خاطر النفس فانها تصمم ولا تسكن الا عند استيفاء
حظها او يسكنها اخلاص الطالب بصمصام التصديق قال
وهذا الفرق منقول معناه عن استاذ الطايفه الجنيد رض ونبه
الشيخ شهاب الدين السهروردي على ان هذه الاشارات الي
علامات الخواطر لا ترخص للمريد في الاشتغال بتمييزها فان
ذلك يشوش الفكر ويزيل الجمعيه وتبطل فايدة الذكر لان اس
طريقته نفي الخواطر باسرها لئلا يصير خاطر الشيطان من جمله

خواطره

خواطره بل حقه ردعها وردها بالمراقبة قال الزركشي وبهذا
يعتذر عن المصنف في اجماله في هذا المقام وقد نقل القشيري
الاجماع على ان من ياكل الحرام لا يفرق بين الخاطر الملكي والشيطاني
انتهى ومما نقله عن القشيري هو قوله في الرساله واتفق المشايخ
على ان من كان اكله من الحرام لم يفرق بين الالهام والوسواس وكذا
نقل اتفاق المشايخ على ذلك الشيخ ابو حفص شهاب الدين السهروردي
في عوارف المعارف قال القشيري وسمعت ابا على الدقاق يقول
من كان قوته معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة ونقل هذا
عن الدقاق السهروردي ايضا ثم اعترض عليه بان هذا لا يصح
على الاطلاق الا بتقييد وذلك ان من المعلوم ما يقيمه الحق سبحانه
وتعالى العبد باذن يسبق اليه في الاخذ منه والتقوت به ومثل
هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر انما ذلك يقال في حق من
دخل في معلوم باختيار منه وايثار لانه يحتجب بموضع اختياره
والذي اشرنا اليه منسلخ في رادته فلا يحجبه المعلوم انتهى
واعلم انه وقع مرة منازعة بين العبد الضعيف الفقير وبين بعض

المنتسبين الى العلم المنهمكين في الشهوات وطلب رياسة
الدنيا الدنية ورفض تحصيل الاخرة الباقية فان ما لاح
للفقير من طلب مقدمة الترفع فى الدنيا يحتمل ان يكون من وساوس
الشياطين لا من باب الالهام فينبغي العمل بمقتضى هذا الاحتمال
وان كان باطلا في نفس الامر فاجبت عنه بنفي هذا الاحتمال
ورده بكلام حجة الاسلام الغزالي رح والان ينبغي ان ازيد عليه
فاقول انا لا ادعي ان هذا الخاطر الهام لكن اقول انه خاطر
عقلي موافق للشرع بلا شك وانكاره كفر بلا خفاء فانه انكار
لتحريم انواع من المحرمات التي تحريمها من ضروريات الدين مع
انه لا نجاة من ارتكابها مع الامارة فى هذه الازمان لفساد اهلها
وقلة اهل الايمان وغلبة اهل الطغيان واعتياد الناس بالشرور
بحيث صارت الشرة طبيعة لهم ولا يمكن اصلاحهم ولا صلاح من
معهم قطعا وبداهة فلا يستره تمويه اي التلبيس بعض العلماء السوء و
تلبيسهم اياه بلغو الكلام وحشوه كما وقع سابقا وسياتى انشاالله
تعالى تحقيق ذلك على التفصيل وقدمنا آنفا نقل قول صاحب الجمع

ازما

السابق صح

ان ما يخطر بالبال يوزن بالشرع فان وافقه يعمل به والا فلا وقال
السهروردى بعد كلامه ذكره ومن قصر عن درك حقايق الزهد
وتطلع الى تمييز الخواطر يزن الخاطر اولا بميزان الشرع فما كان
من ذلك فضلا او فرضا يمضيه وما كان من ذلك محرما او مكروها
ينفيه فان استوى الخاطران في نظر العلم ينفذ اقربهما الى مخالفة
هوى النفس فان النفس قد تكون لها هوى كامن في احدهما والغالب
من شان النفس الاعوجاج والركون من الكون الى الدون وقال الغزالي في
كتاب شرح عجايب القلب اعلم ان القلب اي المبدء بغريزته مستعد لقبول
حقايق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى
عقليه وشرعيه والعقليه تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة
تنقسم الى دنيوية واخروية اما العقلية فنعني بها ما تقضي به غريزة
العقل ولا يوخذ بالتقليد والسماع وهى تنقسم الى ضرورية لا يدرى
من اين حصلت وكيف حصلت والى مكتسبة وهى المستفادة بالتعليم
والاستدلال قال والقلب جار مجرى العين وغريزة العقل فيه
جار مجرى قوة البصر في العين وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى

وتوجد في البصر وان كان قد غمض العين او جنّ عليه الليل والعلم
الحاصل في القلب جار مجرى قوة ادراك البصر ورؤيته لاعيان
الاشياء وتاخر العلوم عن عين العقل في مدة الصبى الى آوان
التمييز او البلوغ ايضا هي تاخر الرؤية عن البصر الى آوان اشراق
الشمس وفيضان نورها على المبصرات انتهى وما ذكره من ان محل العقل
هو القلب قال النووي في تهذيب الاسماء واللغات هو مذهب
اصحابنا المتكلمين وبه قال جمهور المتكلمين وهو قول الفلاسفة و
قالت الاطباء هو في الدماغ وهو محكي عن ابي حنيفة رح وقال الشيخ
الامام العارف ابو محمد روزبهان البقلي الشيرازي في كتاب سير
الارواح اختلف العلماء في مسكن العقل فقال حكماء الطب هو الدماغ
واهل المعرفة يعني الصوفية قال هو القلب واعلم ان العقل مناط
التكليف اجماعا من اهل الملة وانه يطلق على معان فقال الشيخ
ابو الحسن الاشعري هو العلم ببعض الضروريات الذي سمي بالعقل
بالملكة وهو الكليات البديهيه بحيث يتمكن بها من اكتساب
النظريات وقال القاضي ابو بكر الباقلاني هو العلم بوجوب الواجبات

واستحالة المستحيلات ومجارى العادات وزادت المعتزلة
في العلوم التي فسر بها العقل العلم بحسن الحسن وقبح القبيح لانهم
يعدّونه في البديهيات على اصلهم وقال الامام الرازي والظاهر
انه غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الالات و
النايم لم يزل عقله وان لم يكن عالما في حالة النوم بشئ من الضروريات
لاختلال وقع في الآلات وكذا الحال في اليقظان الذي لا يستحضر
شيئا من العلوم الضرورية لدهشة وردت عليه فظهر ان العقل
ليس عبارة عن العلم بالضروريات لا كلها ولا بعضها ولا شك
ان العاقل اذا كان سالما عن الآفات المتعلقة بالآلات كان
مدركا لبعض الضروريات قطعا فالعقل صفة غريزية تتبعها
تلك العلوم اذا عرفت هذا فمحل العلم الحادث سواء كان
متعلقا بالكليات او بالجزئيات غير متعين عقلا عند
اهل الحق بل يجوز عندهم عقلا ان يخلقه الله تعالى في
اي جوهر اراد من جواهر بدن الانسان وغيره لان البنية
ليست شرطا للحياة والعلم فاي جزء من اجزايه قام به العلم

كان عالما لكن الادلة السمعية من الكتاب والسنة على ان
محله هو القلب قال الله تعالى افلم يسيروا في الارض فيكون
لهم قلوب يعقلون بها وقال ان في ذلك لذكرى لمن كان
له قلب وقال لهم قلوب لا يفقهون بها الى قوله اولئك
كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون وجه الاحتجاج
انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وهذا
انما يصح لو كان محل الفهم والفقه هو القلب وقال
تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فانه اثبت للفؤاد الرؤية والمراد
بها الادراك وهو انما يكون بالعقل ويدل ايضا عليه
قوله تعالى من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور
الناس وكذا الاحاديث الواردة في ذلك منها قوله صلعم
اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه ذكره الغزالي
في الكتاب المذكور من كتب الاحياء وقال زين الدين العراقي
في تخريج احاديثه رواه ابو منصور الديلمي في مسند
الفردوس من حديث ام سلمة واسناده جيد قال النووي

واحتج اصحابنا ايضا بقوله صلعم الا وان في الجسد مضغة
اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
الا وهي القلب رواه البخاري في كتاب الايمان ومسلم في
كتاب البيع قال فجعل صلعم صلاح الجسد وفساده تابعا للقلب
مع ان الدماغ من جملة الجسد **اقول** وتوضيحه ان المراد
بالصلاح هو الاطاعة لحكم الله تعالى ولا شك ان ذلك انما
ينشأ من العقل فلو لم يكن العقل في القلب لما صح ترتيب
صلاح جملة الجسد وفساده على صلاح القلب وفساده
قال التفتازاني في شرح المقاصد لكن الظاهر من كلام
كثير من المحققين ان ليس المراد بالقلب ذلك العضو المخصوص
الموجود لجميع الحيوانات بل المراد الروح الذي به امتاز
الانسان **اقول** وهذا عدول عن الظواهر مع عدم الصارف
قال وظاهر كلام الفلاسفة ان محل العلم بالكليات هو النفس
الناطقة المجردة وبالجزئيات هو المشاعر اي الحواس الظاهرة
والباطنة الا ان المحققين منهم على ان محل الكل هو النفس

مع القول بتجرد النفس الناطقة

الا انه فی الکلیات یکون بالذات وفی الجزئیات بتوسط
الآلات اعنی المشاعر وسیجئ بیان ذلك فی بحث النفس
قال الشریف فی شرح المواقف سیتبین لك فی مباحث النفس
ان المدرك للجمیع هو النفس لکن صور الکلیات ترتسم فی ذاتها
وصور الجزئیات فی آلاتها فیلاحظها النفس من هناك
انتهی واعلم انهم لم یقدروا علی اثبات النفوس الناطقه ولا علی
اثبات تجردها ثانیاً بالادله العقلیه وانما یثبت النفوس
الناطقه بالادله السمعیة القطعیه والتنبیهات العقلیه
الاقناعیه ثم الظاهر انها اجسام فان النصوص الظاهرة
من الکتاب والسنة تدل علی انها تبقی بعد خراب البدن وتتصف
بما هو من خواص الاجسام کالقائها فی البدن فی الابتداء
وکنزعها ملك الموت فی الانتهاء وکالدخول فی النار وعرضها
علیها وکالترفرف (ای التحرك) حول الجنازة وککونها فی قنادیل من نور او
فی جوف طیور وامثال ذلك ثم وان احتملت کل ذلك التاویل
لکن لا عدول عن الظواهر الا اذا تم الصوارف ولم تتم فیثبت

کونها اجساما ثم کثیر من المتکلمین علی انها الاجزاء الاصلیه الباقیة
من اول العمر الی آخره قال صاحب الصحایف وهو اختیار محققی المتکلمین
قال التفتازانی وکان هذا مراد من قال هی هذا الهیکل المخصوص
والبنیة المحسوسة ای التی من شانها ان یحس بها یعنی والا
فهذا القول لا یصح بلا توجیه لان النفس باقیه من اول العمر الی
آخره وذلك فی التحلل والتبدل ظاهرا وباطنا دایما وجمهورهم
علی انها جسم مخالف بالماهیة للجسم الذی یتولد منه الاعضاء
نورانی علوی خفیف حی لذاته نافذ فی جواهر الاعضاء سار فیها سریان
ماء الورد فی الورد والنار فی الفحم لا یتطرق الیه تبدیل ولا انحلال بقاؤه
فی الاعضاء حیاة وانتقاله عنها الی عالم الارواح موت وقیل انها اجسام
لطیفة متکونة فی الدماغ نافذة فی الاعصاب النابتة منه الی جملة البدن
وقیل انها اجسام لطیفة متکونة فی القلب ساریة فی الاعضاء من طریق
الشرائین ای العروق الضاربة اقول واذا ثبت بالادلة الشرعیة کونها
اجساما فقد دلت ایضا علی کونها مدرکة للجزئیات والکلیات حاصلة
فی الابدان ومتصرفة فیها غنیة عن الاغتذاء بریئة عن التحلل والنماء

لطيفه نورانيه وكذا دلت عليه الامارات الاقناعيه وكذا دلت ادلة الكتاب
والسنه على كون العقل في القلب فمجموع هذا يدل على كون الروح المتصفة
بالعقل في القلب قال النووي واحتج القايلون بكون العقل في الدماغ بانه
اذا فسد الدماغ فسد العقل والجواب ان الله تعالى اجرى العادة بفساد
العقل عند جمع فساد الدماغ مع ان العقل ليس فيه ولا امتناع في هذا
اقول ولا يبعد ان يكون القوى الكاينة في بطون الدماغ آلات لتصرف
العقل في عادة الله تعالى لا حقيقة وينعزل عن التصرف بفساد الآلات
ثم هذا اعني كون ذلك عاديا هو الحق اذ قد ثبت كون الادراك للنفس وثبت
ايضا بالادلة الشرعية انها بعد الانفصال عن البدن ادرك واعقل للاشياء
وذلك لانفصالها عن العوايق والعلايق الدنيوية المانعة عن التوجه
التام والانكشاف الكامل فثبت ان الات تعقلها الات عادية لا حقيقية والله اعلم
قال الغزالي واما العلوم الدينيه فهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبيا وذلك
تحصل بالتعلم لكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلعم وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال
صفة القلب وبه سلامته عن الادواء والامراض فالعلوم العقليه غير كافية في سلامة
القلب وان كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة

الا

الا بالعقل ولا غنى بالعقل عن السمع ولا بالسمع عن العقل
فالداعي الي محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي
بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون
من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية
كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر
بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها
الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي لطايف العبادات و
الاعمال التي ركبها الانبياء لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه
المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية
استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء انتهى وقال الشيخ عز الدين في
قواعده وربما كان كثير من العلوم مؤديا الى سخط الديان وخلود النيران
وقد شاهدنا كثيرا من ارباب العلوم قد فارقوا الاسلام ونبذوا
الايمان وذموا علم الشرايع ومدحوا علم الطبايع اوليك الذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فالسعادة
كل السعادة في اتباع القران والتمسك بشريعة الاسلام وسنة النبي

صلعم ومن خالف ذلك فقد بعد من الله بقدر ما خالف فيه فمن شاء
فليقل ومن شاء فليستكثر وسيعلم المغرور اذا انقشع الغبار ا فرس (اي ذهب والتبس)
تحته ام حمار ولمثل هؤلاء في هذا الزمان كمثل المنافقين في ابتدا الاسلام
قال الغزالي وظن من يظن ان العلوم العقليه مناقضة للعلوم الشرعيه
وان الجمع بينهما غير ممكن هو ظن صادر عن عمى في عين البصيره نعوذ
بالله منه بل هذا القايل ربما يناقض عنده بعض العلوم الشرعيه
لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين وهيهات
قال والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم
الطب والحساب والهندسة والنجوم وساير الحرف والصناعات
والاخرويه كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وافعاله
وصفاته وهما علمان متنافيان اعني من عنايته الى احدهما حتى تعمق
فيه قصرت بصيرته عن الآخر على الاكثر ولذلك ضرب على رضـ
للدنيا والاخرة ثلاثه امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق
والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت الاخرى و
لذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب

والفلسفه جهالا في امور الاخرة والاكياس في دقايق علوم
الاخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا يفي بالامرين
جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك
قال عليه السلام اكثر اهل الجنه البله اي البله في امور الدنيا وقال
الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا
شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل
الكياسة في ساير العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ من
المحال ان يظفر سالك طريق الشرق بما يوجد في الغرب وكذلك يجري
امر الدنيا والاخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا
ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون
اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون وقال يعلمون ظاهرا
من الحياة (الدنيا صح) وهم عن الاخرة هم غافلون وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال
الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رسخه
الله تعالى لتدبير عباده في معاشهم ومعادهم وهم الأنبياء

المؤيدون بروح القدس المستمدون من قوة الهية تسع لجميع
الامور ولا تضيق عنها اما قلوب ساير الخلق فانها اذا اشتغلت
بامرٍ انصرفت عن الآخر وقصرت عن الاستكمال فيه **اقول**
ومن اعظم مصالح الدنيا مصلحة الامارة وما يتعلق بها فلا
تغفل عن عدم اجتماع كمال الاستبصار فيها مع كمال الاستبصار
في مصالح الدين فيلزم اختلال الامرين اذا اريد جمعهما
فالفرار من الاختلال انما يتم بقبول احدهما ورد الاخر ولا
شك ان الاشتغال بمصالح الدين هو الاولى بالقبول عند ارباب
العقول **ثم قال** رح اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية فانما
تحصل في القلب في بعض الاحوال ويختلف الحال في حصولها
فتارة يهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة
يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق
الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما والذي يحصل بالاستدلال
يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتمحل
واجتهاد من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل

يعني اذا كان داعيا الي الخير كما سياتي
اي كيد ومكر

ومن

95

ومن اين حصل والى ما يطلع معه على السبب الذي منه استفيد
ذلك العلم وهو مشاهدة الملقي في القلب والاول يسمى الهاما
ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا ويختص به الانبياء والاول
يختص به الاولياء والاصفياء **اقول** وهذا يقتضي ان لا يكون
للانبياء الهام وليس كذلك ولعل فيه سهو قلم واراد في الاول ويختص بالانبياء
ولا غبار على العبارة الثانية والله اعلم **قال** والذي قبله وهو المكتسب بطريق
الاستدلال يختص به العلماء قال ولم يفارق الالهام الاكتساب في
نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في جهة زوال
الحجاب وان ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في
شيء من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم فان العلوم انما
تحصل في قلوبنا بواسطة الملائكة واليه الاشارة بقوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف
الى العلوم الالهامية دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة
العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن الاقاويل والادلة

اي الكلمة

اقول لعله يريد فيما اشتهر بين الناس كيف وانه جعل الثاني ايضا قسما من الالهام قال ع

العبارة ع

المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة بمحو الصفات المذمومة
وقطع العلايق كلها والاقبال بكنه الهمّة على الله تعالى ومهما
حصل ذلك كان الله هو المتولى لقلب عبده والمتكفل بتنويره
بانوار العلم يعني بقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا
قال واذا تولّى الله امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور في القلب
وانشرح الصدر وانكشف له سرّ الملكوت وانقشع عن وجه القلب
حجاب العزة بلطف الرحمة وتلألأ فيه حقايق الامور الالهية
فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجرّدة واحضار الهمّة
مع الارادة الصادقة والتعطّش التام والترصّد بدوام الانتظار
لما يفتحه الله من الرحمة اذ الانبياء والاولياء انكشفت لهُم
الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعليم والدراسة للكتب
بل بالتزهّد في الدنيا والتبرّى عن علايقها وتفريغ القلب عن
شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله فمن كان لله كان الله له
اقول وفي هذا الكلام ايهام ان تكون النبوة كسبية وليس
مرادا كما اذا قيل ان المومن بالطاعة يستحق الجنه لا يراد به

عند

عند اهل السنه انه يجب على الله ادخال الجنة بل المراد انه
كذلك بلطف الله تعالى وان الله تعالى اجرى عادته على ذلك
عليه جرى حال الانبياء قبل النبوة قال وزعموا ان الطريق
في ذلك اوّلا ان يقطع علايق الدنيا بالكلية فيفرغ قلبه
عنها ويقطع همّه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم
والولاية والجاه بل يصير قلبه الى حالة يستوى فيها وجود كل
ذلك وعدمه ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرايض
والرواتب ويجلس فارغ الهمّ مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراءة
قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتبة حديث وغيره بل يجتهد
ان لا يخطر بباله شيء سوى ذكر الله تعالى ولا يزال بعد جلوسه في الخلوة
قائلا بلسانه الله الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهى
الى ان يترك تحريك اللسان ويرى كأنّ الكلمة جارية على اللسان
ثم يصير عليه الى ان يمحى اثره عن اللسان فيصادف قلبه مواظبا
على الذكر ثم يواظب عليه الى ان يمحى عن القلب صورة اللفظ و
حروفه وهيئة الكلمه ويبقى معنى الكلمة جاريا مجرّدا في قلبه

حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى
هذا الحد واختيار في استدامته هذه الحاله بدفع الوساوس
وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله بل هو بما يفعله قد تعرض
لنفحات الرحمة فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله من رحمته التي
فتحها على الانبياء والاولياء بهذا الطريق وعند ذلك اذا
صدقت ارادته وصفت همته وحسنت مواظبته ولم تجاذبه
شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا فيلمع لوامع الحق
في قلبه ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود
وقد يتأخر وان عاد فقد يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت
فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر امثاله على التلاحق
وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اولياء الله فيه لا تحصى كما
لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى
تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثم استعداد وانتظار
فقط اقول وفي هذا الكلام اشعار بما اولنا به بعض كلام منه
قريبا قال واما النظار وذو الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق

وامكانه وافضاءه الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال
الانبياء والاولياء ولكن استوعروا هذا الطريق واستبطؤا
ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق
الى ذلك الحد كالمتعذر وان حصل في حالة فثباته ابعد منه
اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب قال صلعم قلب المومن اشد
تقلبا من القدر في غليانها قال العراقي في التخريج رواه احمد
والحاكم من حديث مقداد بن الاسود رض وصححه الحاكم قال الغزالي
وقال صلعم قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف
يشاء انتهى وهذا الحديث روى اصله مسلم عن عبد الله بن عمرو رض
قال قال رسول الله صلعم ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من
اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء ثم قال رسول الله صلعم
اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وروى الترمذي
وابن ماجه عن انس رض قال كان رسول الله صلعم يكثر ان يقول
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا نبي الله آمنا
بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين

اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء قال الترمذي هذا
حديث حسن قال الغزالي وفي اثناء هذه المجاهدة قد يفسد
المزاج ويختلط العقل ويمرض البدن واذا لم يتقدم رياضة
النفس وتهذيبها بحقايق العلوم تتشبث بالقلب خيالات
فاسدة تطمئن النفس اليها مدة طويلة الى ان يزول والعمر ينقضي
دون النجاح فيها فكم من صوفي سالك هذا الطريق ثم
بقي في خيال واحد عشرين سنة ولو كان قد اتقن العلم من قبل
لانفتح له وجه التباس ذلك الخيال في الحال والاشتغال بطريق
التعلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك يضاهي ما لو ترك
الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلعم لم يتعلم ولكن صار فقيها
بالوحي والالهام من غير تكرار وتعليق وانا ربما انتهى اليه بالرياضة
ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو كمن ترك طريق
الكسب والحراثة رجاء العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن
ولكنه بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل
ما حصله العلماء وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك بالانتظار

لما

لما لم ينكشف لساير العلماء فعساه ينكشف بعد ذلك بالمجاهدة
اقول ويوخذ من سياق كلامه ان الراجح عنده طريق النظار و
يويده قول سلطان العارفين ابي يزيد البسطامي رض عملت في
المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا اشد علي من العلم ومتابعته
وقيل لم يخرج ابو يزيد من الدنيا حتى استظهر القران وقال سيد
الطايفة ابو القسم جنيد البغدادي رض من لم يحفظ القران ولم يكتب
الحديث لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا مقيد بالكتاب والسنة
وقال ايضا علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله صلعم نقله كل
ذلك الاستاذ ابو القسم القشيري في رسالته وقطع بذلك قطب
الاقطاب وشيخ الاشياخ الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلي رض فقال تفقه
ثم اعتزل من عبد الله بغير علم كان ما يفسده اكثر مما يصلحه خذ
معك مصباح شرع ربك من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم
نقله نور الدين ابو الحسن اللخمي في مناقبه قال الغزالي في
الكتاب المذكور قبل هذا من كتب الاحياء واعلم ان القلب في مثال
قبة لها ابواب ينصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال

هدف ينصب اليه السهام من الجوانب او مثل مرآة منصوبة
يجتاز عليها اصناف الصور المختلفة فيترای فيها صورة بعد
صورة ولا يخلو عنها او مثال حوض ينصب اليه مياه مختلفة من
انهار مفتوحة اليه وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في القلب
في كل حال اما من الظاهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال و
الشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان فانه اذا
ادرك بالحواس شيئا حصل منه اثر في القلب وكذلك اذا هاجت
الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل او بقوة في المزاج يحصل منها في
القلب اثر وان كف عن الاحساس فالخيالات الحاصلة في النفس
يبقى وينتقل الخيال من شيء الى شيء وبحسب انتقاله ينتقل القلب
من حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتأثر دايما من هذه
الاسباب واخص الاثار الحاصلة في القلب هي الخواطر واعني بالخاطر
ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكات وعلوما اما
على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث
انها يخطر بالقلب بعد ان كان القلب غافلا عنها والخواطر هي

المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد
خطور المنوي بالبال لا محالة فمبدأ الاحوال الخواطر ثم الخاطر يحرك
الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والنية تحرك الاعضاء و
الخواطر المحركة للرغبة تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني ما يضر في
العاقبة والى ما يدعو الى الخير اعني ما ينفع في الدار الاخرة فهما
خاطران مختلفان فافتقر الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود
يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا
ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب
ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الاسباب هذا ما عرف
من سنة الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فسبب
الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا وسبب الخاطر الداعي الى الشر
يسمى شيطانا واللطف الذي به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك
يسمى توفيقا والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء
وخذلانا فان مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى
وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله

ارتحل الشيطان وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين
جندى الملايكة والشياطين فى معترك القلب دايم الى ان ينفتح
القلب لاحد الجندين ويستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثانى
اختلاسا واكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين وملكوها
فامتلأت بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الآخرة
ومبدأ استيلايها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية
القلب عن قوت الشيطان وهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله
تعالى الذى هو مطرح الملايكة قال جبير بن عبد الله العدوى شكوت
الى العلاء بن زياد ما اجد فى صدرى من الوسوسة فقال انما مثل
ذلك مثل النقب يمر به اللصوص فان كان فيه شئ عالجوه والا مضوا
وتركوه يعنى ان القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك
قال تعالى ان عبادى ليس عليهم سلطان فكل من اتبع الهوى فهو عبد
الهوى لا عبد الله فلذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى
افرأيت من اتخذ الهه هويه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده
فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمن بن العاص يا رسول الله

حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال ذلك شيطان يقال
له خنزب اذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك
ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله عنى وهذا الحديث رواه
مسلم قال وفى الخبر ان فى الوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا
بالله منه وهذا الحديث رواه الترمذى وابن ماجه من رواية ابى بن كعب رض
وقال الترمذى حديث غريب وليس اسناده بالقوى عند اهل الحديث
قال الغزالى ولا يمحو وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شئ سوى
ما يوسوس به لانه اذا حضر فى القلب ذكر انعدم عنه ما كان فيه
من قبل ولكن ذكر كل شئ سوى الله وسوى ما يتعلق به فيجوز ان
يكون ايضا مجال الشيطان فذكر الله هو الذى يؤمن جانبه ويعلم
انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشئ الا بضده وضد جميع
وساوس الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبرى عن
الحول والقوة وهو معنى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم وذلك لا يقدر عليه الا المتقون
الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف بقلوبهم

اي العثرات والزلات
اي الفرصه

في اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
وقال مجاهد في معنى قوله من شر الوسواس الخناس هو منبسط
على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط
على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان
كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطارد هما
قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله قال وكما ان
الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه فسلطنة الشيطان ايضا
سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال
صلعم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع وهذا الخبر رواه البخاري ومسلم من حديث صفيه دون
قوله فضيقوا مجاريه بالجوع كما نبه عليه العراقي في التخريج في
كتاب الصوم وكتاب كسر الشهوتين وذكر انه لم يجده في اصل اقول
وعلى تسليم ان لا يكون من قول النبي صلعم فهو معنى صحيح قال الغزالي
وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشياطين الشهوات اقول

وقد سبق بيان ذلك بما لا مزيد عليه ثم نرجع الى كلام عبد الوهاب
ابن السبكي في جمع الجوامع قال وحديث النفس ما لم يتكلم او يعمل و
الهم مغفوران وقال الزركشي في شرحه الواقع في النفوس من
متعلقات المعاصي خمس مراتب الاولى الهاجس وهو ما يلقى فيها
ولا مواخذة به بالاجماع لانه ليس من فعل العبد وانما هو وارد لا
يقدر على دفعه الثانيه جريانه فيها وسواء الجاري الخاطر
وسمى الراغب الاول سانحا قال والسانح والخاطر يعبر عنهما
بالهاجس واليه اشار النبي صلعم بقوله للشيطان لمة بابن ادم
وللملك لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق واما لمة
الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق اقول وهذا الحديث
رواه الترمذي والنسائي في سننه الكبرى على ما قال العراقي في
التخريج من حديث ابن مسعود رض وقال الترمذي حديث حسن
قال الزركشي الثالثه حديث نفسه وهو ما يقع من التردد هل
يفعل او لا وهذان مرفوعان بقوله صلعم ان الله يجاوز لامتي
ما حدثت به نفسها ما لم يتكلم او يعمل به اقول ولفظه في الصحيح

بها انفسها ما لم يتكلموا او يعملوا به وفي رواية به انفسها ما
لم تعمل او تكلم به رواه مسلم من حديث ابي هريرة رض ومنهم من
عزاه الى البخاری ایضا والذی ظهر لی انه وهم قال الزركشي فاذا
ارتفع حديث النفس ارتفع ما قبله بالطريق الأولى قال قال
المحققون وهذه المراتب الثلاث ايضا لو كانت في الحسنات لم
تكتب له بها اجرا اما الأولى فظاهر واما الثاني والثالث فلعدم
القصد يعني مع ان النبي صلعم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل
امرئ ما نوى قال الرابعة الهم وهو ترجيح الفعل يقال هممت بالامر
اى قصدته بهمتي وهو مرفوع لقوله تعالى اذ همت طايفتان
ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولو كانت
مواخذة لم يكن الله وليهما ولقوله صلعم ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم يكتب عليه اقول وهذا اللفظ لمسلم في بعض رواياته بدون قوله
عليه وهو قايم في بعضها قال الزركشي وفي هذه الحالة يقرن
الحسنة مع السيئة فانه لو هم بالحسنة ولم يعملها كتب له حسنة
كاملة كما ثبت في الصحيحين الخامسة العزم وهو قوة القصد

والجز

والجزم به وهو مواخذ عند المحققين وذهب بعضهم الى انه مرفوع
كالهم والصحيح الاول لقوله صلعم اذا التقا المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال
المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه فعلل بالحرص انتهى و
الحديث المذكور اخرجه الشيخان عن ابي بكرة رض ونحوه ما رواه
البخاري عن ابن عباس رض قال قال رسول الله صلعم ابغض الناس الى
الله ثلاثة ملحد في الحرم ومبتغ في الاسلام سنة الجاهلية ومطلب
دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه انتهى قال الزركشي والاجماع
منعقد على المواخذة باعمال القلوب كالحسد بخلاف الهم قال وقال
القاضي حسين في تعليقه كما يحرم النظر الى الحرام يحرم التفكر
لقوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فمنع عن التمني
فيما لا يحل كما منع من النظر الى ما لا يحل بقوله قل للمؤمنين يغضوا
من ابصارهم قال واشار المصنف بقوله ما لم يتكلم الى ان عدم
المواخذة بالهم وحديث النفس ليس مطلقا بل بشرط عدم التكلم
والعمل حتى اذا عمل يؤاخذ بشيئين همه وعمله ولا يكون همه مغفورا

يكن الهم

وقوله والهم اى ما لم يكلم او يعمل ايضا ولم يحتج الى تقييده لانه اذا
قيد حديث النفس وهو دون الهم مقيدا بطريق الاولى وهل
يؤاخذ بهما اذا عمل عملا غير المعصيه التى هم او حدث نفسه
بها ان كان ذلك العمل اجنبيا لا ارتباط له بهما بالكلية كمن
هم بالزنا ثم اكل فلا ريب فى عدم المواخذة وان كانت من مقدمات
المعصيه كمن هم بالزنا بامراة فمشى اليها ثم رجع من الطريق فهذا
موضع نظر قال الشيخ السبكى يظهر المواخذة من اطلاق النبى صلعم
العمل فى قوله لم يتكلم او يعمل قال فيؤخذ منه تحريم المشى
الى معصية وان كان المشى فى نفسه مباحا لكن لانضمام قصد الحرام
فكل واحد من المشى والقصد لا يحرم عند انفراده اما اذا اجتمعا
فان مع الهم عملا بما هو من اسباب المهموم به فاقتضى اطلاق ويعمل
المواخذة به قال الزركشى وهذا الذى قاله من المواخذة حسن لو لم
يقيد فى حديث اخر لكن جاء فى رواية فى الصحيحين او يعمل به يعنى
فقيد العمل المطلق بالعمل بما حدث به النفس قال ويحتمل ان يقال
ان رجع عن فعل السيئة بعد فعل مقدمتها الله تعالى لم يواخذ بالفعل

لقوله

لقوله صلعم فى حديث رواه مسلم وان تركها فاكتبوها له حسنة
انما تركها من جراي اي من اجلى وفى لفظ لابن حبان وان تركها من اجلى
فاكتبوها له حسنه انتهى اقول ولا حاجة الى رواية ابن حبان
فان اللفظ ثابت فى صحيح البخارى فقد روى فى كتاب التوحيد
وهو آخر الكتب عن الاعرج عن ابى هريرة رض ان رسول الله صلعم
قال يقول الله اذا اراد عبدى ان يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه
حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلى فاكتبوها
له حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له
حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعماية وروى
هو ايضا فى كتاب الرقاق عن ابن عباس رض عن النبى صلعم فيما يروى
عن ربه قال قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن
هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فان هو
هم بها فعملها كتبها الله له بها عنده عشر حسنات الى سبعماية
ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده
حسنة كاملة وان هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة

انتهى وقال ابن حجر في شرحه المراد بكمال الحسنة عظم قدرها
لا التضعيف الى العشرة ولم يقع التقييد بكاملة في حديث ابي
هريرة رض وظاهر الاطلاق كتابة الحسنة بمجرد الترك
لكنه قيد في حديث الاعرج عن ابي هريرة كما سياتي في كتاب
التوحيد واخرج مسلم من طريق همام عن ابي هريرة رض عن النبي
صلعم في حديث طويل قالت الملايكة رب ذاك عبدك يريد ان
يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها
له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراى
قال ابن حجر بفتح الجيم وتشديد الراء وبعد الالف ياء المتكلم
وهي بمعنى من اجلي ونقل القاضي عياض في شرح مسلم عن
بعض العلماء انه حمل حديث ابن عباس رض على عمومه ثم صوب
حمل مطلقه على ما قيد في حديث ابي هريرة رض وذلك لوجوب
حمل المطلق على المقيد على ما تقرر في الاصول قال ابن حجر
ويحتمل ان يكون حسنة من ترك بغير استحضار ما قيد به
اي بغير ان يخطر بباله ان يكون تركه لاجل الله تعالى دون

حسنه

حسنة الاخرى التارك لاجل الله تعالى لان ترك المعصية كف
عن الشر والكف عن الشر خير ويحتمل ايضا ان يكتب لمن هم بالمعصية
ثم تركها حسنة مجردة فان تركها من مخافة ربه سبحانه كتب
حسنة مضاعفة قال وقال الخطابي محل كتابة الحسنة على
الترك ان يكون التارك قد قدر على الفعل ثم تركه لان الانسان
لا يسمى تاركا مع عدم القدرة ويدخل فيه من حال بينه وبين حرصه
على الفعل مانع كان يمشي الى امرأة ليزني بها مثلا فيجد الباب
مغلقا ويتعسر فتحه ومثله من تمكن من الزنا مثلا فلم ينتشر
آلته اوطرقه ما يخاف من اذاه عاجلا انتهى اقول والاظهر
والله اعلم عدم كتابة الحسنة اذا لم يخطر بالبال كون الترك
لاجل الله تعالى لقوله صلعم انما لكل امرئ ما نوى وهذا لم ينو
الا السيئة فكان مقتضى الحديث كتابتها له دون غيرها
لكن سقط الحكم به لتخصيصه الاخبار السابقة فبقي على
دلالته على ان لا يحصل له شئ والله اعلم قال القاضي عبد
الوهاب ابن السبكي في الجمع فان لم تطيك الامارة فجاهدها

من المواتاة وهي الموافقة م

خلافا لاحتمال ابن حجر

وحاصله التمسك ببعض معنى انما وهو الحصر وهو يتضمن معنيين احدهما اثبات الحكم للمذكور وثانيهما نفيه عن غير المذكور والتمسك بالثاني والغاء الاول لمخالفته الاخبار السابقة منه

وقال الزركشي في شرحه اي كما يجاهد من يقصد اغتيالك
بل اعظم لانها قصدت معالجة المعصية اذا خطرت حتى يذهب
اهون من مداراة التوبة حتى تقبل لان مجاهدتها في البداية
بكف الخواطر وفي النهاية بالندم والتأسف والبكاء ثم لا يدري
اقبلت ام لا واذا وقع العبد في المعصية لاهيا عن الوعيد لم
يخطر ذكره وهو من الذين نسوا الله فانساهم انفسهم لانه يجب
عليه ان يحضر عظمة الذنب في هذه الحالة فاذا لم يخلق الله
له الذكر فقد اراد هلكته وعليه اثم الذاكر اي اسم العاصي مع
الذكر لان نسيانه بسبب انهماكه في المعصية وتعلق شهوته
واذا احضرت المعصية واستحضر عظمة من يعصيه والتحريم
فان كف عن الاقدام فذاك وان اقدم تجريا فهالك او تشهيا
وقال اتوب بعد ذلك فمغرور فانه يجب عليه ملازمة الطاعة
ومعالجة الشهوة قال وانما خص المصنف هذا بالامارة لان
النفوس ثلاثة امارة وهي التي لا يلوح لها طمع الا تعرضت له و
لا يبدو لها شهوة الا اتبعتها لم تحكمها الرياضة ولم تسلك

سبيل

سبيل الرشاد والثانية اللوامة وهي التي تلوم صاحبها على
التقصير في الطاعه ولهذا اقسم الله بها في قوله ولا اقسم بالنفس
اللوامة والثالثة المطمئنة وهي التي استقامت على الطاعة
ولم يفترسها غوايل اي دواهي الشهوات واعلم ان النفس بطبعها يحب
الراحة والشهوة فمتى اطلقت لجامها اهلكتك فتحتاج
الى ان تكون ركابا فارسا بطلا والا اغتالتك اي قتلتك قال بعضهم
وقفت يوما بالطاحون واذا ببعير اي بجمل يدور على رحى فلما فقد
صوت الطحان ابطأ في السير فجاء الطحان وصاح به كالزاجر له
على البطء فرايت البعير هاج لصوته وتحرك كل عضو منه على
حدته لانبعاثه ففهمت منه ان كل روحاني فنفسه تبطئ لميلها
الى الراحة فتحتاج الى موازرة تزجره وتصويت به وحث على العمل
كذلك نفس ابن ادم محتاجه الى الموعظة والزجر قال صاحب
الجمع فان عملت فتب وقال الزركشي في شرحه اي على الفور و
هو مفهوم اتيانه بالفاء حتى لا يبقى للمعصية في النفس اثر
لان التوبة تجب ما قبلها وهي رحمة من الله للمومنين قال العلماء

والتوبه واجبة لايجوز لمن عمل سيئة ان يؤخر التوبة بل يلزمه اذا
وقعت منه الندم والاستغفار وقل ان يخلو المكلف من امر يتوب
منه حتى ان قوما من العلماء برعاية حقوق الله يوجبون التوبة من
الغفلة قال ابن الصباغ في كتاب الطريق السالم وذلك امر ظاهر
الحجة فان من شان المنعم عليه ان لا يغفل عن المنعم لانه لا يخليه عن
نعمة واعلم ان الاسلام يجب ما قبله قطعا واما التوبة فهل
تكفيرها للذنب قطعي ام ظني فيه خلاف لاهل السنة واختار
امام الحرمين انه مظنون فقال في الارشاد لا يجب على الله تعالى
قبول التوبة عقلا وقد اطبقت المعتزلة على ان قبول التوبة حتم [اي واجب] تعالى
الله عن قولهم وقد سبق الدليل العام في نفي الوجوب عن الله تعالى
ثم لو رجعنا الى الشاهد لم يشهد لوجوب قبول التوبة عقلا فان من
اساء مع غيره فانتهك حرماته وابلغ في عداوته ثم جاء
معتذرا فلا يتحتم في حكم العقل قبول توبته بل الخيرة الى من
اهتضم ولم يرع حقه فان شاء صفح وان شاء اضرب عنه ولا
شك فيما قلناه والذي يشهد لذلك من السمع اجماع الامة

على الرغبة الى الله تعالى في قبول التوبة والخضوع له والابتهال
بقبولها ولو كان قبول التوبة حتما لما كان للرغبة والالحاح في
الدعوات معنى اقول وهذا الكلام يدل ايضا على الاجماع على ان
قبولها ظني شرعا قال فان قيل هذا قولكم في العقل وموجبه فما قولكم
في قبول التوبة سمعا هل يثبت قطعا ام لا قلنا لم يثبت ذلك
عندنا قطعا بل هو مرجو مظنون ولم يثبت نص قاطع لا يقبل
التاويل قطعا بنفي وجوب القبول عقلا ولم نقطع بالقبول
سمعا ووعدا بل نظنه ظنا ويغلب ذلك على الظنون اذا توفرت
على التوبة شرايطها انتهى وقال النووي في شرح مسلم وهو الاصح
وقال في الروضة والقمولي في الجواهر هو الصحيح قالا وقال جماعة
من المتكلمين من اصحابنا هو مقطوع به وقال الابياري في شرح
البرهان الصحيح عندنا القطع بالمحو يعني محو الذنوب يعني به
قبول التوبة قال وسندنا الاجماع عليه وان اختلفوا في القطع
والظن اي في كون الاجماع دليلا قطعيا او ظنيا قال فمن قال
انها غير ماحية فقد خرق الاجماع فان قيل فبعض الايمة جازم

بالظن فكيف ينتج القطع قلنا يلزم من هذا ان الامة اذا اجمعت
على قبول مظنون ان لا يكون حجة ونحن نختار ان الاجماع
حجة على كل حال وظن بعضهم اقول يعني به جزمه اذ لا شك انه
غير يقين فيصح اطلاق الظن عليه قال لا يزيد على ظن جميعهم
اقول يعني بل دونه وبالجملة فالاجماع دليل ظني على الاصح المختار
عند المحققين على ان الاجماع على قبول التوبة ليس متواترا بلا خفاء
ولا نزاع عند العلماء في عدم قطعية الاجماع الغير المتواتر فما
يستند اليه اولى ان يكون غير قطعي قال الزركشي قال الحليمي ولا
يجب على الله قبولها ولكنه لما اخبر عن نفسه انه يقبل التوبه
عن عباده اقول يعني بقوله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
وبقوله غافر الذنب وقابل التوب وغير ذلك من الآيات وقد
صحت الاخبار النبوية في قبول التوبة منها ما سبق من حديث ابي
موسى الاشعري رض قال قال رسول الله صلعم ان الله يبسط يده
بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل
حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم قال الغزالي في الاحياء

وبسط اليد كناية عن طلب التوبه والطالب وراء القابل فرب قابل
ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل انتهى وغير ذلك من الاخبار
قال الحليمي فيما حكاه الزركشي ولم يجز ان يخلف وعده يعني
لقوله ان الله لا يخلف الميعاد قال علمنا انه لا يرد التوبة الصحيحة
على صاحبها تفضلا منه قال الزركشي وقال والد المصنف وهو
الشيخ تقي الدين السبكي في تفسيره قبول التوبة عن الكفر مقطوع
بها اعني ان الله تعالى يقبلها تفضلا قطعا وفي القطع بقبول
توبة العاصي قولان لاهل السنة وقد نجد في كلامهم الخلاف
في وجوبها وليس مرادهم ما قالته المعتزله وانما مرادهم بالقطع
القطع بوقوعها تفضلا كما ذكرناه وان ذلك ثابتة بادلة سمعية
مقطوع بها على احد القولين ومظنونة على الثاني والاصح انها
ظنية وعبارة ابن عطية في وجوبها قولان لاهل السنه وهو
محمول على ما قلناه انتهى ما ذكره الزركشي وقال الغزالي بعد بيان
ادلة القبول فهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة
مقبوله لا محالة قال فان قلت افتقول كما قالت المعتزله من ان قبول

التوبة واجب على الله فاقول لا اعنى بما ذكرته من وجوب قبول
التوبة على الله الا ما يريده القايل بقوله ان الثوب اذا غسل
بالصابون وجب زوال الوسخ وان العطشان اذا شرب الماء
وجب زوال العطش وانه اذا منع الماء مدة وجب العطش و
انه اذا دام العطش وجب الموت وليس في شئ من ذلك ما يريده
المعتزله بالايجاب على الله تعالى بل اقول خلق الله الطاعة
مكفرة للمعصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلا
للعطش والقدرة متسعة لخلافه لو سبقت به المشية
فلا واجب على الله لكن ما سبقت به ارادته الازلية فواجب
كونه لا محالة فان قلت فما من تايب الا وهو شاك في قبول
توبته والشارب للماء لا يشك في زوال العطش فلمه يشك
في قبول التوبة فاقول شكه في القبول لشكه في وجود
شرايط الصحة فان للتوبة اركانا وشروطا دقيقة وليس
يتحقق وجود جميع شروطها كالذى يشك في دواء شربه
للاسهال في انه هل يسهل وذلك لشكه في حصول شروط

الا[...]

الاسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء
وطبخه وجودة عقاقيره وادويته فهذا وامثاله يوجب الخوف
بعد التوبة ويوجب الشك في قبولها لا محالة انتهى وحاصله الاشارة
الى عدم القطع بقبولها لعدم تحقق وجود شروطها لا مع تحققه
وهو الصحيح المختار والله اعلم قال صاحب الجمع فان لم تقلع لاستلذاذ
او كسل فتذكر هاذم اللذات وفجأة الفوات او لقنوط فخف
(بالذال المعجمة اي القاطعة)
مقت ربك واذكر سعة رحمته واعرض التوبة ومحاسنها قال
الزركشي في الشرح ذكر المصنف ان لعدم اقلاع النفس عن الذنب
سببين احدهما استلذاذ المعصية او الكسل عن التسور
(اي الارتفاع والعلوة)
على الانابة فعلاجه الاقلاع بذكرها ذم اللذات ومفرق الجماعات
وهو الموت اذ لا محيص عنه ولا مهلة فانه يكدر العيش ويقطع الامل
ويبعث على العمل كما قاله النبى صلعم اكثروا من ذكرها ذم اللذات
فانه ما ذكر في كثير الا قلله ولا في قليل الا كثره انتهى مذكور الزركشي
وهذا الحديث رواه الترمذى عن ابى هريرة رض قال قال رسول الله صلعم
اكثروا ذكرها ذم اللذات يعنى الموت قال الترمذى حديث حسن

قال جلال الدين المحلي في شرح الجمع ورواه ابن حبان في صحيحه و
زاد في الحديث فانه ما ذكره احد في ضيق الا وسعه ولا ذكره في
سعة الا ضيقها عليه قال المحلي وهاذم بالذال المعجمة اي قاطع
وروى الترمذي ايضا عن ابي سعيد الخدري رض قال دخل رسول
الله صلعم مصلاه فراى ناسا كانهم يكتشرون فقال اما انكم لو اكثرتم
ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما ارى الموت فاكثروا ذكر هاذم اللذات
الموت فانه لم يات على القبر يوم الا تكلم فيه ثلاث مرات فيقول
انا بيت الغربة وانا بيت الوحدة وانا بيت التراب وانا بيت الدود
فاذا دفن العبد المومن قال له القبر مرحبا واهلا اما ان كنت احب
من يمشي علي ظهري الي فسترى صنيعتي بك قال فتتسع له مد بصره
ويفتح له باب الي الجنه واذا دفن العبد الفاجر والكافر فقال
له القبر لا مرحبا ولا اهلا اما ان كنت لابغض من يمشي علي
ظهري الي فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى ما صنيعتي بك
قال فتلتئم عليه حتى تلتقي وتختلف اضلاعه قال قال رسول الله
صلعم باصابعه فادخل بعضها في بعض قال ويقيض له سبعون

تنينا لو ان واحدا منها نفخ في الارض ما انبتت شيا ما بقيت
الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضا بها الى الحساب قال
رسول الله صلعم انما القبر روضة من رياض الجنه او حفرة من
حفر النار قال الترمذي هذا حديث حسن واورد حجه الاسلام
الغزالي رح في كتابه في نصيحة الملوك حكايتين لا ينبغي اخلاء هذا
المقام عن ايرادهما احداهما قال يروى انه كان ملك كثير المال قد جمع
مالا عظيما واحتشر من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا
ليرفه نفسه وتيفرغ لاكل ما جمعه فجمع نعما طايلة وبنى قصرا
عظيما عاليا مترفعا ساميا يصلح للملوك والامراء والاكابر
والعظماء وركب عليه بابين محكمين واقام عليهما الغلمان
الاجلاد والحرسة والاجناد والبوابين كما اراد وامر بعض الايام
ان يصنع له من اطيب الطعام وجمع اهله وحشمه واصحابه وخدمه
لياكلوا عنده وبنا لوارفده وجلس على سرير مملكته واتكى علي
وسادة وقال يا نفس قد جمعت نعم الدنيا باسرها والآن فرغي
بالك وكلي هذه النعم مهناة بالعمر الطويل فلم يفرغ مما حدثت

به نفسه حتى اتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب رثة و
مخلاة معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء فطرق الباب
طرقة عظيمة هائلة تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان
ووثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضعيف ما هذا الحرص
وسوء الادب اصبر الى ان ناكل ونعطيك مما يفضل فقال لهم
قولوا لصاحبكم ان يخرج الي فلي اليه شغل مهم وامر ملم فقالوا
تنح ايها الضعيف من انت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال
انتم عرفوه ما ذكرت فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وزجرتموه ثم
طرق الباب اعظم من الطرقة الاولى فنهضوا من اماكنهم بالعصى
والسلاح وقصدوه ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا
اماكنكم فانا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت حلومهم و
ارتعدت فرايصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال الملك
قولوا له ليأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال ما آخذ الا اياك ولا
اتيت الا لاجلك لافرق بينك وبين النعيم التي جمعتها فتنفس
الملك الصعداء وقال لعن الله هذا المال الذي غرني فاضرني ومنعني

بحيث

عز عباده

عن عبادة ربي وكنت اظن انه ينفعني فاليوم صار حسرتي وبلائي
وخرجت صفر اليدين منه وبقي لاعدائي فانطق الله المال حتى قال
لاي سبب تلعنني العن نفسك فان الله تعالى خلقني واياك من تراب
وجعلني في يدك لتتزود بي الى آخرتك وتتصدق بي على الفقراء
وتتزكا بي على الضعفاء وتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطير
لاكون عونا لك في اليوم الآخر وانت جمعتني وخزنتني وفي هواك
نفقتني ولم تشكر حقي بل كفرتني فالآن تركتني لاعدائك وانت بحسرتك
وندامتك فباي ذنب لي تسبني وتلعنني ثم ان ملك الموت قبض روحه
قبل اكل الطعام فسقط على سريره ضريح الحمام والثانية قال قال يزيد
الرقاشي كان في بني اسرايل جبار من الجبابرة وكان في بعض الايام
على سرير مملكته فراى رجلا دخل من باب الدار ذا صورة منكرة
وهيئة هايلة فلشدة هول الملك من هجومه وهيبة قدومه وثب
في وجهه وقال من انت ايها الرجل ومن اذن لك في الدخول الى داري
فقال امرني صاحب الدار وانا الذي لا يحجبني حاجب ولا احتاج في
دخولي على الملوك الى اذن ولا ارهب من سياسة سلطان

جالسا

ولا يفز عني جبار ولا لاحد من قبضتي فرار فلما سمع هذا الكلام خر
علي وجهه ووقعت الرعدة في جسده وقال انت ملك الموت قال نعم
فقال اقسم عليك بالله عليك الا امهلتني يوما واحدا لاتوب من
ذنبي واطلب العذر من ربي وارد الاموال التي اودعتها خزايني الى
اربابها كيلا اتحمل مشقة عذابها فقال كيف امهلك وايام عمرك
محسوبة واوقاته مبتوتة مكتوبة فقال امهلني ساعة فقال ان
[اي مقطوعة]
الساعات في الحساب قد عبرت وانت غافل وانقضت وانت
ذاهل وقد استوفيت انفاسك ولم يبق لك الا نفس واحد فقال
من يكون عندي اذا نقلتني الى لحدي فقال لا يكون عندك
سوى عملك فقال ما لي عمل قال له لاجرم يكون مقبلك الى النار
ومصيرك الى غضب الجبار وقبض روحه فخر من سريره ووقع
وعلا الضجيج من اهله وخدمه وحشمه وارتفع ولو علموا ما
يصير اليه من سخط الله لكان بكاؤهم عليه اكثر وعويلهم اوفر
وقال في منهاج العابدين مقدمات التوبة ثلاث احداها
ذكر غاية قبح الذنوب والثانية ذكر شدة عقوبة الله تعالى

واليم سخطه وغضبه التي لا طاقة لك بها والثالثة ذكر ضعفك
وقلة حيلتك في ذلك فان من لا يحتمل حر الشمس ولطمة شرطي و
قرصة نملة كيف يحتمل حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع
حيات كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من نار في دار
الغضب والبوار نعوذ بالله من سخطه وعذابه انتهى وقد صح عن نعوذ بالله صح
رسول الله صلعم بيان مقدار حر نار جهنم فعن ابي هريرة رض ان
رسول الله صلعم قال ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قيل
يا رسول الله ان كانت لكافية قال فضلت عليهن بتسعة وتسعين
جزءا كلهن بمثل حرها رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري وفي
رواية مسلم ناركم هذه التي يوقد ابن ادم وفيها عليها وكلها
بدل عليهن وكلهن واما ضرب مقامع الزبانية فنزل فيه قوله
تعالى وهم فيها مقامع من حديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها من
غم اعيدوا فيها الاية لكن نزل في حق الكفرة فيضم اليه تادية
الذنوب الى الكفر كما سبق واما الحيات والعقارب المذكورة
فوردت فيما رواه احمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن الحارث

بن جزء قال قال رسول الله صلعم ان في النار حيات كامثال البخت
تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها [اي سمها] اربعين خريفا وان في النار
عقارب كامثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد
حموتها اربعين خريفا قال الغزالي فاذا واظبت على هذه الاذكار
وعاودتها اناء الليل والنهار فانها ستحملك على التوبة النصوح
من الذنوب والله الموفق من فضله انتهى كلامه هنا وله كلام
اخر في المنهاج ايضا عظيم النفع في الباب لا يستغنى عن ايراده
ايضا قال رح عليك يا طالب العبادة وفقك الله بالتوبة
وذلك لامرين احدهما ليحصل لك توفيق الطاعه فان شوم
الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وان قيد الذنوب
يمنع عن المشي الى طاعة الله عز وجل والمسارعة الى خدمته وان
ثقل الذنوب يمنع من الخفة في الخيرات والنشاط في الطاعات
وان الاصرار على الذنوب مما يسود القلوب فتجدها في ظلمة
وقساوة ولا خلوص فيها ولا صفاوة ولا لذة ولا حلاوة وان لم
يرحم الله تعالى فستجر صاحبها الى الكفر والشقاوة ا يا عجبا كيف

يوفق للطاعة من هو في شوم وقسوة وكيف يدعي الى الخدمة من هو
مصر على المعصية والجفوة وكيف يقرب للمناجات من هو متلطخ
بالاقذار والنجاسات ففي الخبر عن الصادق المصدق رسول الله
صلعم انه قال اذا كذب العبد يتنحى الملكان عن نتن ما يخرج من فيه
انتهى اقول وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابن عمر رض مرفوعا
الى النبي صلعم بلفظ اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من
نتن ما جاء به قال الترمذي هذا حديث جيد كذا في نسختين وفي
احداهما زيادة صحيح وفي حاشيته حسن مع علامة نسخه
ويلحق بالكذب ما في معناه وفوقه بالطريق الاولى قال الغزالي
فكيف يصلح هذا اللسان لذكر الله تعالى فلا جرم لا يكاد يجد المصر
على العصيان توفيقا ولا يخف اركانه للعبادة وان تفق فبكد
لا حلاوة فيه ولا صفوة وكل ذلك بشوم الذنوب وترك التوبة
ولقد صدق من قال اذا لم تقو على قيام الليل وصيام النهار فاعلم
انك مكبول قد كبلتك خطيئتك فهذه هذه والثاني من الامرين
انما يلزمك التوبة [او مقيدة] لتقبل عنك عبادتك فان رب الدين لا يقبل

الهدية وكذلك ان التوبة عن المعاصي وارضاء الخصوم فرض لازم
وعامة العبادة التي تقصدها نفل فكيف يقبل منك تبرعك و
الدين عليك حال لم تقضه فكيف يترك لاجله الحلال والمباح
وانت مصرّ على فعل المحظور والحرام وكيف تناجيه وتدعوه وتثنى
عليه وهو والعياذ بالله عليك غضبان فهذا ظاهر حال
العصاة المصرّين على المعصيه والله المستعان قال الزركشي
السبب الثاني اي من سببي عدم اقلاع النفس عن الذنب القنوط و
الياس من رحمة الله لشدة الذنب او استحضار عظمة الرب
وشدة باسه فهذا مقت من الله وذنب آخر مضاف الى ذنب
المعصية وقد قال تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وعلاج هذا الداء بما يضاده وهو استحضار سعة رحمة الله تعالى
كما قال سبحانه يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي الصحيح والذي نفسي
بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم اقول رواه مسلم عن رواية ابي هريرة رض ثم ذكر حديث

انس رض قال قال رسول الله صلعم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين
يتوب اليه من احدكم كان راحلته بارض فلاة فانفلتت منه و
عليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها
قد ايس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قايمة عنده فاخذ
بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدي وانا ربك
اخطأ من شدة الفرح رواه مسلم واذا انتهى الكلام فيما يتعلق
بالتوبة واحكامها الى هذا المقام فلنختم الوجوه التي بيّناها التعذر
الاتيان بالواجبات والاجتناب عن المحرّمات وسيما حقوق العباد
مع الامارة في هذه الازمان باحاديث صحيحة تقوّي توجيه الوجوه
الحنيفة المسلمة للذي فطر السموات والارض طارحة عوايق الشك
في امتناع اجتماع الامرين وقاطعة علايق الاشراك في التوجه
الى حضرة القدس منها ما رواه عبد الله بن عمر رض قال قال رسول
الله صلعم الا كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالامام الذي على
الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على اهل بيته
وهو مسؤل عن رعيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده

وهي مسؤلة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤل
عنه الا فكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته رواه البخاري
ومسلم اقول ولا شك ان السؤال بقدر المسؤل عنه فيكون
سوال الامام اكثر واشد وروى الطبراني في معجمه الاوسط
عن معاذ بن جبل رض عن رسول الله صلعم قال يدخل الانبياء
كلهم قبل داود وسليمان الجنة باربعين عاما قال الطبراني لم
يروه الا شعيب بن خالد وهو كوفي ثقة ذكره زين الدين العراقي في
اواخر كتاب الصبر والشكر من تخريج احاديث الاحياء ولا شك ان
ذلك لاجل سؤالهما عن رعيتهما ثم في حديث عبد الله بن عمر رض فوائد
عظيمة ينبغي تفصيلها قال الشيخ الامام ابو بكر محمد الحسين بن المسعود
الفراء البغوي في شرح السنة معنى الراعي ههنا الحافظ المؤتمن
على ما يليه امرهم النبي صلعم فيما يلونه وحذرهم الخيانة فيه باخباره
انهم مسؤلون عنه فالرعاية حفظ الشيء وحسن التعهد فقد استوى
هولاء في الاسم ولكن معانيهم مختلفة اما رعاية الامام فولاية
امور الرعية والحياطة من ورائهم واقامة الحدود والاحكام

فيهم

فيهم واما رعاية الرجل اهله فالقيام عليهم بالحق في النفقة
وحسن العشرة واما رعاية المراة في بيت زوجها فحسن التدبير
في امر بيته والتعهد لخدمه واضيافه واما رعاية الخادم
فحفظ ما في يده من مال سيده والقيام بشغله وقال الشيخ ابو
محمد الطيبي في شرح مشكاة المصابيح قوله الا كلكم راع تشبيه
مضمر الاداة اي كلكم مثل الراعي وقوله وكلكم مسؤل عن رعيته
حال عمل فيه معنى التشبيه وهذا مطرد في التفصيل ووجه التشبيه
حفظ الشيء وحسن التعهد لما استحفظ وهو القدر المشترك
في التفصيل وفيه ان الراعي ليس بمطلوب لذاته وانما اقيم لحفظ
ما استرعاه المالك فعلى السلطان حفظ الرعية فيما يتعين
عليه من حفظ شرايعهم والذب عنها لكل مفسد لادخال
داخله فيها او تحريف لمعانيها او اهمال حدودهم او تضييع
حقوقهم وترك حماية من جار عليهم ومجاهدة عدوهم او ترك
سيرة العدل فيهم فينبغي ان لا يتصرفوا في الرعية الا باذن الله و
رسوله ولا يطلب اجره الا من الله كالراعي وهذا تمثيل لا يرى في الباب

الطف واجمع ولا ابلغ منه ولذلك اجمل اولاً ثم فصله ثم اتى
بحرف التنبيه مكررا وبالفذلكة كالخاتمة فالفاء في قوله
الا فكلكم راع جواب شرط محذوف يعني هو قوله فاذا كان كذلك
قال والفذلكة هي التي يأتي بها المحاسب بعد التفصيل ويقول فذلك
كذا وكذا ضبطا للحساب وتوقيا عن الزيادة فيما فصله انتهى ومنها
ما رواه معقل بن يسار رض قال سمعت رسول الله صلعم يقول ما من
وال يلي رعيته من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرم الله عليه
الجنة رواه الشيخان ايضا ومنها ما رواه الشيخان ايضا عن معقل
رض ايضا قال سمعت رسول الله صلعم يقول ما من عبد يسترعيه الله
رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة ومنها ما رواه
ابو سعيد الخدري رض قال قال رسول الله صلعم ان احب الناس الى الله
يوم القيامة واقربهم منه مجلسا امام عادل وان ابغض الناس الى الله
يوم القيامة واشدهم عذابا وفي رواية وابعدهم منه مجلسا امام جائر
رواه الترمذي وقال حديث حسن اقول واهل العلم يشعرون بل اهل
الانصاف من سائر الناس يعترفون بان العدل مفقود في هذه

الازمان

الازمان وما بقي منه الا الاسم وقد صح قول من قال من ائمة الدين ان
من قال في حق واحد من سلاطين الامة في الاعصار المتأخرة عادل
يكفر لانه جعل ما علم كونه ظلما بالضرورة من دين محمد صلعم عدلا
فهو انكار في المعنى والحقيقة لدينه ورسالته وكنت اسمع احيانا
عن الجهلة ان السياسات العرفية التي وضعتها الملوك لو رفعت
لم تنتظم احوال الناس واختل امور معايشهم وكذا الاموال المأخوذة
من الناس بعرف السلاطين لو تركت للرعايا لم يستوف الاموال التي دون
في اخذها من جهة الشرع لعدد العسكر وسد الثغور ونحوهما
ولا شك ان هذا الكلام كفر صريح لانه تجهيل لله تعالى كيف
وهو سبحانه انما وضع الشرع لنظام الناس فمن زعم ان نظامهم
لا يحصل بذلك فزعمه ذلك قول منه بان الله تعالى لم يعلم ما
يحصل به نظامهم وكذا الكلام في اخذ الاموال كما يعرف بادنى تأمل
وقد وقع مرة مناظرة في هذا الباب بيني وبين بعض من رآه اركان
الدولة اعني الوزراء لايقاً لوزارتي فقلت رعاية الشرع اقدم من
رعاية عرف السلاطين ومن يقول ان النظام لا يحصل الا بالعرف

يكفر فرد على الجواب بان السلاطين لم يكن خالقهم هو الله يعني
فينبغي تقديم حكم المخلوق على حكم خالقه فعارضت جوابه بان
الشياطين لم يكن خالقهم هو الله وعنيت به ان كون الشئ من
مخلوقات الله لا يفيد ذلك والا لافاده كون الشياطين كذلك مع
انه لا قايل به ممن له ادنى عقل ودين ثم اشتد جريان الكلمات المهملة
على لسانه فعلمت انه ممن قال الله تعالى فيهم لهم قلوب لا يفقهون
بها الى قوله اوليك كالانعام بل هم اضل اوليك هم الغافلون
فتركته يمشي وليعذر العقلاء صدور مثل هذه الكلمات منا فى هذا
المقام فانه ليس باختيارنا بل الحق يعلو ولا يعلى ومنها ما رواه ابو ذر
رض قال قلت يا رسول الله الا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم
قال يا اباذر انى اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تأمرن
على اثنين ولا تولين مال اليتيم رواه مسلم قال الشيخ محي الدين ابو زكريا
يحيي النووى رح فى شرح مسلم هذا الحديث اصل عظيم فى احتساب
الولاية لا سيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظايفها والخزى و
الندامة فى حق من لم يكن اهلا لها او كان اهلا ولم يعدل فيها فيخزيه الله

يوم القيمة ويفضحه ويندم على ما فرط فاما من كان اهلا لها
وعدل فيها فله اجر عظيم تظاهرت به الاحاديث الصحيحة
قال ولكثرة الخطر فيها حذره النبي صلوات الله عليه وسلامه
ولذلك امتنع العلماء منها وخلايق من السلف وصبروا على
الاذى حين امتنعوا اقول يعني الاذى الواقع من الناس لاجل
امتناعهم منها ثم اقول ان العدل فيها انما يتصور بان ينصب
لكل منصب من هو اهل له بان يراعي ما يجب عليه من وظايف منصبه
وقد اجاد الشيخ الامام القاضي ابو نصر عبد الوهاب ابن الشيخ تقي الدين
السبكي في كتابه المسمى بمعيد النعم ففصل الكلام فى وظايف اولياء
الامور من الامراء والسلاطين والوزراء والقضاة وغيرهم
لا يستغني عن ايراد بعضها هنا ليحصل البصيرة التامه بان رعاية
الشرع والخروج عن عهدة ما يجب على الامير مفقود فى هذه
الازمان فاقول قال القاضي رح فى كتابه المذكور من وظايف السلطان
تجنيد الجنود واقامة فرض الجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى فان الله تعالى
لم يوله على المسلمين ليكون رئيسا اكلا شاربا منشرحا بل لينصر الدين

ونعلي الكلمة فمن حقه ان لايدع الكفار يكفرون نعم الله ولايومنون
بالله ورسوله فاذا رأينا ملكا تقاعد عن هذا الامر واخذ يظلم
المسلمين وياخذ اموالهم بغير حق ثم سلبه الله نعمته وجاء يعيب
الزمان ويشكو الدهر أفليس هو الظالم وقد كان يمكنه بدل اخذ اموال
المسلمين وظلمهم ان يقيم جماعة في البحر يتلصصون اهل الحرب فان كان
هذا الملك شجاعاً ناهضاً فليرنا همته في اعداء الله الكفار و
يجاهدهم ويتلصصهم ويعمل الحيلة في اخذ اموالهم حلاً وبلاً ويدع
عنه اذية المسلمين ومن وظايفه ان ينظر في الاقطاعات ويضعها
مواضعها ويستخدم من ينفع المسلمين ويحمي حوزة الدين ويكف
ايدي المعتدين فان فرق الاقطاعات على مماليك اصطفاها
وزينها بانواع الملابس والزراكش المحرمة وافتخر بركوبها بين يديه
وترك الذين ينفعون الاسلام جياعاً في بيوتهم ثم سلبه الله النعمة
واخذ يبكي ويقول ما بال نعمتي زالت وايامي قصرت فيقال له يا احمق
أوما علمت السبب ألست الجاني على نفسك ومن وظايفه الفكرة
في العلماء والفقراء وساير المستحقين وتنزيلهم منازلهم

وكفايتهم

اقول وقد ورد علينا كتب من شخص محبوس في رودس من اهل
العلم والصلاح والدين يقال له ابو بكر الداراني من نسل ابي سليمان
الداراني من اكابر المشايخ المتقدمين وذكر فيها ان مولانا السلطان
نصره الله ليعلم ان اهل رودس ما لهم صلح الا بالسيف فانهم كفرة فجرة
وهم كما قال الله تعالى انهم لا ايمان لهم وليس لهم سبب الا الفساد و
الحرام فكيف يرجعون عن شئ طبع في قلوبهم وتربوا عليه فقد قال تعالى
لا تبديل لخلق الله فمولانا السلطان لوجه الله تعالي يصرف همته الي
حرب الكفرة ويغنم ثواب الجهاد فان كان قصد مولانا السلطان
نصره الله تعالي صلحهم لتخليص الاساري وتحصيل الاجر فيا مولانا
السلطان ما تخلّص عشرة اساري الا يمسك الكفرة مكانهم ماية مسلم
وياخذون ما يحتاجون اليه من البقر والمعز وغير ذلك وان مدّ
الله في اجل الفقير وخلّصه من الاسر سيقف قدّام مولانا السلطان
ابي يزيد خان خلّد الله ملكه في اصطنبول يحرّضه على اخراب رودس
واهلاك اهلها لان الفقير رأي بعينه ما هم منطوون عليه من الكفر
والعناد والغلظة فيه والاشتداد وتعذيبهم لاهل الاسلام وقهر

والاشرافه
الصالحين وضربهم وزجرهم فوالله يا مولانا السلطان لو علم المسلمون
ما للاساري فيه من القهر لكان حزنهم اكثر من فرحهم ويجب على كل مومن
ان يغتم بغم اخيه المومن فقد قال صلعم لا يكمل ايمان المومن حتى يري لاخيه
ما يري لنفسه وقال الله تعالى انما المومنون اخوة فمولانا السلطان يصرف
جميع همته الى اخذ هذه القلعة ويطلق جميع مراكبه للغزاء وينصر
عصابة الاسلام فمولانا السلطان يعلم ما وقع للسلطان محمد رحمة
الله عليه معهم وما وقع لجم رح معهم وكيف اكلوا مال السلطان ابي يزيد
نصره الله وبنوا به كنيسة في القلعة ووصي ملكهم الفاجر الخبيث ان
يضعوا ميته فيها ففعلوا زعما منهم ان هذا الموضع اشرف مواضع تلك
القلعة لان تلك الكنيسة بنيت بمال المسلمين الذي اخذوه عن سلطانهم
بخدعهم اياه وقهرهم وغلبتهم عليه ولو بالحيلة وقد صح عندنا انهم سرقوا
قنديلا من فضة من جامع السلطان محمد رح وعلقوه في تلك الكنيسة
فان لم يصدقه السلطان ابو يزيد نصره الله فليفتشه ممن يعتمد على خبره
من اهل الدين والصلاح وليرسل مثل ذلك حتي يختبره في رودس وقد
وصل خبره الي حد التواتر وهذه الغيرة تكفي لاثارة عزم السلطان على

فتح تلك القلعة وفي ظنهم الفاسد انهم يأخذون اصطنبول بابن السلطان
جم واخذوا شخصًا ادعي انه ابن قرمان فاكرموه والبسوه اقمشة رفيعة
وقالوا نأخذ بلاد قرمان لهذا فيا عجبا كيف يتاخر السلطان ابو يزيد نصره
الله عنهم وقهرهم عليه فرض كالصلوة والصيام فوالله العظيم لو اخذ مولانا
السلطان جميع بلاد النصاري وقلعة رودس باقية علي حالها ما فتحت
فكانه ما فعل شيئا فعمارة رودس جميعها بمراكب دايرين في الصيف والشتاء
علي ظهر البحر يتلصصون ويأخذون مراكب المسلمين فلو ارسل السلطان
ابو يزيد نصره الله وخلد ملكه مع الكمال الرئيس خمس قادرغا وامره باخذ
جميع مراكب رودس لفعله ولخرج بافداء اهلها اسرآء كثيرة من المسلمين
ولاهل رودس يخافون من الكمال اكثر من ملك الموت فالله ينصره عليهم
واما المراكب التي يخرجون الى التلصص واخذ المسلمين فهي قليون فرامرال
مع مركب قربيلا وقليون نقولا وصحبه برچا وفي رودس برچا الفرامرال
وثلاث مراكب اخر فبهذه عمارة جميع رودس وهم يخرجون متفرقين
بمركبين مركبين فمولانا السلطان نصره الله تعالي ان ارسل اليهم الكمال
مع خمس قادرغا وخمس سلوره فسوف يظفر بهم انشاء الله تعالي فمولانا

السلطان نصره الله يعلي همته ويحرص على فتح رودس وتخليص المسلمين
لوجه الله تعالي ولا يصالحهم اذ صلحهم جميعه خداع والفقير ارسل قصصًا
متكاثرة للسلطان نصره الله تعالي يذكر بها ما هم منطوون عليه من الكفر
والعناد وان بها اساري كثيرة وهم في حال لا يمكن شرحه ولا يسلّون انفسهم
كل وقت الا بان السلطان ابايزيد خلد الله ملكه يفتح رودس ويخلص من
له عمر الى ذلك الوقت من الاسر وفيها من له ثلاثون سنة ينتظر ذلك وبها
شيوخ وعجوزات وصبيان ضعاف تنتظر ذلك يسّره الله تعالى بفضله
وكرمه فلما راي الفقير ذلك وعجز وهو يكتب لاهل الخير وليس له احد
يجيب سواله فصبر واحتسب بالله تعالى وهو ينتظر ما ينتظره الموحّدون
وعلم ان ليس له من دون الله كاشفٌ ضرّه فنسال الله تعالي ان يلقي في قلب
السلطان ابي يزيد الله ينصره السفر اليها بحق محمّد واله صلى الله عليه و
علي اله وسلم حتى يتحقق رجاء الفقير ويري ما يخطر بقلبه بعين رأسه
انشاء الله تعالى ويذهب القهر عن المسلمين ولقد بلغ الفقير ان عند
السلطان ابي يزيد نصره الله من المنافقين من يقول له انها قلعة صعبة
الاخذ فيضيع العسكر والعدد هناك بلا فايدة وعلي تقدير ان يؤخذ هي

مثل كنيسة وليس بها مال فلا يحصل منها بدل المال المصروف لها فوالله يا
مولانا هي ليست بصعبة من مثون بل هي سهلة الاخذ من مثون من جهة
ان لها طرفا سورها فيه رقيق وخندقه غير عريض ولا عميق وايضًا
فالريح تهبّ اليها من جانب غالبا لو اوقدت هناك نيران يسوق
الريح دخانها الى القلعة فيصعب عليهم صعوبة شديدة وهم لا يصبرون
عليها ويصير سببا لتسليمهم القلعة الى المسلمين انشاء الله تعالي وهم
في غصة هذا المخوف في كل وقت وايضا فاهل تلك القلعة سوي
الفرارية كلهم من الروم والفرارية من الافرنج وهم مقدار ستمائة نفر
فهم يظلمون الروم ظلما كبيرا قد يقتلون بعضهم ولا يجعل بينهم قصاص
ولا يؤخذ منهم ديات ويزنون بنسائهم ويلوطون بابنائهم ويغصبون
اموالهم ويضربونهم ويوذونهم بحيث كاينة بينهم عداوة شديدة بحيث
لو وقع علي تلك القلعة عسكر المسلمين لساعدوهم من داخل القلعة
في السعي في اخذها مع ان الفتح بيد الله والعسكر والعدد وعدم الاحكام
من الاسباب العادية ووالله بها مال لا يحصره العقل والفقير يوضح
ذلك انشاء الله تعالى وهو ان كل نصراني يدخل تلك القلعة من ساير

القلاع ويريد ان يجعل هناك افراريا اي جنديًّا لاجل المحاربة وان يعلّق
علي صدره صليب يدفع مائة دينار توضع في حاصل سنجوان وهو صنم
مصنوع علي اسم يحيى عليه السلام من الذهب في مقدار آدمي وعليه من
الجواهر ما لا يحصى عددها ولا يعدّ قيمتها ومع ذلك في راس كل سنة
يبدلون تلك الجواهر بجواهر اخري يرسلونها امراء النصاري ونحوهم
من ساير بلادهم وما بدّل منها وقلع عنه يجعلونها في خزانته وكلّما اخذ
الخرسيان غنيمة عُشرها لسنجوان فوالله العظيم الفقير يري بعينه في كل
شهر يدخل الي رودس غنيمة وهي علي هذا الحال من حين فتح قلعة عكّا وهو سنة
سبع وستين وسبعماية وهرب صاحب عكّا وعمّر رودس وابلغ من ذلك
انه كلما مات بها افراري او كمندور وهو من علي النظر في مصلحة القلعة من
امرائهم واهل تدبيرهم يحفظ جميع ماله لسنجوان والله يا مولانا السلطان مات بها
كمندور وترك ثمانين الف دينار رفعت لسنجوان وانما يحفظون هذه الاموال السنجوان
اعتقادًا منهم ان الكفرة يفتحون جميع بلاد الاسلام بتلك الاموال وصرفها في عدد العسكر
وبها ذخاير الغرب والشرق فمال سنجوان يزيد علي مال السلطان الذي يصرفه في فتح القلعة بكثير
ومال البلد للمجاهدين ولو سلّم ان ليس فيه شيء من المال لكن ينبغي للمومن ان يكتفي بالثواب الحاصل
في الاخرة بسبب فتحه وتخليص المسلمين من ايذاء الكفرة ولا سيما فقد وجب وتعيّن وبالله التوفيق

وكفايتهم من بيت المال الذى هو فى يده امانة عنده ليس هو فيه
الا كواحد منهم ولدلوه نسبة دلاء المسلمين فان ترك العلماء و
الفقراء جياعاً فى بيوتهم يبيتون ومنهم من يطوى الليله والليلتين
هو وعياله على الجوع واخذ يمن بعظيم ملكه ومحاسن سماطه و
زينته ولباسه ولباس حاشيته فذاك احمق جهول وان ضمّ
الى هذا انه استكثر على الفقهاء ما بايديهم وتعرض لاوقاف وقفها
اهل الخير ممن تقدمه عليهم فهو بلاء على بلاء فانّ من حقه
ان ينظر فى مصالحهم واوقافهم وان لا يكلهم اليها بل يرزقهم
من بيت المال ما يتم به الكفاية فاذا تعرض لها فقد خرق حجاب
الهيبة فان ضمّ الى ذلك انه يبيعها بالبرطيل (اى الرشوة) ويضعها فى غير
مستحقها فما يكون جزاؤه ومن وظايفه بيت مال المسلمين
وقد قرر الشارعُ المصارفَ فيه وجعل لكل مال اقواماً وقدراً
فان تعدّى هذا كله وصرفه فى شهواته ولذاته وحسب ان
الملك عبارة عن ذلك فلا يلوم الا نفسه واذا جاءه سهم
ربانى لا يستوحش وان اخذ يصرف الاموال على خواصه ومن يريد

استمال قلوبهم اليه لبقاء ملكه لا لاعزاز الدين واعجبه مدايح
الشعراء لكرمه فذلك خرق وقد امتلات التواريخ بمن كان يهب
الالوف للشعراء والمماليك والالوف للمغاني وكذلك وبال على
صاحبه فقد كان بيت المال في زمن امير المومنين عمر رض اضعاف
ما هو اليوم بما لا يحصى كثرة وفتح الله عليه من الفتوحات ما امره
مشهور وجاءه مع ذلك اعرابي يستمنحه فقال يا عمر الخير جزيت الجنة
اكس بنياتي وامهنه وكن لنا من الزمان جنه اقسم بالله لتفعلنه
فلم يرح اي عمر لترققه ولا راعه قسمه عليه بل قال ان لم افعل يكون ماذا
فقال اي الاعرابي اذا ابا حفص لاذهبنه فقال اي عمر واذا ذهبت
يكون ماذا فقال اي الاعرابي يكون عن حالي لتسئلنه يوم يكون
الاعطيات هنه وموقف المسؤل بينهنه اما الى النار واما جنه
فلما ذكر له الجنه والنار والموقف بين يدي الملك الجبار بكى حتى
اخضلت لحيته بدموعه وقال يا غلام اعطه قميصي هذا لذلك
اليوم لا لشعره اما والله لا املك غيره فانظر مع ما حصل له من
الرقة الدينية لم ينعم الا بما هو من خاصه ماله ولم يجد غير قميصه

وقد كانت خزاين الارض مملوة بين يديه قال العلماء ولم يعطه من
بيت مال المسلمين وان كان الاعرابي فقيرا مستحقا لانه لما استنزله
بشعره لم يكن العطاء لمصلحة المسلمين فلم يعط من مالهم قالوا ولانه
لم يثبت عنده ان الاعرابي من جملة مصارف مال الصدقات وقال
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والخزاين مملوة بين يديه من يشتري
مني سيفي هذا ولو وجدت رداء استتر به ما بعته فهذا سيرة اهل
الحق والدين ولسنا نطالب اهل زماننا بها فانهم لا يصلون الى هذا
المقام ولكن نذكرهم لعلهم يرجعون ويقصرون عما هم فيه فلا بد
في الذكرى من نفع انشا الله تعالى ومن وظايفه النظر في الدين والصلوات
اقول واموار الصلوات مختلة في ديارنا اذ لا صلاة مطلقا في القرى
والمصلون في البلاد غالبهم يصلون بجنابة او حدث او نجاسة
على بدن او ثوب او مكان اما الجنابة فانهم لا يعرفون الاستنجاء
الكافي في طهارة المحل بالماء فانه انما يطهر المحل اذا زال عين النجاسة
وغلب على الظن زوال اوصافها من الطعم واللون والريح ايضا وهذا
شرط في صحة الغسل فمن لم يفعل الاستنجاء المذكور واغتسل بتنجس

ما بين فخذيه بغسالة النجاسة التى هى قايمة على المحل ولم تزل
بعد واما الوضوء فلا يغسلون اطراف الاعضاء على انهم لا يعرفون
باى شيء ينجس الماء وباى سبب يصير مستعملا والماء الطاهر الطهور
شرط لصحة الغسل والوضوء وازالة النجاسة قال الشريف تقى الدين
ابو بكر الحصنى فى كتاب قمع النفوس يسأل فى القنطرة السادسة من
قناطر يوم القيامة عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز
والا فهو محبوس فى شدة عناء زيادة على ما هو من اوزاره و
الغسل والوضوء واجبان بالكتاب والسنة واجماع الامة عند
ما يقتضى ايجابهما ولا بد من الاتيان بهما على الوجه الشرعى والا
فهو باق على ما كان عليه من الحدث الاكبر والاصغر ولهما شروط
واركان مذكورة فى كتب الفقه فيجب على كل مسلم تعلم ذلك ومتى اخر
عصى واستحق العقوبة قال فلو لم يسبغ الوضوء حتى ترك قدرا بالغسل صح
يسيرا من اى عضو من اعضاء الوضوء لم يصح طهارته واستحق على ذلك
العقوبة اذا تركه مع علمه بذلك وكذا لو كان على اعضاء الوضوء ما
يمنع وصول الماء الى البشرة كشمعة او اثر عجين او طعام او غير ذلك

وقد

وقد صح التوعد بالنار على ذلك قال وقد اجمعت الامة على تحريم الصلاة
بغير طهارة من غسل ووضوء او تيمم ولا فرق بين صلاة الفرض والنفل
فلو صلى محدثا متعمدا بلا عذر اثم اثما عظيما وهل يكفر قال جماعة من
العلماء منهم ابو حنيفه رح انه يكفر لتلاعبه بالدين والله اعلم انتهى
ثم انهم لا يعرفون اركان الصلاة وباى شئ يبطل وعلى ولاة الامور
تعليمهم جميع ذلك والامر بالصلاة والضرب على تركها بل الحبس
وهم يكتفون احيانا بارسال من يجمع منهم المال والصيام مفقودة
الحصني صح ايضا كما هو معلوم ومصححوا الصيام من الظلمة يبطلون اثرها باكل
الحرام قال الشيخ الشريف فى قمع النفوس من المصايب العظيمة على الظلمة
واتباعهم ان احدهم يطوى نهاره بصوم لا يتقى من النار من كثرة كلامه
السئ مع الفجور والنميمة والغيبة ثم يفطر على المال الحرام الذى فيه
غضب الله تعالى وغضب رسوله صلعم وربما تعدى شر هذه الظلمة
الى الفقراء باطعامهم من مال اشتروه ولم يفوا جميع ثمنه او لم يعطوه
شيئا وربما اخذوا حوايج الطعام واحالوا على مكس او غيره فهذه
الامور كلها من اسباب العذاب نسأل الله تعالى ان يحمينا من اسباب

غضبه ولو اعتقد المتصدق بالمال الحرام انه مثاب وكذا الفقير
كفر والله اعلم قال القاضي ولقد راينا منهم اى الملوك من يعمر الجوامع
ظانا ان ذلك من اعظم القرب فينبغي ان يفهم مثل هذا الملك ان اقامة
جمعتين في بلد لا يجوز عند اكثر العلماء فان قال قد جوزها قوم قلنا
له اذا فعلت ما هو واجب عليك عند الكل فذاك الوقت افعل الجائز
عند البعض واما انك ترتكب ما نهى الله عنه وتترك ما امر به ثم
تريد ان تعمر الجوامع باموال الرعايا ليقال هذا جامع فلان فلا والله
لن يقبله الله تعالى ابدا فان الله سبحانه طيب لا يقبل الا طيبا ومن
اقبح البدع المحرمة تقبيل الارض بين يدى الملوك فان كان سجودا
بان لاقى بجبهته الارض قال قال النووى وسواء كان الى القبلة او
غيرها قال القاضي وسواء قصد السجود لله تعالى وغفل قال لا هو
حرام قال القاضي وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر او يقاربه عافانا
الله الكريم عنه اقول وما نقله عن النووى ينبغي ان ننقله باصله
قال رح في شرح المهذب في باب الاحداث في الكلام على حكمها
ما يفعله عوام الفقراء وشبههم من سجودهم بين يدى المشايخ وربما

كانوا محدثين هو حرام باجماع المسلمين وسواء في ذلك كان متطهرا
او غيره وسواء استقبل القبله ام لا وقد يتخيل كثير منهم ان ذلك
تواضع وكسر للنفوس او يتقرب الى الله تعالى بما حرمه اقول ولا شك
ان من يقصد التقرب الى الله تعالى بفعل محرم مع اعتقاد تحريمه يكفر
وكذا مع اعتقاد حله ان كان تحريمه من ضروريات الدين الا ان يكون
قريب عهد بالاسلام او نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه
فيعرف ذلك فان استمر عليه حكم بكفره ذكره النووى في شرح
مسلم وكذا غير النووى قال في شرح المهذب بعد كلامه السابق
ذكره وربما اغتر بعضهم بقوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا والآية منسوخة ومأولة كما هو معروف في كتب العلماء
قال وسئل الشيخ ابو عمرو ابن الصلاح عن هذا السجود الذى
قدمناه فقال هو من عظائم الذنوب ونخشى ان يكون كفرا انتهى
قال القاضي وفي بعض كتب الحنفية ان بعضهم قال يكفر مطلقا
وبعضهم قال ان اراد التحية فهو حرام ولكن لا وان لم يكن له نية
كفر عند اكثرهم انتهى اقول وتخصيص الحكم بكفره بملاقاة الجبهة الارض

في كتاب الايمان

مبنى على قول من يوجب ذلك في السجود وعند بعض العلماء يكفي في
السجود ملاقاة الانف الارض فليتصور المسئلة فيه ايضا ثم لاخلاف
بين العلماء ان السجود لغير الله بنية جعله عبادة له كفر ثم اعلم
ان في الفتاوى الموصلية للشيخ عز الدين ابن عبد السلام انما يفعله
الناس من تنكيس الرؤس ان انتهى الى اقل حد الركوع فلا يفعل كما
لا يفعل السجود لغير الله ولا بأس بما نقص من حد الركوع لمن يكرم
من اهل الاسلام انتهى كلامه وفيه امران احدهما انه نزل تنكيس
الرؤس الى اقل حد الركوع بمنزله السجود وجعله في حكمه وهذا
يشعر بان يكون الركوع للمخلوق عبادة له فعلى هذا ان قصد به
تنكيس الرأس مع قصد العبادة له يكون كفرا وان لم يقصد به
العبادة بل قصد مجرد التعظيم لا يكون كفرا لكنه حرام حرمة
شديدة كما سبق في السجود ويجري فيه خلاف الحنفيه ايضا
اذ لا فرق بينهما ويدل عليه ايضا قول القايلين بوجوب الذكر من
القران وغيره في القيام والقعود من الصلاة دون الركوع والسجود
ان الاولين لا ينفصلان عن العادة ولا بد ان من العبادة بلا ذكر

بخلاف

125

بخلاف الركوع والسجود اذ لا يكونان الا عبادة فلا حاجة الى
جعلها عبادة بفصلهما عن العادة بالذكر واما اقل حد الركوع
فقال ابو عبد الله السرخسي الحنفي في المحيط اذا طأطأ رأسه
قليلا وكان الى تمام الركوع اقرب منه الى القيام اجزاه وان كان
الى القيام اقرب لم يجزئه وقال الفارقي الشافعي في فوايد المهذب
قال ابو حنيفة يجزيه ان ينحني قدرا بحيث يخرج به عن الاعتدال
لانه يسمى بذلك راكعا يقال نخل راكع اذا كانت مايله انتهى وعند
الشافعية يجب ان ينحني الى حد يبلغ راحتاه ركبتيه مع اعتدال
طول يديه لانه لا يسمى في العرف راكعا بدون ذلك والحقيقة
العرفية مقدمة على اللغوية على ان قولهم نخل راكع بادنى ميل يحتمل
ان يكون مجازا ثم انا حيث نحكم بكفر الساجد والراكع يلزم كفر
المسجود والمركوع له ايضا اذا رضي به وحيث لا نحكم بكفر فاعله
فهو آثم اثما عظيما وكذا من يفعل له ذلك برضاه ولاسيما بامره
او وضعه عادة وبالله التوفيق والامر الثاني ان قوله ولا باس بما
نقص من حد الركوع غير صحيح قال النووي في كتاب الاذكار يكره

حتى الظهر بكل حال لكل احد لما روينا في كتابي الترمذي وابن ماجه
عن انس رض قال قال رجل يا رسول الله الرجل منا يلقى اخاه وصديقه
اينحني له قال لا قال افيلزمه ويقبله قال لا قال فياخذ بيده ويصافحه
قال نعم قال الترمذي حديث حسن قال النووي ولم يات له معارض
فلا مصير الى مخالفته ولا يغتر بكثرة من يفعله ممن ينسب الى
الصلاح والعلم وغيرهما من خصال الفضل فان الاقتداء انما
يكون برسول الله صلعم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا وقال فضيل بن عياض رح ما معناه
اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين انتهى واما تقبيل
يد انسان فقال النووي في كتاب الاذكار وغيره ان كان ذلك
لزهده وصلاحه او علمه وشرفه وصيانته او نحو ذلك من
الامور الدينية لم يكره بل يستحب وان كان لغناه ودنياه و
ثروته وشوكته ووجاهته عند اهل الدنيا او نحو ذلك فمكروه
شديد الكراهة وقال ابو سعد المتولي لا يجوز فاشار الى تحريمه
انتهى اقول واعلم انه قال المتولي في تتمة الابانة اذا اراد

ان يقبل يد غيره فان كان يكبره لزهده وعلمه او كبر سنه لم يكره
لما روي ان اعرابيا قعد عند رسول الله صلعم فاستحسن كلامه
فقال ايذن لي حتى اقبل وجهك فاذن له ثم قال له ايذن لي حتى
اقبل يدك فاذن له ثم قال له ايذن لي حتى اسجد لك فلم ياذن له
انتهى وهذا الحديث ضعيف قال ابن الملقن وابن حجر في تخريجهما
لاحاديث الرافعي رواه الحاكم في المستدرك وابو نعيم في
دلايل النبوة من حديث بريده مطولا من روايه حبان بن على
العنزي وهو ضعيف عن صالح بن حبان وهو ضعيف قال
ابو نعيم وتابع حبانا تميم بن عبد المومن عن صالح بن حبان و
يعني عنه في الدلاله حديث زارع في وفد عبد القيس قال فجعلنا
نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رسول الله صلعم ورجله الحديث
رواه ابو داود في باب قبله الجسد وحديث ابن عمر رض في قصه
قال فدنونا يعني من النبي صلعم فقبلنا يده رواه ابو داود اقول
وكذا في نسختين لي من السنن وضم ابن الملقن وابن حجر اليه ورجله
قال المتولي فاما ان كان يعظمه اي بتقبيل يده لغناه او لسلطنته

لم يجز له لما روى عن رسول الله صلعم انه قال من تواضع لغنى لغناه
ذهب ثلثا دينه انتهى اقول وهذا الحديث مختصر مما روى عن
ابى ذر رض قال قال رسول الله صلعم لعن الله فقيرا تواضع لغنى من اجل
ماله من فعل ذلك من الفقرآء ذهب ثلثا دينه لكنه حديث واه
قال ابن الجوزى في الموضوعات هذا حديث موضوع على رسول
الله صلعم وفيه بشير بن زاذان قال يحيى ليس بشئ وفيه عمر بن الصبح
وهو المتهم به قال ابن حبان كان يضع الحديث وقال الدار قطنى
متروك انتهى ويغنى عنه حديث سهل بن سعد رض قال قال
رسول الله صلعم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى
منها كافرا شربة رواه احمد والترمدى وابن ماجه وقال الترمذى
حديث صحيح وحديث ابى هريرة رض ان رسول الله صلعم قال الا ان
الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم و
متعلم رواه الترمدى وابن ماجه وقال الترمدى حديث حسن
فاذا ثبت كون الدنيا مذمومة محقرة عند الله فاللازم
للمكلفين ان لا يجعلوها ممدوحة معززة لانه خلاف ما يرضاه

الله تعالى ويحبه ولا شك ان تعظيمه لغناه ورياسته فى الدنيا وامورها
يستلزم جعلها ممدوحة معززة مكرمة فيكون خلاف رضاء الله
فان لم يكن حراما فلا اقل من الكراهة الشديدة والله اعلم قال المتولى
ويكره لمن دخل على قوم ان يطمع فى قيامهم له لما روى عن رسول الله صلعم
انه قال من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار اقول
رواه ابو داود والترمدى عن رواية معاوية رض وقال الترمدى حديث
حسن قال المتولى الا انه يستحب للقوم ان يكرموه لما روى ان سعد بن
معاذ لما اقبل قال رسول الله صلعم قوموا لسيدكم اقول رواه البخارى
عن ابى سعيد بلفظ ان اهل قريظة نزلوا على حكم سعد فارسل النبى حديث
صلعم اليه فجاء فقال قوموا الى سيدكم او قال خيركم فقعد عند النبى
صلعم ثم الظاهر ان استحباب اكرام القوم له بشرط ان يكون الاكرام
لا لغناه ورياسته بل لفضيلة اخرى وقد صرح النووى بذلك فقال فى
كتاب الاذكار وغيره المختار استحباب اكرام الداخل الذى فيه فضيلة
ظاهرة من علم او صلاح او شرف اقول وهو كونه من نسل النبى صلعم قال
او ولاية مع صيانة اى عن المحرمات او له حرمة بولادة او نحوها بالقيام

له عند الدخول قال ويكون هذا القيام للاكرام والاحترام لا للرياء و
الاعظام اقول وبشير بقوله والاعظام الى كراهة القيام لرياسة الدنيا
وهو كذلك لما ذكرناه انفا لكراهه تقبيل يد الاغنياء ونحوهم وحديث
ابى امامه الاتى بعد هذا ثم اقول اعلم انه وان استحب للقوم ان يقوموا
للداخل الذى فيه فضيلة لكن يستحب للداخل ايضا منع القوم عن
القيام له وفي معناه القيام عند الخروج فعن انس رض قال لم يكن
شخص احب اليهم من رسول الله صلعم وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون
من كراهته لذلك رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح
وعن ابى امامه رض قال خرج رسول الله صلعم متكئا على عصا فقمنا له
فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا رواه ابو داود ولم يضعفه
قال القاضى ابو نصر ابن السبكى في كتابه المذكور قبل هذا وعلى
نواب السلطنه مثل ما على السلطان ويزدادون بان من حقهم السلطان
مراجعته اذا امر بما يخالف المصلحة اى مراجعة بتنبيهه على
مخالفة امره المصلحة وبنصيحته لان يراعى موافقه المصلحة قال
وتفقد حال الرعيه صغيرهم وكبيرهم جليلهم وحقيرهم غنيهم

وتفقدهم

وفقيرهم والنظر في القرى والغلات ونحوها وايصال الحقوق
الى مستحقيها من ذوى النهضه والكفايه والحاجه وتولية المناصب
لاهلها اقول وجوب هذا على السلطان اولى كما لا يخفى قال واقامة
فقيه فى كل قريه لا فقيه فيها يعلم اهلها امر دينهم والقاء مقاليد
الاحكام الى الشرع لانه لا حاكم الا الله تعالى ولن يفعل العقول شيئا
فاذا رايت من يعيب على نايب السلطنه انقياده للشرع وينسبه بذلك
الى اللين والرخاوة فاعلم انه يخشى عليه ان يكون ممن طبع على قلبه
وان عاقبته وخيمة بل حق على كل مسلم الرضاء بحكم الله تعالى والانقياد
له ومن لم يرض بما انزل الله فاوليك هم الفاسقون الكافرون الظالمون
انتهى وقال الشيخ الشريف تقى الدين ابو بكر الحصنى في كتاب قمع النفوس
ومن الصفات الخبيثه والاحوال الغشية ما اطردت به عادة نواب
السلطنه فى البلدان كدمشق مثلا فانى شاهدت ذلك فانما اخبر اى الفاسدة
عن معاينة فاذا قلد السلطان شخصا امرها وورد علينا فاول
المظالم الذى يصنعها ان ترصد له الاقامات فى المنازل المعتادات
فتوجد الاقامه على وجه الاكراه والظلامه فهل مثل هذا امير

انما هو مشابه للخنزير هو رجس اينما حل غل ومن ايذاء الكبير والصغير
لا يمل ثم يفتح بطنه للبرطيل ولا يرد ولو كان سحتا قدر النقير و
الفتيل فاذا قارب البلد خرج اليه قضاة الرشا وهنوه بما فيه ملاكه
عند الصبح والعشآء ويخضعون له في مشيتهم كان بهم عرجا الا لعنة
الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ثم
يصنع له سماط خارج البلد كله من دماء المسلمين وغيرهم وتتبعه الظلمة
الذين هم اعوانه بما يليق بمنصبه الخبيث على قدر ظلمه وجبروته
ويسخرون الناس ودوابهم والناس معهم في ضيقة وحيرة فاذا اراد
الدخول الى البلد هرع اليه القينات بالمعازف والات اللهو وتبعهم
الفساق واهل النفاق وحدقوا اليه بالابصار وكانوا بفعلهم هذا
الخبيث له من الانصار فاذا انتهى الى مجلسه الخبيث جلس جلسة
الجبروت وغاب عن قلبه المغرور بهذه المصايب انه يموت ثم يقول
من له حاجه فليرفعها فياتي شخص اليه فيذكر مظلمته فيحكم بما يلقي
الشيطان على لسانه لانه جاهل لا يعرف علما ولا يجالس اهل الخير
من العلمآء فاذا حكم بجهله تلك الحكومة الخبيثه قال الجلسايه

من

من الفقها الذين هم اشر على الخلق من الشيطان ما تقولون فيقولون
هذا حكم الله ثم ينظر بعضهم الى بعض ويقولون مثل هذا ينبغي ان
يكون اميرا الحمد لله الذي من على المسلمين بمثل مولانا ملك الامرآء
قاتلهم الله انى يوفكون فيعجب ذا الخبيث بقولهم ولا يدري انه
قد كب في النار بحكمه بجهله قال رسول الله صلعم القضاه ثلاثه
قاض في الجنه واثنان في النار قاض عرف الحق فقضى به فهو
في الجنة وقاض عرف الحق فحكم بخلافه فهو في النار وقاض قضى
على جهل فهو في النار اقول رواه ابو داود وابن ماجه قال قال
العلمآء كل من ليس باهل للحكم فلا يحل له الحكم وان حكم فهو آثم
ولا ينفذ حكمه سوآء وافق الحق ام لا لان اصابته اتفاقيه ليست
صادرة عن اصل شرعي فهو عاص في جميع احكامه سواء وافقت
الصواب ام لا وهي مردوده كلها ولا يعذر في شيء من ذلك والله اعلم
ثم اذا حكم هذا الظالم بحكم الجاهليه وحسنه له جلساؤه من القضاة
الساعين في هدم الشريعه طلب المحكوم له ان يسجل له بذلك
فيامر هذا الظالم القضاه السوء بذلك فيبادرون الى امضاء امره

والترمذي وكذا النسائي في سننه الكبرى على ما قاله ابن الملقن قال والحاكم وقال صحيح الاسناد

وان كانوا يعلمون انه باطل فاذا تم تسجيلهم بذلك امرهم بالحكم
بذلك فبادروا الى مراده فاذا علم المحكوم عليه بذلك بادر الى
الرشوة اما بالاعطاء ناجزا واما بالوعد فياتي راس الظلمة بعد
الامير فيقول له ان خصمه ابدا اشبهه و يطلب من ملك الامراء
النظر في حاله ويشير اليه بعلامة الرشوة فيحكم للمحكوم عليه بعد
التسجيل والحكم ثم يقول للقضاة احكموا لهذا فقد بان لنا ان الحق
في جهته او لا يذكر شيا من ذلك فيبادرون الى ابطال ما فعلوه
اولا ويفعلون ما يومرون به ولو تكرر مرارا فقبح الله هذه القضاة
وهذا الامير ما اكرههم لشرع الرحمن واحبهم لشرع الشيطان
انا لله وانا اليه راجعون فيما يصنعه هولاء الفقهاء الاخباث
ثم ان هذا الامير الظالم يستمر على قاعدة من تقدمه من الامراء الظلمة
من اخذ المكوس والظلم والجور بل يزيد ثم اذا قيل له في ذلك يقول
انا ما احدثت شيا وهذا في ذمة الذي احدثه قاتله الله ما ابغضه
لدين الله ولشرعه الذي شرعه وانزل به كتبه اقول غالب ما ذكره
في حقهم هي احوال امراء ديارنا وولاة الامور بل وزرائها

ودفتر داراتها وبل قضاتها كما سياتي ثم ذكر الشيخ بعض احوال
النواب الخبيثة ثم قال خطابا للنايب وهذا ان اعتقد تحريم
ذلك والا فانت خالد مخلد في النار الى ابد الاباد ولو صمت وصليت
وحججت واتيت بجميع انواع الطاعات عافانا الله من نار جهنم
ومن غضبه ومكره ثم ذكر بعض امورهم ثم قال ثم ان هذا الامير
الغاش لنفسه ولرعيته قد اتخذ على بابه حجاب سوء دابهم توليد
(اي الظلم)
المظالم يطلبون عرفاء الاسواق الذين هم اشر الفساق ويامرون
بتتبع عورات المسلمين واخذ ما يقوم به امر الامير حتى انهم
(جمع خازوق معرب قازوق بالتركية)
ليأخذون الابر والخوازيق فكاني بهذا الظالم وباعوانه قد شكت
الابر ودقت الخوازيق في اجنابهم وهي من نار اعاذنا الله الحليم
منها او لا يعلم هذا الظالم هو واعوانه ان من اخذ شيا حراما
عذب به في الحديث الصحيح من رواية عمر بن الخطاب رض لما كان
يوم خيبر اقبل نفر من اصحاب رسول الله صلعم فقالوا فلان (فلان شهيد)
فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال
رسول الله صلعم كلا اني رايته في النار في بردة غلها او عباءة
(اي اخفاها)

رواه مسلم وفي روايه ابى هريره خرجنا مع رسول الله صلعم الى خيبر
ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام
والثياب ثم انطلقنا الى الوادى ومع رسول صلعم عبد له وهبه
رفاعه فقام العبد يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا
هنيئا له الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلعم كلا والذى
نفس محمد بيده ان الشمله لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنايم
يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك
او شراكين فقال يا رسول الله اصبت يعنى هذا يوم خيبر فقال
رسول الله صلعم شراك من نار او شراكان من نار رواه مسلم
قال الحصنى كلا زجر وردع لقولهم انه شهيد محكوم له بالجنه
بل هو فى النار بسبب غلوله والغلول هو الخيانه والشراك هو
السير بالفتح الذى يقد من الجلد يكون فى النعل على ظهر القدم
قال ويحك يا ظالم بل ويلك اذا كان هذا شهيد المعركه
وصاحب حق فى الغنيمة وجاهد بين يدى رسول الله صلعم
ولو اراد ان ينفله ما اخذه لكان يشرع له الاخذ والشملة والعباءة

اى يعطيه النبي صلعم

131

تلتهب عليه نارا فكيف حال من ياخذ الاموال بالاحمال ولا حق له فيها
البته فكانى بك وقد جاء بلاس فرسك الذى قهرت صاحبه عليه
ظلما وعدوانا وقد غمزك وهو نار وكذا ما اخذته من مقاطع وفرى
غير ذلك ويحك انك ورطت نفسك فى جبال من نار انا لله وانا
اليه راجعون فيما صنعت بنفسك ثم اذا اصبح هذا الامير
الخبيث الجاهل جاء شخص فاسق فاجر خمار لا يصلح ان يكون امينا
على مزبلة لانه لا يومن منه ان يفسدها فيطلب منه ولاية ناحيه
من معاملته ويبرطله على ذلك فلا يتوقف فى توليته ويوليه
تلك الناحيه فيخرج هذا الفاسق الفاجر الخمار الى الناحيه التى وليها
فاول شئ يصنعه من الاذى قاتله الله ان يصخرد واب الناس وربما
احال بينها وبين مالكيها حتى يتبرطل على تسيبها فان اعجبه
شئ منها اخذه واحال بينه وبين صاحبه فكانى بهذا الخبيث وقد
جاء يوم القيامه وهو حاملها والذله والصغار عليه فاذا وصل
الى محل ولايته بادر هو واعوانه الى ما جرت به عادتهم من اخذ
اموال الموحدين وغيرهم ويسمونه الرسم والعادة فكانى بهذا الخبيث

وقد نسي الشهادة اي شهادة الوحدانيه والرساله ثم لا يزال
يولد المظالم ويقول البلد الفلاني فيه قطاع طريق البلد الفلاني
اهله لا يقيمون العشير البلد الفلاني ماوى المناحس البلد الفلاني
اهله عصاة وعلى هذا المنوال يقصد ان ياخذ ما اخذه الظالم منه
ويقصد زيادة ربح ولا يزال يفعل ذلك حتى يهلكه الله تعالى
او يعزل ثم ان الظالم الكبير يحثه شخص اخر على صفة الاول فيوليه
جهه اخرى وهكذا يفعل في كل معاملته فيجعلهم جباة له
هذا سو الخبيث الذي طبق مملكته ظلما وجورا ثم لا يقنع هذا الخبيث
الطويه بهذه المصايب والبليه حتى يسافر بنفسه سفرة يسمونها
السرحه اقول بفتح السين سفر يوم او يومين او ثلاثه للصيد و
نحوه قال فكاني به وقد سرحت اعضاوه في السعير حين لا معين
له ولا نصير فينزعج اهل تلك الناحيه التي يريد التوجه اليها لما
يعلمون ما يحصل لهم من الخسارة والعناء ويتسلط مشايخ البلاد
ويسعون في الارض بالفساد حتى ان الفقير منهم يكون عنده نصف
مد من شعير يريد ان يقتاته هو وعياله تلك الليله وربما كان عنده

ايتام

132

ايتام فياخذونه منه بالقهر والغلبة ثم يبيتون طول ليلهم
طاوين من الجوع ثم اذا اصبح هذا المسكين لا يدري الا وقد
جاءه رئيس بلده الذي هو من اشد الناس عذابا يوم القيامه فيقول
قد فرض الشيخ عليك كذا الملك الامراء فان لم يحصل ولا تكون
الا نفسك فيدور على جيرانه وغيرهم والامر فلا يقرضه احد شيئا
لعلمهم بفقره فيتحزن للناس فلا يلتفتون اليه لان كل واحد
مشغول بنفسه وحينئذ فيعمد الى ثوب امراته فيبيعه ويجللها
بعباءه لا تستر عورتها ويقعد هو واهله حزانا عرايا لا يجدون
لهم ملجا الا الله الحليم فياخذ هذا الظالم الغاشم لنفسه ورعيته
ذلك المال الحرام الذي لم يقل احد بجواز اخذه حتى ولا الكفار
على اختلاف مللهم حتى ولا القايلون بقدم العالم والهيولى
ثم مع هذا كله يريد التوجه الى القدس الشريف ويعتقد انه
في طاعه وقربه وانه حصل بسببه تمهيد البلاد وهو قبحه الله
قد سعى في الارض بالفساد فاذا وصل اليه ازعج الناس من
بيوتهم وضيق عليهم من الماكل والماء فيهرع اليه طايفه رسمت

انفسها بالفقها هم اشر على الخلق والدين من الشيطان اللعين
وكذا يهرع اليه طايفه رسمت نفسها بانها صوفيه قد صفت
همتهم الى هذه الدنيا الدنيه ورفضوا وراء ظهورهم طريقة
خير البريه لبسوا كما قال عيسى عليه السلام لبس الرهبان وقلوبهم
قلوب الذياب اشار عليه السلام الى فعلهم فعل هذا الحيوان
الذي من شانه الاذى والفساد واكل الميته والعناد فهنوا هذا
الظالم بسلامته وقبول زيارته فهش لكلامهم ذلك وظن انه
كما يقولون من طمانينه الناس بسرحته وازداد طغيانا مع
فرحته فكاني بهذا الظالم وقد احاطت به خطياته ووكل به
ملايكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون
فهذا الخبيث الظالم قد اخبر الله الحليم بان له العذاب العظيم
قال الله سبحانه وتعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم
وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا
ولهم في الاخرة عذاب عظيم قال العلماء هولاء المحاربون

هم الذين يشهرون السلاح في الطريق والمكابرون في المدن و
القرى واي فساد اعظم مما ذكرنا من صفاتك يا ظالم ومن صفات
اعوانك عافانا الله تعالى من ذلك ومثل هذا الظالم قد اخبر
الله العزيز الكريم بان له العذاب الاليم قال الله تعالى انما السبيل
على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اوليك لهم
عذاب اليم وقال سبحانه وتعالى من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا وقال سبحانه وتعالى الله لا اله الا هو ليجمعنكم
الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا ثم اذا اراد
هذا الظالم التوجه الى منزله تزعزع اهل الناحيه التي يمر عليها
لعلمهم بما حل باخوانهم او بهم فو الذي فلق الحبه وبرا النسمه
لقد رايت اقواما اذا ذكر ان هذا الظالم يمر عليهم يتغير الوانهم
واحوالهم لشدة الخوف الحاصل مما يحصل بمروره عليهم من الجور
والظلم ويصنع الاقامات التي هي والله اعلم سبب اقامته في النار
ويوخذ من مال اهل تلك الناحيه يفرض على كل ضعيف مستضعف
حتى يلحق بسبب هذه الاقامه اذاه للعجايز والاطفال فان العجوزه

تكون لها حاجة تعيش ببيضها تؤخذ منها على وجه القهر
والغلبه واليتيم يكون له شاه ينتفع بلبنها تؤخذ لهذا الظالم
طعاما قال الله سبحانه وتعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما
ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ان الله لا يخلف
الميعاد اقول وكل ما ذكره من المظالم يرتكبه ايضا الامراء وسائر
الاجناد قال ومع هذا البلاء الذى يحصل بسببه لا ينقص عليه
بل ترد اليه قطاع الطريق ومشايخ البلاد يقدمون له التقادم وكلها
من اموال الناس فلا يسال هذا الخبيث عما افسدوا ولا من اين هذه
التقادم بل ياخذها منهم وهو مسرور بذلك ويظهر انه لا يريد
الاخذ ويصمم فى ذلك والناس يعلمون منه انه يكذب فى اظهاره
ذلك لانه لا يرد شيا فيبقى مسخرة فى اعين الرعيه ثم اذا اقبلت منه
الهدايا التى هى جبال نار عليه خلى ما بين هذه المناحس الذى قدموا
المال الحرام وبين الناس فاذا فارقهم هذا الخبيث الظالم تسلطوا
على الناس واخذوا اضعاف ما اهدوه لهذا الظالم الذى قد طبق البلاد
بالفساد ثم ان اتفق ان شخصا اشتكى على حق له من قتل او غيره

[illegible]

ان

134

ان حصل من القاتل برطيل يرضيه اهمل امر الشاكى ولا يلتفت
فيخرج ذلك الملعون القاتل ويبالغ فى سفك الدماء فلا يؤخذ
اى انشاف على قصدها
للمظلوم ثار لان الذى به يخلص الحقوق هو خصمه فكيف يتوقع
المظلوم خلاص حقه فلا يبقى له ملجا الا الى الله تعالى قال رسول الله
صلعم لمعاذ رض حين بعثه الى اليمن واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها
وبين الله حجاب رواه البخارى ومسلم وقال عليه الصلاه والسلام
ان الله تعالى يملى للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قال وكذلك اخذ
ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمه ان اخذه اليم شديد ثم اذا فارب
هذا الظالم البلد الذى هو مقره هرع اليه الظلمة والعوام الذين هم
اى اشتاقوا واهتم شديدا منه
اتباع الدجال فيدخل البلد وقد غرق فى الذنوب وفى اسباب النار
الذى اعدها الله تعالى للظالمين وهو على هيئة قارونية فيقول
الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى هذا انه لذو حظ
عظيم ويدعو له اتباع الدجال من العوام والنساء والصبيان
بطول البقاء والنصر على الاعداء فيزداد بذلك فرحا وسرورا
وكلما زاد الفساد ازداد فرحه وسروره ويكون راس هذه

المصايب طايفه يقال لهم القضاة عليهم من الله ما يستحقون من عقابه
الاليم فيمشون بين يديه من جملة اعوانه الظلمه فاذا استقر به
المجلس هنوه بالسلامة وقبول الزيارة ثم يقولون له لله الحمد
والمنه على تمهيدك البلاد واستقرار الناس في بلادهم بالامن
والسلامة والله ما سمعنا مثل عدلك وهيبتك من وقت
الامير الفلاني ولقد اتيت بالمعروف كله واحسنت الى رعيتك
غاية الاحسان ولم يبق عليك مما صنعه الملوك المتقدمون
الا انك تبني لك مدرسه او رباطا او معروفا تذكر به ويكون
جاريا عليك بعد عمر طويل اذا صرت الى الله تعالى فيحلو
في قلبه تدليس هذه الفسقه الذين قد تظاهروا بالسعي
في اهدار شريعه سيد الاولين والاخرين صلعم فيبادر الى
ما دلسوه عليه فاول شي يصنعه هذا الظالم ان ياخذ
ارضا ظلما ويتبعه باخذ الالات ظلما ويزيد في ذلك
باستعمال الناس ظلما وعلى تقدير ان يعطي انما يعطي من المال
الحرام الذي اكتسبه ظلما فيزيد باداته المعروف ظلما من الله

بعدا

بعدا او لم يسمع هذا الخبيث الذي طبق البلاد ظلما قول سيد
الاولين والاخرين من ظلم قدر شبر من الارض طوقه الله به
من سبع ارضين رواه البخاري ومسلم ويحك يا ظالم تستعمل
الناس بالقهر والغلبه هذا رسول الله صلعم يقول قال الله تعالى
ثلاثة انا خصمهم يوم القيامه رجل اعطاني العهد ثم غدر
ورجل باع حرا واكل ثمنه ورجل استاجر اجيرا فاستوفى منه
ولم يعطه اجره رواه البخاري اذا كان هذا في رجل استاجره
فكيف بمن ياخذ الناس قهرا استعدّ يا مغرور لهذا الامر المهول [illegible]
ويحك يا ظالم اما بلغك ان بطش ربك لشديد اما بلغك
قوله ويحذركم الله نفسه اما بلغك قوله صلعم ان الله غيور
وغيره الله تعالى ان ياتي المرء ما حرم الله عليه رواه البخاري
ومسلم ويحك كم ارتكبت من المحرم مطعمك حرام وملبسك حرام
ومشيتك باخنيا لك حرام وكم لك من حرام حتى الطاعة التي
تتقرب بها حرام اقول يعني ان كانت الطاعة صلاه فانت
اما الا تراعي اركانها وشروطها بالتمام وتصلي اما بالجنابه

او الحدث لعدم مراعاتك اركان ذلك وشروطه بالتمام ومن
الشروط طهارة المآء على المذهب الذى تعتقده واما تصلى فى
المكان المغصوب الذى غصبته انت او غيرك او بالثوب المحرم
المغصوب وان كان فيه جزء يسير كذلك مثل الزر ابقاؤه عليك
ولوآنا والاشتغال بالصلاة مانع عن طرح ذلك فيكون حراما
وكذا الصوم حرام عليك فانك اكلت طعاما مغصوبا ونحوه
فيجب عليك ان تقياه على المذهب الصحيح كما بيناه فى الرياض الطرية
وبالقئ اختيارا يبطل الصوم فيكون صومك حراما وان كان
الطاعة حجا فلا يجوز ببقآء الديون عليك فانك مالم ترد
المغصوبات الباقيه الى اصحابها ولم تقض بدل ما افنيت منها لا يجوز لك الحج
كما بينه العلمآء ونحو ذلك قال رح حلاوى سمعت قول فقهآء الشرع
وصوفيه الرجس فكانى بك وقد سحبت الى النار على ما تقربت به الى
الله قال رسول الله صلعم يوتى برجل وسع الله تعالى عليه اعطاه من اصناف
المال فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب
ان ينفق فيها الا انفقت فيها قال كذبت ولكن فعلت ليقال جواد وقد قيل

ثم امر به فسحب على وجهه ثم القى فى النار رواه مسلم ويحك يا امير اقبل
نصيحة هذا العبد الفقير فان العمر قصير والناقد بصير والحساب عسير
واحرص على اقران الخير فما اشد حر السعير قال رسول الله صلعم اذا اراد الله
تعالى بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه واذا
اراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه
حديث صحيح رواه ابو داود باسناد جيد على شرط مسلم ويحك ان
عذاب الله شديد قال رسول الله صلعم ان اهون الناس عذابا يوم القيامة
رجل يوضع فى اخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه ما يرى ان احدا
اشد عذابا منه وانه لاهونهم عذابا رواه البخارى ومسلم وفى حديث
ابى بردة رض قال قال رسول الله صلعم لا يزول قدما شخص حتى يسال عن عمره
فيما افناه وعن علمه فيما عمل وعن ماله من اين كتسبه وفيما انفقه
وعن جسمه فيما ابلاه رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن
ابى ذر رض قال قال رسول الله صلعم انى ارى ما لا ترون اطت السماء وحق
لها ان تاط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم

ما زال فلان ينقد نصوصه الى الشيخ
اذا لم يتبين نظر اليه بحمار

بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله رواه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح ياهذا لاتغرنك الحياة الدنيا ولايغرنك الشيطان
اين امم القرون الخاليه اين الملوك السالفه اين الذين نصبت على رؤسهم
التيجان اين الذين كان لهم منعة وسلطان اين الذين ملكوا المشارق
والمغارب وتمتعوا باللذات والمآرب ذهبت والله عنهم الشهوات
وصفدوا باغلال الغفلة والتبعات اين الذين تاهوا على الخلايق كبرا
وعتيا اين الذين تبختروا فى الحلل بكرة وعشيا اين الذين استلانوا
الملابس اثاثا ورئيا تغيرت والله منهم المحاسن وصاروا نسيا منسيا اخرجوا
والله من سعة القصور وحشروا بعد ذلك فى ضيق القبور وسد عليهم
باللبن والصخور فعاثت والله فى اجسامهم الدود وسالت لعمرى منهم تلك
الحدق السود على الخدود وتفرقت الاعضاء وتمزقت الجلود فلم ينفعهم
والله ما جمعوا بل كان اشد الحدود تخلت عنهم والله الاحبة والاولياء
وهجرهم الاخوان والاصفياء فلو سالت عنهم لاجابك الثرى
وانت كانك لاتسمع ولاترى وقال بعدا وراق اعلم يا امير الناس
اليوم ان وراءك طالب حثيث يدركك لامحالة وانت ساير اليه

ولا

ولا تشعر وانت غريق فيما هو طالبك بسببه فلا تغتر بصداقة الدنيا
فانها عدوة لك فى صورة صديق وانشدوا وما الناس الا هالك و
ابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق اذا اختبر الدنيا لبيب
تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق فهذه نصيحتى فاحفظ وصيتى
فما اسالك على ذلك من اجر ان اجرى الا على رب العالمين قال يحيى بن
معاذ رض العلماء الصادقون اشفق على العباد من الاباء على الاولاد
لان الاباء يحفظون اولادهم من عاهات الدنيا والعلماء يحفظونهم
من عاهات الدنيا والاخرة انتهى كلامه قال القاضي ابو نصر
ومن حق نواب السلطنه دفع اهل البدع والاهواء وكف شرهم
عن المسلمين ولا يسعهم فى دين الله الصبر على من يسب الشيخين
ابا بكر وعمر رض ويقذف عايشة ام المومنين رض اقول وفى سبهما
خلاف وفى كفر قذفها اتفاق لنزول نص الكتاب على برائتها مما ينسب اليها قال
ويفسد عقايد اهل الدين بل تجب عليهم الغلظة على هولاء بحسب
ما تقتضيه المذاهب اقول يعنى مذاهب الايمة المجتهدين واعلم
ان هذه الامور التى مفوضة فى ديار صاحب هذه الكلم مفوضة

فی دیارنا بعضها الی الاشخاص المسمّین بالوزراء عندنا وبعضها
الی قضاة العسکر وبعضها الی دفتر داریة ثم ما ذکره من ان من حقهم
دفع اهل البدع والاهواء عادة الوزراء فی دیارنا ضد ذلک فانهم
یعظمون اهل الهوی والابتداع وکل منزله من الدین انخلاع ویوجهون
الیهم مناصب من ولایة الامور ومشیخة الزوایا ونحوها و
یعتقدون فیهم انهم اولیاء الله واصحاب الخیر والکرامات و
ان کانوا معلنین ترک الواجبات وارتکاب المحرمات وسبب اعتقادهم
فیهم اتفاق مطابقة کلمات نادرة منهم للواقعات بل ینخدعون
بادنی تماجنهم وتعریهم عن ثیاب العادات مع انه لا یخفی عند الممیز
حصول تلک الاحوال بالتصنع والمراءاة ثم من یعتقدهم یخشی
علیه ان یکون کافرا والعیاذ بالله من ذلک وحال سایر الناس فی
ذلک خراب قال القاضی وهذه المذاهب الاربعة ولله الحمد
فی العقاید واحدة الا من لحق من اصحابها باهل الاعتزال والتجسیم
والا فجمهورها علی الحق یقررون عقیدة ابی جعفر الطحاوی التی
تلقاها العلماء سلفا وخلفا بالقبول ویتدینون الله برای شیخ

السنه ابی الحسن الاشعری الذی لم یعارضه الا مبتدع قال ومن
مهماتهم یعنی النواب النظر فی امر المفسدین من قطاع الطریق واهل
الفتن کالعشران وغیرهم والغلظة والتشدید علیهم یعنی بما اذن
الشرع من العقوبة قال وان رای نایب السلطنة تقلید بعض المذاهب
فی شدة تعزیرهم والمبالغة فی عقوبتهم علی جرایمهم وطول مکثهم فی
السجن فله ذلک بشرط ان یکون الحامل له علی ذلک المصلحة لا
التشهی وحظ النفس ومحبة شیاع الاسم بالانتقام فان ذلک فن
من الجنون فقد کان ملک الصحابه رضا وسع وامرهم انفذ ولم یحبوا
ان یشیع اسمهم الا بالعدل والرفق لا بالعسف والظلم ومنها
سفک دم من ینتقص جناب سیدنا ومولانا وحبیبنا محمد المصطفی
صلعم او نسبه فان ذلک مرتد کافر ذهب جماعة من العلماء الی ان توبته
لا تقبل وهو اختیار طوایف من المتاخرین فان کان الذی وقع منه ممن
یتکرر هذا الحال منه او عرف بسوء العقیده وصحبة المشهورین
بذلک او وقع منه ما وقع علی وجه قطیع لتشهد القراین فیه بالخبث
الباطن فاری انه لا تقبل له توبة ویسفک دمه وهو رای الشیخ الامام

الوالد تغمده الله برحمته والشيخ العلامه تقي الدين ابن تيميه ومنها
نظرهم في امر دواداريتهم فاكثر ما ينشا فساد بابهم عنهم وهم غافلون
فاذا عرف نايب السلطنه ان ميزان بابه الدوادار فحق عليه الاحتياط
في امره وعدم الاصغاء اليه فيما يقوله بل يستوضح الحال ويستكشفه
من بطانة الخير عنده فقد قال النبي صلعم ما من ملك او امير الا وله بطانتان
بطانة يامره بالخير ويحضه عليه وبطانة يامره بالشر ويحضه عليه
ومما يختص بالامام وليس لنوابه الاستبداد به من غير استيذانه
الحمي فلا يحمي غير الامام الاعظم على الصحيح عند الوالد وكثير من الاصحاب
قال ومن حق دوادار الاستيذان على ذي الحاجة وان لا يتركها
على الابواب لا يجد ملجا الى الدخول على الملك وليعلم ان لصاحب
الحاجة حقا عند استاذه يعني موضع لقضاء حاجته لان من
وظيفة استاذه سماع كلامه وقضاء حاجته اذا امرها الشرع
وليس لاستاذه حق عنده والمنة لله سبحانه على استاذه ان
جعل حاجة الخلق اليه وان جعله في بابه بالمرصاد لهذا الامر
فان هو قصر فيما وصفناه كان هو الظالم لاستاذه المتسبب في

خراب

خراب دياره الباغي على الرعية وعليه المبادرة الى تقديم الدواة
عند ارتفاع القصص وتذكير مخدومه بها فربما اشتغل بال الملك
عن ذلك ولم يجد من يذكره وهذه وظيفة دوادار وكان دوادار
في الزمان القديم الحاجب اقول وما قدمه من وظايفه هو من
وظايف الجاووشيه والبوابين في الروم قال واستادار
وهو من يتكلم في اقطاع الامير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم
عليه ان لا يطعمه اي الامير حراما وان يرفق باهل القرى ويؤدي
امانة الله التي علقها في رقبته حيث دخل في هذه الوظيفه للفلاحين
وغيرهم من رعية الامير كما عليه ان يؤدي حق الامير بل هؤلاء
احوج من الامير الى الرفق بهم واعتماد الحق معهم فاين يكون الامير
يوم يعض الظالم على يديه ولا آمر الا الله تعالى قال والوزير وهو
اليوم اسم لمن ينظر في المكوس وغيرها من الاموال التي ترفع الى
السلطان وبيت المال اقول وهو دفتردار في الروم قال ومن حقه
بذل النصيحة للسلطان وكف اذاه عن اموال الرعية وتخفيف
الوطاة عنهم ما امكنه وقد علم ان المكوس حرام فان ضم الوزير

اي الاضرار

الى اخذها الاجحاف في ذلك وتشديد الامر فيه والعقوبة عليه
فقد ضم حراما الى حرام بل اذا لم يقدر على ابطال حرام فلا يزيد الطين
بلة بل لا اقل من الرفق والتخفيف ومما يجب عليه التيقظ له الاموال
التي تجتمع عنده ومنها حلال ومنها حرام فعليه ان لا يخلطها
بل يدع الحلال بمفرده والحرام بمفرده والا فمتى خلطها ولم يتميز
صار الكل حراما وفي ذهن كثير من العامة ان الاموال اذا خلطت
ودخلت بيت المال صارت حلالا وهذا جهل ما اجتمع الحلال
والحرام الا غلب الحرام الحلال انتهى واعلم ان هذه المسئلة من المهمات
والذي نراه حقا قطعا انها على التفصيل الذي ذكره الامام حجة
الاسلام الغزالي في كتاب الحلال والحرام فينبغي بيانه فنقول قال
فيما اذا اختلط الحلال والحرام واشتبه الامر فلم يتميز ان الخلط
لا يخلو اما ان يقع بعدد لا يحصر من الجانبين او احدهما او بعدد
محصور فان اختلط المحصور فلا يخلو اما ان يكون اختلاط
امتزاج بحيث لا يتميز بالاشارة كاختلاط المايعات او يكون
اختلاط استبهام مع تميز الاعيان كاختلاط الاعبد والدور

والافراس

والافراس والذي يختلط بالاستبهام فلا يخلو اما ان يقصد عينه
كالعروض او لا يقصد كالنقود فيخرج من هذا التقسيم اقسام
القسم الاول ان يستبهم العين بعدد محصور كما لو اختلط ميتة
بذكية او بعشر مذكاة او يختلط رضيعه بعشر نسوة او يتزوج
احدى الاختين ثم يلتبس فهذه شبهة يجب اجتنابها بالاجماع
وهذا اذا اختلط حلال محصور بحرام محصور فلا يخفى وجوب
الاجتناب اولى القسم الثاني ان يختلط حرام محصور بحلال غير محصور
كما لو اختلطت رضيعة او عشر رضايع بنسوة بلد كبير فلا يلزم
بهذا اجتناب نكاح اهل البلد بل له ان ينكح من شاء منهن لكثرة
الحلال مع الحاجه اذ كل من ضاع له رضيع او قريب او محرم بمصاهرة
او بسبب من الاسباب فلا يمكن ان يسد عليه باب النكاح وكذلك
من علم ان مال الدنيا خالطه حرام قطعا لا يلزمه قطع الشرا والاكل
فان ذلك حرج وما في الدين من حرج فان قلت ما حد المحصور فاعلم
ان تحديده غير ممكن وانما يضبط بالتقريب فكل عدد لو اجتمع على
صعيد واحد لعسر على الناظر عددهم بمجرد النظر كالالف والالفين

فان اختلط حلال محصور
بحرام غير محصور م

فهو غير محصور وما سهل كالعشرة والعشرين فهو محصور وبين
الطرفين اوساط متشابهة يلحق باحدى الطرفين بالظن وما وقع
الشك فيه استفتى فيه القلب فان الاثم حواز القلوب وفي مثل
هذا المقام قال رسول الله صلعم لوابصه استفت قلبك وان افتوك
وافتوك وافتوك وهذا الحديث رواه احمد قال فالمفتي يفتي بالظن
وعلى المستفتي ان يستفتي قلبه فان جال في صدره شئ فهو الاثم
بينه وبين الله تعالى فلا ينجيه في الاخرة فتوى المفتي فانه يفتي بالظاهر
والله يتولى السرائر القسم الثالث ان يختلط حرام لا يحصر بحلال
لا يحصر كحكم الاموال في زماننا هذا فالذي ياخذ الاحكام من
الصور قد يظن ان نسبة غير المحصور الى غير المحصور كنسبة المحصور
الى المحصور وقد حكمنا ثمه بالتحريم فلنحكم ههنا ايضا والذي نختاره
خلاف ذلك وهو انه لا يحرم بهذا الاختلاط ان يتناول شيا
بعينه احتمل انه حرام وانه حلال الا ان يقترن بتلك العين
علامة تدل على انه من الحرام فان لم يكن في العين علامة فتركه
ورع واخذه حلال لا يفسق به اكله ومن العلامات ان ياخذه

من

141

من يد سلطان ظالم الى غير ذلك من العلامات التي سياتي ذكرها
ثم ذكر ادلة الحل واطنب في الكلام عليها من اراد الوقوف عليها
وكذا على تفاصيل العلامات الداله على الحرمه فعليه مراجعة
الاحياء ولم نتعرض لها في كتابنا هذا لانه موضوع على الاختصار
فلا يحتملها ولم يتعرض الغزالي رح لبقية الاقسام لكونها مذكورة
مشروحه في كتب الفقه فعليك مراجعتها ثم نحن نرجع الى كلام
القاضي ابي نصر السبكي قال رح ثم اذا تميز الحلال عن الحرام صرف
الحلال على اهل العلم والدين ومن يتحرى اكله قال ويتعين عليه
اي الوزير التخفيف في العقوبات على من يتوجه عليه بغير حق
اذا لم يمكنه دفعها فليت شعري اذا جلس وزير يعاقب الرعايا
ليستخرج منهم الجبايا التي لا يجوز له اخذها ودفعها الى من ياخذها
ظلما ويصرفها فيما لا يحل فكيف يكون وجهه عند الله تعالى و
كيف لا يتبادر اليه الوخم وسوء العاقبه في الدنيا ولذلك ترى
عواقب الوزراء والقبط الدواوين شر العواقب قال والموقعون
عليهم الرفق بالرعيه فيما يكتبونه والتخفيف من التشديدات التي

يؤمرون بكتابتها ولا يسوغ الامر بها فان كان لا يقدر اى
خوفا من السلطان فلا اقل من ان لا يزيد الطين بلة ويشدد و
من حقه ان لا يستعمل حوشى اللغة وما لا يفهمه الاكثر من
الناس لا سيما اذا كتب الى من تبعد فهمه لذلك **و**البريد هم
الذين يحملون رسايل الملك وكتبه وكانت ايمة العدل لا تبرد
البرد الا المهم من مهمات الاسلام لمثله تساق الخيول وتزعج
النفوس **اقول** ولعل كلامه مبنى على تقدير كون الخيول للبريدية
او السلطان والآن فى ديارنا ليس كذلك بل هم ياخذون الخيول
عن الرعايا بل وان وجد واحد منهم شخصا قد حمل على فرسه
حوايجه وهو يسوقه او شخصا ضعيفا عاجزا عن المشى فى المواضع
الخالية البعيدة عن العمارات ياخذ فرسه ويضربه وان ادى
الى قتله احيانا وهذه الامور لا يقدر على سماعه ذو دين **قال**
والآن اكثر ما تهلك خيول البريد وتساق للاغراض الدنيوية من
شراء المماليك وجلب الجوارى والامتعة واذا ركب فقيه فرس
بريد **اقول** اى مع رضاء صاحب الفرس والسوق بقدر ما يحتمله

وذلك

142

وذلك استيجا لا فى ايصاله الى السلطان لمصلحة شرعيه **قال**
انكر ذلك وقيل قد اخطا السلطان او نايبه فى اركابه فان البريد
لا تساق الا لمهمات السلطنة كانهم يعنون بمهمات السلطنة
ما اعتادوا به من شراء مملوك مليح واستدعاء مغن حسن الصوت
او خراب بيت شخص انهى عنه ما لا صحة له الى امثال ذلك وحق
على كل بريدى ان لا يجهد الفرس بل يسوقها بقدر طاقتها وقد
كثر منهم سوق الخيول السوق المزعج بحيث يهلك تحتهم افما علموا
انها خلق من خلق الله تعالى **اقول** وقد روى احمد والنساى والدارمى
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضه ان رسول الله صلعم قال من قتل
عصفورا فما فوقها بغير حقها ساله الله عن قتله قيل يا رسول الله
وما حقها قال ان يذبحها فياكلها ولا يقطع راسها فيرمى بها و
عن شريد رضه يقول سمعت رسول الله صلعم يقول من قتل عصفورا
عبثا عج الى الله يوم القيامة يقول يا رب ان فلانا قتلنى عبثا ولم
يقتلنى منفعة رواه ابن حبان فى صحيحه واذا كان الامر فى العصفور
كذلك ففى الفرس بالطريق الاولى لان مادة الانتفاع فيه اكثر

اى رفع الصوت

فالضايع فيه اذا اضاع ازيد على ان فرس البريدي لا يكون ملكه
فلا يجوز له اكله منه وان كان ملكه فمتى ياكل منه وهو على العجلة
في الانتقال قال القاضي واذا رايت بريدا يسوق الخيل في
امر لا يجوز حتى يهلكها ثم يقدم على اهل بلد فيزعجهم ثم يعود
الى السلطان فيدل على عورات المسلمين ويُغرِي الظلمة بالمساكين
الغافلين والغافلات ثم يزيل الله سبحانه وتعالى عنه النعمة
ويذيقه انواع الذل والاهانة فلا تعجب واعلم ان ذلك من الله تعالى
عدل انتهى اقول والبريدي يسمى في الروم بِاُولَاقْ ثم اعلم انه اَسوَأُ
حالا واعظم وبالا من البريدية العبيد ومن في معناهم الذين يرسلهم
الامراء والسلاطين لتحصيل الاموال لهم او لدفع الظلم عن المظلومين
واتمام مصالح العاجزين واشرهم البوابون فانا وقفنا حقا بلا شبهه
على انهم يظلمون العباد ويخربون البلاد من غير تذكر يوم التناد
حتى لو لم يرسلوا للاصلاح لكان الفساد اقل مما يقع بارسالهم و
خصوصا منهم البوابون واما الطايفة المسماه بما ترجمته بالعربي
العسكر الجديد الذين لا يعرفون الاحكام الشرعية مطلقا

ولاشارعها

143

الكفرة صح

ولاشارعها بل غالبهم على ما وجدوا اباءهم اذا اخرجوا على
بعض البلاد يحدثون ما يستشهد به لخروج ياجوج وماجوج
ويحصل اطمينان القلوب من تخريبهم البلاد وتعذيبهم العباد
بل لا ينضبطون ولا يستصلحون في حضور سلطانهم فكيف
في غيبته ونحن واقفون على ذلك وهذا في ايام الرفاهية فكيف
الحال في ايام الفترة والهوج والمرج والمعلوم يقينا كالمرئي
عيانا ولذا قال امير المومنين على ابن ابى طالب رض فيما ينقل عنه
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ولاسيما نحن راينا عند وفاة
جدنا وبعدها ما كفانا قال القاضي وامير الشكار اليه امر الطيور
والكلاب المعدة للصيد اقول واقتصر القاضي على هذا المقدار
من الكلام في حقه وهو عجيب فان له ولاتباعه من المظالم ما لا يعد
ولا يحصى منها انهم يغصبون اللحوم والشعير من الناس في صدد
الصيد ويضربون الناس ويخرجونهم بالضرب الى معاونتهم في الصيد
ويقتلون ما لا يحل قتله من الحيوانات من البهايم والطيور وبالجملة
فهم اهل شر لا خير فيهم واعلم انه قال القاضي عياض في شرح مسلم

ان الصيد مباح لمن اصطاد للاكتساب والحاجة والانتفاع باكله و
ثمنه واختلفوا فيمن اصطاد للهو ولكن قصد تزكيته والانتفاع به
فكرهه مالك واجازه الليث وابن عبد الحكم قال فان فعله بغير نية
التزكيه فهو حرام لانه فساد في الارض واتلاف نفس عبثا واقره
عليه النووي في شرح مسلم وبه جزم ابن حجر قال وينقدح ان يقال
يباح ونقل عن الجمهور فيمن اصطاد للهو وقصد تزكيته والانتفاع
به انه لا يكره قال فان لازمه واكثر منه كره لانه قد يشغله عن بعض الواجبات
وكثير من المندوبات اقول بل ان تحقق تاديته الى محرم كفعل حرام او ترك
واجب حرم كاللعب بالشطرنج عند من يقول بكراهته دون التحريم
قال القاضي عبد الوهاب واميرآخور اليه امر الاصطبل والخيول
اقول ولاهل الاصطبل من المفاسد ما لا يحصى ولا سيما في اوقات
خروج الخيل الى المرتع قال والطواشية ثم فصلهم فقال اعلم
ان الممسوح الذي ذهبت انثياه وذكره بالكلية ذهب اكثر اصحابنا
الى جواز نظره الى الاجنبيات وفيه وجه انه حرام وهو مذهب
ابي حنيفه واحمد وكان الشيخ الامام رح يعني والده الشيخ تقي الدين

السبكي يختاره واما الخصي الذي ذهب انثياه دون ذكره والمجبوب
الذي ذهب ذكره دون انثييه فلا يحل لواحد منهما ان ينظر الى
الاجنبيه على الصحيح وهذا كله في نظر الطواشي الى الاجنبية
اما نظره الى سيدته فاكثر اصحابنا على ان نظر العبد الى سيدته
حلال وان كان سليم الذكر والانثيين وهو ما رجحه الرافعي والنووي
وعلى هذا نظر الطواشي اولى بالحل ولكن الصحيح عند الشيخ الامام
وجماعة ان نظر سليم الذكر والانثيين الى سيدته حرام وهو الحق
فكيف يباح نظر المماليك الحسان الذين يفتنون بجمالهم الى سيداتهم
والنساء ناقصات عقل ودين اما اذا اجتمع كونه طواشيا و
مملوكا لسيدته فهو اقرب الى الجواز ممن لم يجتمع فيه الامران ولذلك
جوز مالك نظر المراة الى الطواشي اذا كان مملوكا لها او لزوجها
ومنعه اذا لم يكن كذلك ومن الطواشية الزمام وهو الذي يخص
النساء ومن حقه غض بصره عما يخصهن والنصح لصاحب البيت
واعلامه بما يعجز عن ازالته من الريب ومنع ارباب الفجور من العجائز
وغيره من الدخول عليهن ومنهم مقدم المماليك وهو الذي اليه

امر المردان ولا يحل له المواطاة على الفجور بهم ولا ان يمكن بعضهم
من مضاجعة البعض في فراش واحد وقد كثر في هذه الطايفه
نوع القيادة لمن تخدمهم من الغلمان ولغيرهم وكذلك في الزمان
كثر منهم القيادة وذلك لما جبلت عليه الطواشيه من نقصان
العقول وشبههم بالنسآء حتى قيل ما اختلا طواشي بالنسآء الا
وحدث نفسه بانه رجل ولا بالرجال الا وحدث نفسه بانه
امراة وقيل الطواشيه اشد الناس غيرة واكثرهم استحسانا
وقيادة على من تحت ايديهم من امراة او مملوك انتهى **اقول** واذا
كانت الطواشيه مجبولة على نقصان العقول مع انهم مجبولة
ايضا على حب المال فالطواشيه الذين هم منصوبة على خدمة الملوك
والتوسط بينهم وبين الناس لعرض الناس عليهم وايصال احكام مصالح صح
الملوك الى اولياء الامور لا يومن في حقهم الكذب قدام الملوك
في حق بعض الناس بسبب ارتشايهم من الخصوم ونحو ذلك فعلى الملوك
الاحتياط في ذلك وعدم الاعتماد على كلام الطواشية كل الاعتماد
وبالله التوفيق **قال** القاضي وفي كتب الحنفية انه يكره استخدام

الخصيان مطلقا لانه تحريض على الخصاء المنهي عنه **قال** والحاجب
وهو من يفصل القضايا **اقول** وهذا العمل في الروم غالبه مفوض
الى الوزراء وبعضه الى الوالي **قال** القاضي عليه رفع الامور الى الشرع
وان يعتقد ان السياسة لا ينفع شيا بل يضر البلاد والرعايا ويوجب
الهرج والمرج ومصلحة الخلق فيما شرعه خالقهم الذي هو اعلم
بمصالحهم ومفاسدهم وشريعه نبينا محمد صلعم متكفله بجميع
مصالح الخلق في معاشهم ومعادهم ولا ياتي الفساد الا من
الخروج عنها ومن لزمها صلحت ايامه واطمانت ولم يقبض رسول
الله صلعم نحبه حتى اكمل الله سبحانه لنا دينا فمن خطر له انه
ان لم يسفك الدماء بغير حق ولم يضرب المسلمين بلا ذنب اقول
ولم يغصب الاموال والاملاك قال لم يصلح ايامه فعرفه انه باغ
جهول دولته قريب الزوال ومصيبته سريعة الوقوع وهو شقي
في الدنيا والاخرة واذا اخذه الله لم يفلته قال الله تعالى فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما اخبر عز وعلا انا ان لم نحكم

هذا النبي العظيم صلعم او حكمناه لكن وجدنا في انفسنا حرجا و
ضيقا وقلقا من حكمه ولم نطمين له ونسلم ونَنْقَدْ و ندع لم نكن
مومنين فكفى بهذه الايه واعظا وزاجرا لمن وفقه الله تعالى فان
قال حمار من هولاء انا من اين اعرف هذا وانا عامي تركي لا اعرف
كتابا ولا سنه قلنا له هذا لا ينفعك عند الله تعالى شيا الم يجعل
الله لك عينين ولسانا وشفتين وهداك النجدين اذا كنت لا
تعرف فاسال اهل الذكر فان هذا شان من لا يعلم اقول والمشكل
حينئذ ان يكون اهل الذكر طالب الدنيا وتاركا للاخرة فيتبع
هوى نفس السايل المستفتي كما هكذا ظهر لنا من حال كثير من علماء
ديارنا نعوذ بالله من علم لا ينفع وجهل لا يضر اولى منه بكثير
قال القاضي والاداء وان لم تسال اهل الذكر فانت تاتي يوم القيامه
وغرماوك الذين ضربتهم وعاقبتهم يجرونك في الحبال وانت
تسحب على وجهك لا ينفعك هناك شي من هذه الاقاويل وان
عجزت عن الفهم فما لك والدخول في هذه الوظيفه دعها بيت
اذا لم تستطع امرا فدعه ٭ وجاوزه الى ما تستطيع قال والوالي وهو

146

من اليه امر اهل الجرايم من اللصوص والخمارين وغيرهم اقول و
يسمى في الروم بصوباشي قال من حقه الفحص عن المنكرات من تناول
الخمر والحشيش ونحو ذلك وسد الذريعة فيه والستر على ما ستره
الله تعالى من ارباب المعاصي وليس له ان يتجسس على الناس ويبحث
عما هم فيه من منكر ولا كبس بيوتهم بمجرد القيل والقال قال
الله تعالى ولا تجسسوا وثبت في صحيح مسلم انه صلعم قال اياكم
والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا الحديث
قال العلماء اراد بالظن سوء الظن وقيل لابن مسعود هذا فلان
يقطر لحيته خمرا فقال انا نهينا عن التجسس ولكن ان يظهر لنا شي
ناخذ به اخرجه ابو داود اقول وهو في حكم المرفوع الى النبي صلعم
كما هو معروف في فنه قال وعن معاويه رض قال سمعت رسول
الله صلعم يقول انك ان اتبعت عورات المسلمين افسدتهم او
كدت ان تفسدهم اخرجه ابو داود ايضا فقل الجاهل يخطر له
انه يصلح الناس بتتبع عوراتهم رسول الله صلعم اصدق البشر و
قد قال ان اتبعتها افسدتهم او كدت بل حق على الوالي اذا تيقن

ان يبعث سرًّا رجلا ماموناً ينهى عن المنكر بقدر ما نهى الله تعالى
عنه ولا يزيد على ذلك وما تفعله الولاة من اخراج القوم من
بيوتهم وارعابهم وازعاجهم وهتكهم كل ذلك من تعدى حدود
الله تعالى والظلم القبيح وليس للوالى اى تعزير بعد ما حكم القاضى حكما شرعيا
لا عرفيا كما فى ديارنا غير ان يجلدهم فقط بسوط معتدل بين القضيب
والعصا لا رطب ولا يابس ويفرق السياط على الاعضاء ويتقى الوجه
والمقاتل ولا يتقى الراس هو مذهب ابى بكر الصديق رض وهو الصحيح
فى مذهب الشافعى رح ومذهب على رض ان يتقيه وبه قال ابو حنيفة رح
واليه ذهب بعض الشافعية ولا يلقى على وجهه ولا يمد ولا يجرد
عن ثيابه بل عن مقدار ما يدفع وصول الالم لا ايقام حد الخمر فى
السكر اخطا ولم يعده اذا افاق نقله ابو حيان التوحيدى عن القاضى
ابى حامد فان سمعت بوالٍ بلغه عن جماعة انهم على منكر فاتى بخيله
ورجله وهتك سترا ناسٍ سترهم الله تعالى ثم ضم الى ذلك اخذ
مال منهم يسميه الولاة التاديب والجنايات فاعلم ان صفقته
خاسرة ليت شعرى الله امره بهذا حتى يعتمده مع خلقه والذى

السكران يؤخر حتى يفيق فان اقامه

يجب عليه التاديب هو هذا الوالى الذى ياخذ مال الناس من غير
حله فان ضم الى ذلك ان حد الخامل الفقير ولم يحد المتجوه الغنى
فقد ضم ظلما الى ظلم فان زادوا اخراج القوم من بيوتهم وهتك ستر
حريمهم فقد باء باقبح اثم فان الله تعالى لم يامر بذلك ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه او رجع ومن الولاة من يتجاوز فى الضرب المقادير و
يتنوع فى ايصال الالام لمن يعاقبه بمجرد التهمة والظن فما علم
هذا الفاجر ان ضرب برئ اصعب عند الله من تخلية ذى جريمة
قال وامراء الدولة عليهم تفقد حال الاجناد وتعليمهم رمى
النشاب والمسابقة على الخيل بحيث يعرفون الطعن والضرب
والحرب وللامير ان يحثهم فى المسابقة والمناضلة على الرهن اذا
كان يبعث عزايمهم والرهن فى ذلك جايز وعلى الامير اذا سار
بالجيش الرفق بهم والسير على سير اضعفهم وتفقد خيولهم و
تقوية قلوبهم **اقول** وهذا مطرد فى جميع اولياء الامور **قال**
ومن قبايح كثير من الامراء انهم لا يوقرون اهل العلم ولا يعرفون
بهم حقوقهم وينكرون عليهم ما هم يرتكبون اضعافه وما احمق

الامير اذا كان يرتكب معصيه ووجد فقيها يقال عنه مثلها ان
ينقصه ويعيبه وماله لا ينظر لنفسه مع ما خوله الله تعالى من النعم
اما علم ان القبيح عند الله حرام بالنسبة الى كل احد وربما كان
عند الفقيه ما يستر قبيحه يعني من التوبة والاستغفار والحسنات
قال وليس عند الامير وراء ذلك القبيح الا امثاله من القبايح
فمما يتعين على الامير اذا نهى اليه عن احد من اهل العلم سوء ان
لا يصدقه ويحسن الظن بهذه الطايفه فان لحومهم مسمومة
وما رايت اميرا يغض (اي ينتقص) من جانب الفقهاء الا وكانت عاقبته
عاقبة سوء فان تيقن على احد منهم سوءا واتضح عنده كالشمس
لن يصير ذلك ان شاء الله تعالى فعلى الامير بعد ذلك ان يفتقد
نفسه فان كان هو ايضا يفعل ذلك الفعل فليعد على نفسه
باللايمة فيقول انا اذنبت ذنبين لاني جاهل مرتكب هذا
القبيح فكيف اخذ هذا الذي لم يذنب الا ذنبا واحدا وهو هذا
القبيح فقد شاركني في ارتكاب الذنب وفارقني في انه عالم
وانا جاهل فانا اخس منه لاني صاحب ذنبين اقول احدهما

ارتكابه

ارتكابه المحرم وثانيهما جهله بما يجب عليه تعلمه قال وهو
اي العالم صاحب ذنب واحد وبلغنا ان فقيها رفع الى بعض الامراء
وهو سكران فاخذ الامير يجلده والامير ايضا سكران فلما قام
الفقيه قال رب اغفر لي وجاء الى القاضي وقال قم على الحد فان الامير
فاسق لا تصح اقامته للحد فاهلك الله ذلك الامير بعد ايام يسيرة
اقول وفسق الامير ليس بسبب شربه الخمر فقط فان الامراء فاسقون
بتركهم رعاية الشرع في غالب الاحكام وسيما السياسات واخذ
المكوس وغيرها وان كانوا مشتغلين بالعبادة ليلا ونهارا
قال ومن قبايحهم استكثارهم الارزاق وان قلت على العلماء
واستقلالهم الارزاق وان كثرت على انفسهم قال ومن قبايحهم
ما يذهبونه من الذهب في الاطرزة العريضه والمناطق وغيرها
من انواع الزراكش التي حرمها الله عز وجل وزخرفة البيوت
سقوفها وحيطانها بالذهب وقد لعن رسول الله صلعم من ضيق
سكه المسلمين وانت اذا اعتبرت ما يذهب من الذهب في هذه
الاغراض الفاسدة تجده قناطير مقنطرة لا يحصيها الا الله تعالى

فانه لا بد في كل منطقة او طراز او نحوه من ذهاب شي وان قل
جدا تاكله النار وهو في الابنية اكثر فاذا ضمت ذلك القليل
الى قليل آخر على الاختلاف في البقاع والازمان لم يحص ما ضاع
من القناطير المقنطرة من الذهب الا الله تعالى ثم القدر الذى
يسلم ولا يضيع يصير عندهم محبوسا اطرزة ومناطق وسلاسل
وكنابيش وسروجا وغير ذلك من المحرمات المختلفة الانواع
ولو كان مضروبا سكة يتداوله المسلمون لانتفعوا به ورخصت
البضايع وكثرت الاموال ولكنهم احتجروا وفعلوا هذه القبايح
ثم يطلبون من الله تعالى ان ينصرهم ومنا ان ندعو لهم ولو انهم
اتقوا الله حق تقاته لما افتقروا الى دعاينا وقد طلب الملك المظفر
سيف الدين قطز شيخ الاسلام وسلطان العلماء عز الدين ابن
عبد السلام بحضرة الملك الظاهر بيبرس والملك المنصور
قلاون وغيرهما من الامراء وحادثه في الخروج الى لقاء العدو من
التتار لما دهموا البلاد ووصلوا الى عين جالوت فقال له اخرج
وانا اضمن لك على الله النصر فقال ان المال في خزايني قليل واريد

الاقتراض من التجار فقال اذا احضرت انت وجميع العسكر كل
ما في بيوتكم وعلى نسايكم من الحلي الحرام وضربته على السكة ونفقته
في الجيش وقصر عن القيام بكلفتهم انا اسال الله تعالى في اظهار
كنز من كنوز الارض يكفيكم ويفضل عنكم واما انكم فتاخذون اموال
المسلمين وتخرجون الى لقاء العدو وعليكم المحرمات من الاطرزه
المزركشه والمناطق المحرمة وتطلبون من الله النصر فهذا لا سبيل
اليه فوافقوه وخرجوا وانتصروا قال القاضي وانت فافكروا واحسب
تقديرا كم على وجه الارض من طراز ومنطقه وحلي حرام وكم يكون
مبلغه اذا اجتمع وضرب نقدا يتعامل به المسلمون قال قال لي
مرة بعض الامراء وقد حكيت له ما كان عمر بن الخطاب رض يقطعه
للاجناد وكذلك من بعده من خلفاء الصحابه رض وخلفاء بني اميه
وما كان عدد عساكرهم التي يضيق الارض عنها فقال اذا كان عسكرهم
هذا القدر العظيم واقطاعاتهم هذه الاقطاعات فمن اين كانوا
يجدون المال الذي يكفيهم والبلاد البلاد ما تغيرت فقلت من هذه
الاطرزه والحلي المحرم والخيول الموسومة قال كيف قلت ما كانوا

يعملون هذا الحلى ولا يشترون الفرس بماية الف والمملوك بخمسين
الف ولا ينتهون فى الخيلاء الى المعاشر ما انتهيتم اليه فقال
صدقت قال القاضى ومن منكراتهم ركوبهم والجنايب تقاد بين
يديهم مسرجه غير مركوبه وهم مع ذلك يجدون المحتاج
ماشيا ولا يركبونه وانما يمشون بالجنايب للتزين لا للحاجة
روى ابوداود من حديث سعيد بن ابى هند عن ابى هريره رض قال
قال رسول الله صلعم يكون ابل للشياطين وبيوت للشياطين
فاما ابل الشياطين فقد رايتها يخرج احدكم بنجيبات معه
قد اسمنها فلا يعلو بعيرا منها ويمر باخيه قد انقطع فلا يحمله
واما بيوت الشياطين فلم ارها قال سعيد لا اراها الا هذه الاقفاص
التى تستر بالديباج قال القاضى الاقفاص المستورة بالديباج
كالمحفة والمحاير وغيرها مما يتعاناه اهل الثروه قال وهذا
فيمن قاد الجنايب للخيلاء اما من يقودها فيحمل ضعيفا يراه فى
الطريق فهو حسن وكذلك اذا قادها فى الجهاد خشية ان فرسه
يعجز قال ومنها ان الجندى يقاتل ويخاطر بنفسه فيقتل فى الحرب

كانوا

اقول هو ثابت فى الصحيحين من رواية قتادة رض قال

كانوا ولا يعطونه سلبه والنبى صلعم قد اعطاه اياه حيث قال
من قتل قتيلا فله سلبه فيمنعونه ما اعطاه سيد الاولين و
الاخرين صلعم ويفترون بذلك عزايم الجند فان الجندى اذا عرف
انه يخاطر بنفسه ولا ينصف فترت عزيمته وحق عليهم ان يعطوه
سلب المقتول اقول ومن هذا القبيل انهم لا يقسمون الغنيمة
القسمة الشرعيه فيختل امر الاموال فلا يحل لاحد منه الا مقدار
حصته ويحرم فروج الجوارى وخدمات الغلمان باجماع اهل
الايمان وفيه زيادة تفصيل وبيان اودعناه كتابنا غاية الارشاد
الى سبيل الرشاد قال والاجناد من حق الله تعالى عليهم اللطف
بالفلاحين فلو شاء الله تعالى لقلب الفلاح جنديا والجندى
فلاحا فاذا كان لا يشكر نعمة الله على ان رفعه على درجه الفلاح
فلا اقل من ان يكفى الفلاح شره وظلمه اقول وحال الفلاحين
مع الاجناد حال منتزعى الارواح مع ملايكه العذاب على ما تعلق
به علمنا قال وعليهم مصابرة العدو اذا التقى الجمعان ولا ينهزم
الجمع الا عن اكثر من مثليه بما له وقع كانهزام مايه عن ماتين وخمسين.

واما انهزامه لمثليه كعشرة عن عشرين فلا يجوز ان ينصرف
الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة يستنجد بها واذا طلب الكافر
المبارزه استحب لمن جرب نفسه الخروج اليه باذن امير
الجيش وعليهم تاديه الامانه فيما حازوه من الغنايم وامتثال
امر الامير فيما لم يخالف الشرع والتعاون والتناصر واجتماع
الكلمه قال والقاضي وقد استوعبت كتب الفقه ما يتعين له
وعليه وخص جماعه من الايمة كتاب القضاء بالتصنيف ونرى
ان نخص هذا المكان بالتنبيه على الهديه فنقول قبول الهدايا
من افتح ما يرتكبه القضاه فلنسد بابها بالكليه وقد علم ان مذهب
الشافعي انه لا يجوز ان يقبل الهديه ممن لم تكن له عادة ان يهاديه
قبل ولايه القضاء ولا ممن كانت له عادة ما دامت له حكومة
والمذاهب في المسئلة معروفة انتهى اقول وينبغي بيانها قال ابو بكر
الشاشي الشافعي في حلية العلماء اخذ الرشوة على الحكم حرام
يعني بالاجماع واما الهديه فالذي ذكر اصحابنا انه اذا لم يجر
عادته بالهديه قبل الولايه فقبول الهدية منه بعد الولاية حرام

والمحكي عن ابي حنيفه واصحابه جواز قبول الهديه وان كره ثم ذكر
حكم ما اذا كان ممن جرت عادته بالهديه له قبل الولايه على مذهبهم
ولم يتعرض لبيان خلاف غيرهم فيه وفي مختصر القدوري الحنفي
ولا يقبل هديه الا من ذي رحم محرم منه او ممن عادته قبل القضاء
بمهاداته وتبعه صاحب الهدايه قال صاحب غاية البيان الا ان
تزيد على ما قبل القضا والا ان يقع لذي رحم محرم خصومة مع آخر
فيكره الهديه حينئذ لانها للحكم فلا تحل قال والحاصل هنا
ما قال شمس الايمة السرخسي في شرح ادب القاضي للخصاف
اذا اهدى الى القاضي علم القاضي ان له خصومة اي مع آخر
لا يقبل لانه لو اخذه فقد اكل بقضائه وذلك حرام وان علم
ان لا خصومة له الافضل له ان لا ياخذ لانه لا يخلو عن الشبهه
وان اخذ لا باس به وان كان بين القاضي وبين ذلك المهدي تهاد
قبل القضاء فاهدى اليه ان كانت الهديه على حسب ما كان قبل
القضاء فانه لا باس به وان كان زيادة على ذلك فالزياده انما كانت
لتقلده القضاء فلا ياخذ مقدار الزيادة وان كان بينهما سبب

موجب للهدية كالقرابه فلا باس ان يقبل منه ذلك وان لم
يكن بينهما سبب موجب للهديه فلا ياخذ وقال الناصحي فان
كانت له خصومة لم يقبل منه هدية ايضا ما دامت له خصومة
لانه يدخل عليه التهمة فان قبل منه هدية بعد الخصومة
لم يسقط عدالته لانه اهدى اليه جريا على افعاله الاولى
لا للحكم فلا يسقط عدالته وقال الاقطع في شرح القدوري
والفرق بين الرشوة والهدية هو ان الرشوة ان يعطيه بشرط
ان يعينه والهدية ان لا يكون معه شرط ذكر كل هذا صاحب
غاية البيان وقال الشيخ بهرام المالكي في شرحه الصغير لمختصر
الشيخ الخليل ليس للقاضي قبول هدية ولو كافاها عليها اضعافها
وحمل الاشياخ قول ابن حبيب لم يختلف العلماء في كراهة
قبول الهديه وهو مذهب مالك واهل السنه على المنع وسواء
كان المهدي ممن له عند القاضي خصومة ام لا وقاله اي مع الاشياخ
مطرف وابن الماجشون وقال ابن عبد الحكم له ان يقبل ممن لا غير من صح
خصومة له عنده وقال اشهب لا يقبلها من يخاصم عنده

152

الا ان يكافيه عليها قال الشيخ الخليل الا من قريب قال بهرام اي
كولده ووالده واخيه وابن اخيه وعمه وابن عمه وخاله وخالته
وعمته وبنتها ومن لا يدخل عليه به ظنه لشدة الدخلة والمنافية
بينهما قال وكذلك ذكر سحنون عن ابيه قال الخليل وفي هدية
من اعتادها قبل الولايه قولان قال بهرام الجواز لابن عبد
الحكم وقال مطرف وعبد الملك بن الماجشون لا ينبغي له ذلك
وهو محتمل للكراهة والمنع انتهى وفي المغني لمحمد بن قدامة الحنبلي
قال المصنف قال الخرقي ولا يقبل هدية من لم يكن يهدى اليه
قبل ولايته قال ابن قدامه وان كان يهدى اليه قبل ولايته جاز
قبولها منه بعد الولايه قال قال القاضي ويستحب له التنزه عنها
وان احس انه يقدمها بين يدي خصومه او فعلها حال الحكومة
حرم اخذها في هذا الحال واشعر المصنف اي علم بان قول الخرقي لا يقبل معناه
لا يجوز القبول وصرح هو بالمنع في اثناء الاستدلال عليه وكذا
قال في كتابه المقنع ولا يحل له ان يرتشي ولا يقبل الهدية يعني ولا يحل
له ان يقبلها كما قال منجا في شرحه قال ابن قدامه الا ممن كان يهدى اليه

قبل ولايته بشرط ان لاتكون له حكومة رجعنا الى كلام القاضي
عبد الوهاب بن السبكي في معيد النعم قال وانا اعتقد انه يحرم
على القاضي قبول هدية من يهدي للقاضي في العرف ليستميل خاطره
لقضاء اربه وذلك يشمل كل من دون القاضي ومن هو مثله ممن قد
يحتاج الى القاضي وكثيرا ممن هو فوقه ويخرج بعض من فوق
القاضي كالملوك الذين يصل الى القاضي انعامهم ولا يقصدون
بذلك استمالة خاطره لقضاء حوايجهم عنده فان حوايجهم
عنده ان كان ممن يراعيهم لايحتاج الى الهدية لما لهم من الجاه و
الا فلا يقبل الهدية فاقول يحرم قبول هدية القسم الاول كانت له
عادة قبل القضاء ام لم تكن كانت له حكومة ام لم تكن ويجوز قبول
القسم الثاني بشرطين احدهما ان يجد القاضي من نفسه ان حاله لم
يتغير في التصميم على الحق وانه قبل الهدية كهو بعدها وهذا يتاتى
في هدايا الملوك ولا يتاتى في هدايا غيرهم والثاني ان يجري عادة
ذلك الملك بفعل هذا مع من هو في منصب هذا القاضي قال
وانما خصصت فصل الهدية بباب القضاء وان كانت تشمل كل

ولي امر لانها من القاضي اقبح اقول وقضاة هذا الزمان
مترقون من قبول الهدايا الى درجة الارتشاء كما هو معروف من
حالهم مع ان اخذ الرشوة ذنب عظيم معدود من الكباير لقوله صلعم
لعنه الله على الراشي والمرتشي رواه ابن ماجه وغيره وزاد الترمذي
في رواية في الحكم وقال فيه حديث حسن وزاد الحاكم في رواية
ايضا والرايش الذي يسعى بينهما وقال فيه بدون الزيادتين صحيح
الاسناد كذا نقل عنه جلال الدين المحلي في شرح جمع جوامع الاصول
وقال الترمذي فيه بدونهما حديث حسن صحيح ونقل ابن حزم
في كتاب مراتب الاجماع اجماع العلماء على تحريم الرشوه شكرا على
قضاء بحق او باطل او تعجيلا لقضاء بحق او باطل وقال ابن قدامه
الحنبلي الرشوة على الحكم ورشوه العالم حرام بلا خلاف اي بالاجماع
ثم الرشوه هي ان يبذل ما لا ليحق باطلا او يبطل حقا هكذا فسره
العلماء نعم يطلق ايضا على المال المبذول لذلك ايضا والراشي باذل
الرشوة اي المال المذكور والمرتشي قابل الرشوه والرايش المتوسط
بينهما قاله صاحب الحاوي وغيره وفسر مجد الدين ابن الاثير الجزري

في النهاية الوايش بالذي يسعى بينهما يستزيد لهذا ويستنقص لهذا قال
فاما ما يعطى توصلا الى اخذ حق او دفع ظلم فغير داخل فيه روى
ان ابن مسعود اخذ بارض الحبشة في شيء فاعطى دينارين حتى خلي
سبيله وروى عن جماعة من ايمة التابعين قالوا لا باس ان يصانع
الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم وقال النووي في تهذيب
الاسماء الرشوة محرمة على القاضي وغيره من الولاة مطلقا لانها
تدفع اليه ليحكم بحق وليمتنع من ظلم وكلاهما واجب عليه فلا يجوز
اخذ العوض عليه واما دافع الرشوة فان توصل بها الى باطل فحرام
عليه وهو المراد بالراشي الملعون وان توصل بها الى تحصيل حق او
دفع ظلم فليس بحرام ويختلف الحال في جوازه واستحبابه ووجوبه
باختلاف المواضع انتهى وهذا القدر من بيان حكم الرشوة يكفي هنا
والتفصيل البليغ يفوض الى كتب الفقه قال ابن السبكي في كتابه
المذكور ومما يتعين على القاضي تفهيم الملك الحكم الشرعي فيما ينهى اليه
من الوقايع ومناصلته عنده عنها وافهامه ان ذلك هو الدين الذي
ان حاد عنه هلك وان اعتمده نجا وان ينظر في امر الاوقاف والمستحقين

من

154

من المشتغلين والمحتاجين ومما هونت بعض القضاة فيه الامر
الحكم بالصحة فتراهم يقدمون عليه بمجرد ثبوت العقد والملك
والحيازة وكان الشيخ الامام يعني والده رح يشدد النكير في ذلك
قال وقال في وصيته بالقضاة بعد ان ساق حديث القضاة ثلاثة
واحد في الجنة واثنان في النار قاض قضى بالحق وهو يعلم فهو في
الجنة وقاض قضى بالحق وهو لا يعلم فهو في النار وقاض قضى بغير الحق
فهو في النار هذا نصه ونقلته من خطه قال القاضي اعني ابن
السبكي تنبه ايها القاضي لما انت فيه من الاخطار وطب نفسا
اذا حكمت بحق بعلم الله تعالى والا فلا واعلم ان الحلال بين وهو
الذي تجده منصوصا عليه في كتاب الله او سنة نبيه صلعم او مجمعا
عليه او عليه دليل جيد غير ذلك من ساير الادلة الراجعة الى
الكتاب والسنة بحيث ينشرح صدرك لانه حكم الله تعالى فهذا
حكمك به عبادة تثاب عليه وينبغي لك ان تقصد به وجه الله
تعالى فلا يكون حكمك به لمخلوق ولا لغرض من اغراض الدنيا
فبذلك تكمل العبادة فيه وتنال الاجر من خالقك وان حكمت

ويذكر للصحة المطلقة عند اثنين وعشرين شرطا عدما وانا تركتها لاختلاف المذاهب فيها

به لغرض من اغراض الدنيا صح الحكم ولكن لا يكون لك فيه اجر
وان حكمت بذلك من غير قصد القربة ولا غرض من الاغراض
الدنيويه فهذا خير من القسم الذى قبله الذى قصد به غرض دنيوى
ولكنه ايضا يظهر انه لا اجر فيه لعدم قصد القربة عند الحكم بل
نكتفي به في اصل ولاية القضاء لانه قد يشق استحضاره في كل حكم حكم
فيكتفي به عند الدخول في اوله كما اكتفي فيه المجاهد في اول خروجه
وما سوى ذلك على مراتب الرتبه الاولى ان يكون الحكم مختلفا فيه
ويحصل ما يجوز الاقدام على الحكم به من الادله الشرعيه مع احتمال
يمنع من انشراح الصدر له الانشراح الكلى فهذا جايز ولا اجر فيه
دون القسم المجمع عليه لان المصلحة في المجمع عليه اتم فالعبادة
فيه اكمل وان كان لا تقصير في هذا الرتبه الثانيه ان يحصل
شبهه تمنع من غلبه الظن بان ذلك حكم الله تعالى فلا يحل الحكم
وان كان بعض العلماء قال به الرتبة الرابعة ان يكون مجمعا على انه
ليس بحكم الله تعالى فلا يحل الحكم وهذه المراتب الثلاث عدم الحل
فيها مترتب ترتبا لا يخفى واعلم انه قد يكون عند قيام الشك

واعلم انا لا نشترط وجود قصد القربة صح

الرتبه الثالثه ان يعتقد انه خلاف حكم الله تعالى صح

ومخالفة

ومخالفة الاحتمال قد تسول لك نفسك او الشيطان او احد
من الناس الاقدام على الحكم لغرض من الاغراض ويسهل عليك
لانك لم تجزم بالتحريم فاياك ان تقدم على الحكم فتدخل في قوله
صلعم قاض قضى وهو لا يعلم فهو في النار فاذا كان الذى قضى
بالحق وهو لا يعلم في النار فالذى قضى وهو لا يعلم والمقضى به
متردد بين الحق والباطل كيف يكون حاله وفي هذه المرتبه تجد
كثيرا من اخوان السوء يسولون لك الحكم فاياك ثم اياك اقول
واعلم ان قضاتنا هالكون من جهة اخرى وهي انهم يسمعون الدعاوى
بالشرع ويحكمون الاحكام بالعرف بل يبنون بعض مقدمات الدعاوى
على العرف ايضا وينزلونها منزلة قضايا مسلمة شرعا كما يعرفه من
يتتبع احوالهم قال القاضي واستحضر بقلبك غدا يوم القيامه اذا
انتصب الجبار لفصل القضاء وجئ بالنبيين والشهداء وجئ
بك يا مسكين وانت كالقمحة بل كالذرة بين ارجل الناس بل اقل
من ذلك وفي ذلك الموقف رسول الله صلعم الذى انت نايبه وقد
بلغت شريعته وجبريل الذى نزل بها عليه ورسل الله تعالى

وانت تدرك ما يتوجه اليه مما ذكره النوبة في حكمه وقد سبق نقله في الكلام على النواب صح
الحصني صح

وانبياوه وملايكته والصديقون والشهداء كالسرج المضيئة في
ذلك المشهد بين يدي الله تعالى وسالك الله تعالى بغير واسطة
بينك وبينه لم حكمت في هذا الامر ومن بلغك عني هذا ونظرت
يمينا وشما لا فلم تجد هنالك سلطانا ولا اميرا ولا كبيرا ممن تولى
لك ذلك الحكم ورايت نفسك وحيدا ذليلا حقيرا ونظرت الى
النبي صلعم وهو المقدم في ذلك المشهد العظيم الذي ترجو شفاعته
وقد حكمت بغير شريعته كيف يبقى وجهك معه او كيف يبقى
حالك عنده وساير الانبياء والرسل والملايكه واهل ذلك
الموقف من الصالحين ينظرون اليك والله تعالى ينظر اليك هل ينفعك
ذلك الوقت احد من اهل الدنيا او مال او جاه او غير ذلك كلا والله
لا ينفع فانظر يا مسكين هذا الموقف فما علمت انه يخجلك فيه لا تستحيي
بسببه فيه فافعله وما سوى ذلك كن منه على حذر ولو طلبه
منك اكبر ملوك الارض بملئها ذهبا وان قبل لك قد تكون توقفك
تركا للحكم الواجب فقل انما يكون واجبا اذا ظهر وعند الشك
لا واذا دار الامر بين الترك مع الشك والاقدام مع الشك كان

الترك

الترك اسهل لانه اخف واقل جراة فهذا الذي تيسر ذكره مما
اوصيتك به ايها القاضي اقول وهذا الذي ذكره لا يختص
بالقضاة بل يعم ساير الولاة من السلاطين والوزراء والامراء وغيرهم
ثم اذا تمهد هذا فاعلم اني لست من اهل الامارة على الحق وهي ان تكون
مع رعاية الشرع اذ يصعب صعوبة شديدة اصلاح الناس حتى يقبلوا
اجراء الشرع في جميع احكامهم ويتركوا الامير بل السلطان ايضا
على الاجتناب من السياسات العرفيه واخذ الاموال المحرمه و
يطاعوه اذا امر بالاجتناب من ذلك بل لا يرضى ذلك السلطان
ايضا لانهم كلهم الفوا بما قد فتن لهم من قديم الايام من اخذ اموال
محرمه يتصرفون بعضها في عدد العسكر وبعضها في محرمات
تشتهيها انفسهم او يفتخرون بها بين الناس وفي غيرها
ومنها ما يعتقدونها خيرات كبناء مساجد ومدارس والزوايا
ونحوها والصدقات الى الفقراء فان كل ذلك حرام مع امكان رد ها
اعينها او بدلها اذا تعذر رد العين الى اصحابها كما سبق كل ذلك
والكلام في غير بيت المال واما هو فيجوز صرفه في امثال ذلك

مما يجب امعان النظر فيه ومع ايضا
ما توقف عليه تحسين وجوه تعلق
رعاية الشرع وفهمه
من الزمان

من الخيرات بشروط بيانها مفوض الى كتب الفقه ولا يخرج والملوك
عن عهدة اصلاح الناس على الوجه المذكور من الامرآء الآمن
فيه خصال منها ان يكون قوى الجسم والقلب بحيث يقدر
على طول الاشتغال بمصالحهم والمنازعة معهم فى اصلاحهم
والمغالبة عليهم من جميع الجهات ولفقد هذه الخصلة
فى ابى ذر رض منعه النبى صلعم عن الامارة حيث قال يا رسول الله
الا تستعملنى قال فضرب بيده على منكبى ثم قال يا ابا ذر انك ضعيف
وانها امانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من اخذها بحقها
وادى الذى عليه فيها وفى رواية قال له يا ابا ذر انى اراك ضعيفا
وانى احب لك ما احب لنفسى لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم
رواه مسلم وقد ذكر فيما مضى ومنها ان يكون قلبه متعلقا
ومرتبطا بامر الامارة بحيث لا يسام سريعا من الاشتغال بمصالح
اما الاول الناس ولا شك انى لست بقوى الجسم والقلب فلانى من اول امرى
متصف بضعف بنيتى ووهن خلقتى وابتلاء الامراض الجسمانية
واما الثانى كثيرا كما لا يخفى عند من يصاحبنى ويتتبع احوالى فلانه قد

استولت

استولت على قلبى آلام روحانية فوضعتنى عن العمل كما ان هذه الرسالة
ناطقة بذلك وبالجملة فلا يخفى انى اضعف من ابى ذر رض فلا اقدر
على الابتلاء ببلاء الامارة حالا ومستقبلا واسال الله تعالى مثله
ان يعطى بلطفه وكرمه لو الذى شفقه النبى صلعم على ابى ذر رض
على فلا يحمل على ما لا طاقة لى على الابتلاء به من امر الامارة فى منها حالا ومستقبلا
هذه النواحى فضلا عنه فى وسط المملكة كديارنا الاولانية عن ابن عمر رض
قال كنا اذا بايعنا رسول الله صلعم يقول لنا فيما استطعتم رواه
البخارى ومسلم ولا يسع المؤمن الا اتباع رسول الله صلعم قال الله
تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا وجه
لان يحمل والدى على الامارة حالا ومستقبلا مع عدم استطاعتى
اياها بل لا يكلف الله نفسا الا وسعها ووالدى عبد من عبيده
وذليل عند سلطانه اعزه الله فى الدارين باحسانه ثم اعلم
ان الله تعالى ما خلق فى قلبى الميل الى الرياسة والملك والجاه و
المال والحكومة على الناس بل انما وضع فى قلبى المحبة والشوق وبغض والبغض
العوايق عن المحبوب المطلق فتارة صلحت مضغة فى جسدى فصلح

جسدی کله وشعفت قلبی نار المحبة والاشتیاق الی المحبوب
الحقیقی واستولی علی الروح الانجذاب الی الملاء الاعلی و
الی عالم القدس والامتعة الرایجة فی سوقه من الاحوال والاقوال
والاعمال وتارة فسدت تلك المضغة ففسد جسدی کله و
توجهت المحبة والشوق وانجذبت الروح الی عالم الکون والفساد
واشتغلت جوارحی بالاعمال الخبیثة اسال الله سبحانه وتعالی
اصلاح قلبی وجسدی فی جمیع الامور بلطفه وکرمه وقد
صدر عنی شعر بالترکی بناسب الحالین وهو قولی
عشق بحرینه طال ای دل کایره سن بکدانه ٭ جان قیمتی بن فن واصل اولور جانانه
باکه نه ملك جهان یا خود بکانه نام وننك ٭ بن خراباتی اولوبن دشمنم میخانه
نا صحا کس دیلکی بند ن بنی قو حالمه ٭ کم اثر قلمز نصیحت عشقله دیوانه
عقل ناقصله عوامه یولده کل طعن ایدیلر ٭ عشق راهنده بو کون کاملار اولان مردانه
ای حریمی لا ابالی اول بو کون عشقیله کم ٭ وضعله هرکز وقار اولماز مشی مستانه
ثم لا یخفی علیك ان من لا یحب صنعة لا یخرج عن عهدتها فی العادة
المستمرة فی الدنیا فعدم محبة الامارة یودی الی اختلال النظام

وانهدام الاسلام والعیاذ بالله فلا محید عن الترك ومنها ان لا یکون
خایفا من زوال دولته بسبب قصده اصلاحهم فان المفسدین
لا یرضون الاصلاح بل یتلذذون بالانهماك فی الفساد والافساد
فینصبون مکان ذلك الامیر من هو موافق لهم هذا فی الامیر المستقل
اعنی السلطان واما التابع لمن هو اعلی منه فامره اصعب لان اصلاح
الناس من الضعیف مع منع المانع القوی ولا سیما انضم الیه
اعوجاج طبایع الناس عن الحق وفرارهم عن طاعة الشرع متعذر
فلا محید عن الترك لانه مقدور علیه وسبب للاعراض عن مباشرة
الفسادات وللخروج عن المظالم کما یجب الخروج عن مجلس فیه منکر و
لا یقدر علی ازالته ومنها ان لا یکون مایلا الی عبیده وسایر اعوانه
ومعارفه عند کونهم ظالمین ونحو ذلك ولا شك فی نفسی انی
لا التزم ما یلزمنی شرعا من وظایف الامارة لصعوبته الی حد
لا یلتزمه امثالی ونحن واقفون علی المظالم الواقعه فی المملکة من
اشخاص مستندین الینا فی جمیع امورهم وطایرین فی هواهم باجنحتنا
بل من اشخاص اجنبیة عنا غیر مرتبطة بنا ایضا وذلك معلوم

لنا قطعا باخبار المخبرين وانضمام القراين اليها كيف وخبر
الواحد المحفوف بالقراين قد يفيد العلم وحينئذ لا يشترط
عدالة المخبر كما لا يشترط في رجال التواتر ثم القراين مثل ما
نقف على احوال بعض الناس في الامور وفساد الزمان لبعده بعضه
عن زمان رسول الله صلعم الى حد حان حين غربة الايمان الذى
قد اخبر النبى صلعم بقوله ان الايمان بدا غريبا وسيعود غريبا
كما بدا فطوبى للغرباء حديث صحيح تقدم الا ترى انتفاء العلماء
الناصحين وموافقه العلماء الموجودين للامراء الطالحين
والمساهلين في اعلاء الدين بل الظن كاف في ذلك ولا شك
في حصوله كيف ونحن اذا سيبنا سباعا وهوام قوية معافية
في ازدحام ناس ضعيفة مريضة عراة فكيف لا يحصل لنا
ظن اصابة مضرتها لبعضهم ثم نحن مواخذون بترك عملنا بهذا
الظن وان تفق عدم المضرة ونفى المفسدة الا ترى ان بيع الات
الحرب للحربيين والحرامية من المسلمين حرام للظن بعملهم بها
وبيع العنب لشاربي الخمر وعاصريها حرام لظن استعمالهم لها وشربهم

اياها ايضا فيجب علينا الامتناع عن ذلك بسبب ذلك الظن
فان لم نمتنع فلا بد من كوننا مواخذين بذلك الا ان يتعلق
نظر عنايته تعالى بارضاء الخصوم والعفو والمغفرة لنا وذلك
غير معلوم بل المظنون عدمه فان انكرنا حصول العلم لنا
او الظن بالمظالم المذكورة فيشهد قلوبنا غدا قدام الملك الجبار
بحصول ذلك لنا ويكون مثلنا في الانكار في الدنيا مثل
من تحكى عنه من اهل البدع انه كان لا ينظر الى السماء في
رمضان خوفا من ان يلزمه الصوم برؤية هلال رمضان او
قمره تمسكا بحديث ابى هريرة رض قال قال رسول الله صلعم اذا
رايتم الهلال فصوموا واذا رايتموه فافطروا فقال هذا الجاهل
المعدوم الدين فالصوم انما يلزم بالرؤية وغير ناظر الى بقية الحديث
وهو قوله صلعم فان غم عليكم فصوموا ثلاثين يوما رواه البخاري
ومسلم فجعل العلم بحصول رمضان بغير رؤية كالرؤية لان المقصود
العلم باى سبب حصل ثم يمكننا الوقوف على تفاصيل ما يقع من
المظالم في المملكة بالتصرفات والحيل من ارسال العدول الثقات من غير القضاة سرا وعلانية صح

للتفتيش وغير ذلك فيلزمنا لان دفع المظالم عن المظلومين
واجب وما لا يتم الواجب الا به واجب كما بيناه في غاية الارشاد
الي سبيل الرشاد وفي حافظ الانسان عن لافظ الايمان ولا يقاس
على التجسس في ساير الذنوب من غير المظالم فانه حرام ووجه
بطلان القياس الفرق بين حقوق الله تعالى وبين حقوق العباد
اذ لا محيد عن وجوب درا الفساد ورفع ظلم الظالمين عن المظلومين
الي يوم التناد بل يكفي في هلاوكنا تقعدنا عن ازالة ما نطلع عليه
من المنكرات الواقعات قدامنا او قريبا منا مع انه يجب علينا
ازالة المنكر فان ادعينا العجز عن درا المفاسد كذبنا فانا نقدر
على قطع اسبابها وعزل الظالمين المفسدين وان كانوا ناصري دولتنا
وسابقي خدمتنا ونصب العادلين المصلحين وان كانوا من الاجانب
الاباعد عن خدمتنا ومصاحبتنا وقد قال الله تعالى ان الله يامركم
ان تودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا وانظر الي امير المومنين
عمر بن الخطاب رض كيف عزل خالد بن الوليد رض عن ولايه الشام

روى

160

روى ابو عبد الله محمد بن سعد في طبقاته ان ابا بكر الصديق رض
بعد ارساله الى فتح بعض النواحي وحصوله كتب اليه يامره بالمسير
الي الشام وكتب اليه اني قد استعملتك على جندك وعهدت
اليك عهدا تقراه وتعمل بما فيه فسر الى الشام حتى يوافيك كتابي
فكان احد الامراء بالشام خلافة ابي بكر وفتح بها فتوحا كثيره
وهو الذي ولي صلح اهل دمشق وكتب لهم كتابا فانفذوا ذلك له
فلما توفي ابو بكر رض وولي عمر بن الخطاب رض عزل خالدا عما كان
عليه وولى ابا عبيده ابن الجراح فلم يزل خالد مع ابي عبيده في
جنده يغزو وكان له بلاء وعناء واقدام في سبيل الله حتى توفي
رح بحمص سنه احدى وعشرين واوصى الى عمر بن الخطاب رض ودفن
في قريه على ميل من حمص وروى عن ثعلبه بن ابي مالك ان عمر رض
لما سمع موت خالد رض استرجع مرارا ونكس واكثر الترحم عليه
وقال والله كان سدادا لنحور العدو فقال علي بن ابي طالب رض
فلم عزلته قال عزلته لبذله المال لاهل الشرف وذوي اللسان
وروى عن قيس بن ابي حازم يقول لما مات خالد بن الوليد قال

عمر رض يرحم الله ابا سليمان لقد كنا نظن به امورا ما كانت و
عن نافع قال لما مات خالد بن الوليد لم يدع الا فرسه وسلاحه
وغلامه فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال يرحم الله ابا سليمان
كان على غير ماظننا به انتهى فانظر الى عمر بن الخطاب رض عزل
خالد بن الوليد مع انه كان من اكابر الصحابه واصحاب الكرامات
اذ روى ابن سعد ايضا عن قيس بن ابي حازم وابي السفر ان خالد بن
الوليد اتي بسم فقال ما هذا قالوا سم فقال بسم الله وشربه قال
ابو السفر فلم يضره باذن الله شيئا وعن محارب بن دثار قال
قيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر فركب دابته
وجال في العسكر فلقي رجلا على منسج فرسه زق خمر فقال له
ما هذا قال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا قال فجاء الرجل
اصحابه فقال اتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوه اذا
هو خل قالوا ويلك ما جيتنا الا بخل قال هذه دعوة خالد
انتهى وانما عزله عمر لسوء ظنه به في حق المسلمين وصونا لامورهم
من الاختلال والخروج عن الاعتدال فالظالمون المفسدون

المتظاهرون

161

ما يجب امعان النظر فيه الى آخره

المتظاهرون بالفساد والظلم احق بالعزل واولى بل واجب مطلقا
ثم انا نقدر على تشديدات دارية لفسادات المفسدين وعقوبات
وزواجر يمنعهم عن افعالهم الخبيثة الى حد نصرف مقدورنا ولا نخفي
ان تادية ذلك الى زوال دولتنا وامارتنا وسقوطنا عن رتبتنا في
الدنيا ليس من الاعتذار الشرعية المبيحة للاعراض عن رعاية
وظايفنا في حال الامارة الآن يتحقق عندنا بعد المبالغة في التزام
ما لزم علينا انا ان راعينا جملة هذه التشديدات الشرعية في حق
الناس فهم يعزلوننا وينصبون من هو اقل رعاية لحقوق الشرع منا فحينئذ
الظاهر كوننا معذورين ومن يصل الى تلك الدرجة في التزام ما يلزمه
بل الوصول اليها متعذر عادة في هذه الازمان لاستيلاء ضعف الدين
على اهل زماننا ولشدة صعوبة الامور المذكورة على النفس فانما
يبقى الرجوع الى ما يسهل علينا ويتيسر لنا وهو ترك الامارة وبه يضبط
لجام النفس الامارة وفي هذا الباب ما قال الشيخ الشريف تقي الدين
الحصني في كتاب قمع النفوس اعلم يا امير الناس ان الإمْرة علة مزمنة
اذا وقعت في قلب عبد سكنت ولا يخلص منها الا من سبقت له عناية

بكسر الهمزة وسكون الميم الامارة ه

وقد ذكرنا ما يترتب عليها من الحسرة والندامة وما يلقى الامير في جسر
جهنم عافانا الله الحليم منها فان استطعت ان تخلع نفسك منها فبادر
فما اسعدها عليك من حركة فمن اين لك القيام بالحق الذي شرعه الله
تعالى وجعلك خليفته فى ارضه ليصل الي كل حق حقه فلا يحبس
شخص الا بحق ولا يمنع شخص من حق ولو كان شيخا عجوزا في خربه
او صغيرا مضللا فى الازقة ياوي الي البر والفاجر ومن اين لك قدرة
اقامة الحدود ومنع من يتعاطى الفواحش من الخمور والحشيش وقمع
المتمردين من سفلة الناس كرجم الزاني المحصن وقطع يد السارق
ومنع الاجناد من التعدي علي الضعفاء فى تسخيرهم وتسخير دوابهم
واخذ ما يحتاجون اليه لاجل حشمهم ودوابهم حتى لو اعتدي امير علي
شخص في عرق زرع وجب عليك ان تزجره وترده والا فانت ساع في
كبك في النار ومضنع امر الملك القادر الجبار الذي من عليك بالسمع
والبصر وقوة الركوب علي جواد عزك بالعشي والابكار فان غلبتك نفسك
الامارة وقويت عليك في انقائك فى الامارة فعليك بالاطباء اعنى اطباء
القلوب الذين شانهم مراقبة علام الغيوب فان المريض قلبك فان لحق

162

الطبيب فيه حياة فابشر انشاء الله المنان بالنجاة والا فاعلم انك مفتون
قد غلبت عليك اسباب العطب ولا نامن عليك ان يتخبطك الشيطان
عند مفارقة روحك جسدك وقد ذكرنا من قبل ان الشخص اذا كان
في حال صحة بدنه وكمال عقله الشيطان آخذ بناصيته كيف شاء فكيف
حاله فى وقت قد زال فيه عقله ولبه فلا تغفل ايها الامير عن التداوي
بهذه الاطباء واياك ثم اياك ان تغتر بقول فقيه او فقيرا ومتصوف
يتردد اليك ان فلانا صالح فهي خديعة لك لانهم يتواطون على ذلك
لينالوا من مزبلتك وعليك بالفحص بحسن عقلك وصحة فكرك في
توصلك الى اهل الرغبة والرهبة الذين عند مجالستهم بل عند ذكرهم
تتنزل الرحمة وقد فعل ذلك من تقدم من الامراء الاخيار وبكوا عند
وعظهم لهم بالدموع الغزار قال ويروي ان عمر بن الخطاب رض بعث
الي عاصم ليستعمله على الصدقة فابي وقال سمعت رسول الله صلعم يقول
كان صح اذا يوم القيامة يوتى بالوالى فيقذف على جسر جهنم فيامر الله تعالي الجسر
فينتقض به انتقاضه فيزول كل عظم منه عن مكانه ثم يامر الله تعالي
العظام فترجع الى اماكنها ثم يساله فان كان مطيعا لله تعالى اخذ بيده

واعطاه كفلين من رحمته وان كان عاصيا خرق به الجسر فهوي به في
جهنم مقدار خمس وسبعين خريفا فقال عمر سمعت من رسول الله صلعم
ما لم اسمع فقال نعم وكان سلمان الفارسي وابوذر رضي الله عنهما حاضرين
فقال سلمان اي والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في
واد يلتهب التهابا فقال عمر رض بيده على جبهته انا لله وانا
اليه راجعون من ياخذها بما فيها فقال سلمان من سلت الله
انفه والصق خده بالارض ووعظ بعضهم لبعض الخلفاء
فقال يا امير المومنين ان في كلام الله تعالى موعظة من كل
شي انه قال لنبيه داود يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل
الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب اقول وداود وسليمان صلى الله عليهما
وسلم بريئان عن اتباع الهوي والضلال عن سبيل الله
تعالي ومع ذلك فقد روي الطبراني في معجمه الاوسط
عن معاذ بن جبل رض عن رسول الله صلعم قال يدخل الانبياء

كلهم قبل داود وسليمان الجنة باربعين عاما وقد سبق
فكيف يكون حال امثالنا مع استغراقنا في ظلمات الظلم
ومن كان في الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا
قال الشريف الحصني رض ومثل هذا واشباهه كثير وفي
بعض ما ذكرنا كفاية لمن اتعظ ولا يحيق المكر السيّئ الا باهله
وكم من امير لما سمع بعض ما ذكرناه ترك المملكة وغنم نفسه
وآخر غرّته عافيته وقوته وجنده وحفدته فتمادي فيما هو فيه
من مفسدات الامارة فاورثه ذلك عند موته الحسرة والندامة
فنادي علي نفسه بالويل والثبور فلم ينفعه ذلك وحشر بحرقة
في ضيق القبور احذر الدنيا يا امير فنوالها يسير وعيشها قصير
ودركها خطير فبالله هل عمن مضى غير الخبر وهل تري بعينك غير الاثر
وفي مثل ذلك تنبيه وعظة لمن اعتبر اقول وانا قد اطنبت عليك في بيان
امتناع رعاية حقوق الامارة على طريق الشرع في هذه الازمان وسيما
رعايتها في حقي فاني بينت من احوالي اسباب عجزي عن ذلك على كل حال
بما لا مزيد عليه فلا محيد لي عن الترك كما لا يخفى عند الناظرين بعين

الانصاف والغامضين لعين الاعتساف واذا تقرر جملة ماذكرناه و
ثبت ان رعاية الشرع بايتاء جميع الواجبات واجتناب جميع المحرمات
ولاسيما سفك الدماء وغصب الاموال وايذاء الناس وظلمهم مطلقا خاصة
مع انها اشد الشدايد واقبح القبايح لايجتمع مع الامارة في هذه الازمان
على انها بلاء لايطيقه المومن العاقل في الدنيا لما يخاف مما يترتب عليها في العاقبة
من شر الجزاء فانه غير مطاق مع ان كل ما هو آت قريب فوجب علينا ترك الامارة
لتحصيل الطاعة الله سبحانه كما قدمنا التنبيه عليه مرارا استعجالا لان الشوق
الي المقصود لايبقي للتاخير مجالا وللفرار من بلاء الامارة الغير المطاق وقد
قال رسول الله صلعم لاينبغي للمومن ان يذل نفسه قالوا وكيف يذل نفسه قال
يتعرض من البلاء لما لايطيق رواه الترمذي وابن ماجه عن رواية حذيفة رض
وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ولايخفي ان عقاب الله تعالي شديد
قال سبحانه واعلموا ان الله شديد العقاب وعن ابي هريره رض
ان رسول الله صلعم قال ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم
قيل يا رسول الله ان كانت لكافية قال فضلت عليهن بتسعة
وستين جزءا كلهن بمثل حرها رواه البخاري ومسلم كما سبق

وعن نعمان بن بشير رض قال قال رسول الله صلعم ان اهون اهل
النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه
كما يغلي المرجل ما يرى ان احدا اشد منه عذابا وانه لاهونهم
عذابا رواه البخاري ومسلم وقد قدمنا ايات واخبارا في الباب
فلتذكر على ان عذاب العلماء الواقفين بالاحوال اشد من عذاب
الجهلاء الغافلين عن الاحوال لقوله تعالى اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وقوله سبحانه كبر مقتا عند الله ان تقولوا
ما لاتفعلون والحديث اسامه بن زيد رض قال قال رسول الله
صلعم يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق اقتابه في
النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه
فيقولون اي فلان ما شانك اليس كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا
عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر واتيه رواه البخاري ومسلم
وعن انس رض ان رسول الله صلعم قال رايت ليلة اسري بي رجالا
يقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هولاء يا جبرئيل
قال هولاء خطباء من امتك تامرون الناس بالبر وتنسون انفسهم

رواه البغوى في شرح السنه والبيهقى في شعب الايمان على
ما قال صاحب المشكاة ثم ان المقصود بالايتين انكار عليهم من
حيث انهم تركوا انفسهم على الاعمال الفاسدة والصفات الخبيثه
ولم يقصدوا اصلاحها مع انهم كانوا واقفين على الامور ولذا
صح منهم امر غيرهم بالبر لا انكار على احتسابهم لان الحق عند
اهل التحقيق ان الفاسق تارة له وتارة عليه ان يحتسب فيامر
بالمعروف وينهى عن المنكر لما هو مبين في موضعه ويكتفى هنا
بان يقال ان له او عليه الامر والنهى في حق نفسه وفي حق غيره
فان اخل باحدهما لم يجب ولم يجز الاخلال بالاخر ومن هذا يظهر
التمسك بالحديثين ايضا ولقوله تعالى يا نساء النبى من يات منكن
بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين اذ ليس ذلك
الا لاختصاصهن بكمال المعرفة وكمال النعمة بالنسبة الى غيرهن من
المومنات بالقرب من النبى صلعم ولانهم معترفون بالربوبيه والرسالة
وحقيه الشرايع وتوجيه الاوامر والنواهى اليهم وما يستحقونه
بالمخالفه فلا يبقى لهم عذر فالمخالفه حينئذ اكثر قبحا فيلزم ان يكون

اعظم

اعظم ذنبا كما فى الذنوب اذ كل ما هو اكثر قبحا منها اعظم اقول
ولا يخفى ان من يقدم على فعل محرم او يتكاسل عن الاتيان بواجب
مع العلم بما يستحق به من العذاب انما ينشا ذلك منه من استهانة
احكام الله تعالى ومساهلته دينه سبحانه ولا يخفى في كون
ذلك امرا عظيما وقبيحا شديدا شرعا ولان العلم الشرعى ونحوه
شى شريف محترم شرعا والذنب شئ خسيس محتقر شرعا فالجمع
بينهما ينقص عن شرف العلم وحرمته ويسقط عن مرتبته ولا يخفى
ان تحقير ما هو معزز شرعا امر عظيم في الدين واذا تقرر ان
عذاب العلماء اشد فنحن لو بقينا جاهلين لكان حالنا سهلا
لكنا وصلنا الى درجه الوقوف على الاحوال والاطلاع على حقايق
الذنوب ومراتبها وثمراتها فكان حالنا صعبا قويا ومشكلا
جدا اذ قد ظهر ان بالتزامنا امور الامارة وما يترتب عليها من
الذنوب قد استحققنا العذاب العظيم ومن يطيقه ومع عدم
طاقتنا لتحمل ما حصل منها نسعى لتحمل الزيادة عليه ولا يفعله
من له ادنى تمييز فنحن لسنا من العقلاء مطلقا بل ليس لي طاقة

[illegible]

مما يجب امعان النظر فيه الى آخره

وامعان النظر في هذا الى آخره اوجب منه

وتحمل على الابتلاء ببلايا الامارة الواقعة في الدنيا من الامور
الشاقه على النفس ايضا لضعف بنيتي ووهن خلقتي وسرعة
تاثري وانفعالي بادنى عارضة لمزاجي حتى لا اقدر على خروجي
من البيت في ايام الشتاء ونحوها فاني مهما لبثت في البرد في
الايام الباردة ولو لم يشتد البرد فلا بد من تاثر بدني وانكسار
مزاجي وضعف فؤادي بسبب جولان الابخرة عليه لانسداد المسام
عدة ايام مع ان الامراء بل الملوك ايضا لا بد من خروجهم في بعض
الاوقات الى الاسفار في الصيف والشتاء لدفع الاعداء و
مصلحة المملكه ونحوها ومثلي لا يقدر على ذلك ولو قدر بركوب
الصعب لا ان خوف الهلاك عليه قريب غالب ولو بواسطة
الانفصال عن العسكر وتركهم اياه ومراجعتهم الى عدوه او تفرقهم
عنه بغلبه عسكر العدو ونحو ذلك على انه قد ازداد ضعف بدني
حتى سقطت قوى الجسمانيه باستيلاء الالام الروحانيه على قلبي
مع انه اعظم اركان الجسد وغلبة القوة الروحانيه المكتسبه
باشتغال العلوم وممارسة الفنون واشتياق الاعمال النافعة

[illegible]

وما

166

ومما يجب الشوق الى التحصيل

[illegible] شدة الحزن وغمه

ومايترتب عليها على القوة الجسمانيه قال ابن الفارض رض
ولم يبق مني الحب غير كآبة ۞ وحزن وتبريح وفرط سقامي
الكآبة سوء الحال والانكسار من الحزن صح
ثم من فوايد اطاعه الله تعالى تتم محبته الصادقه منها لان بذلك
يتجلى مرآت القلب فيظهر فيها آثار نعم المعبود تعالى على التوالى
وهو يوجب التوجه والنظر الى اوصاف المنعم فيرى انها اوصاف
حسنه والذات ذات حسن فيستمر انجذابه الى القرب من المحبوب
كما على ذلك جرت عادته تعالى واما حد المحبة فقال الاستاذ
ابو القسم القشيري في رسالته المحبة على لسان العلماء هي الاراده
وليس مراد القوم يعني الصوفية بالمحبة الاراده فان الاراده لا تتعلق
بالقديم اقول يعني فلا يصح ان يقال فلان يحب الله تعالى الا ان اراده
المخلوق حادثه والله قديم وفيه نظر لان المحال في ذلك تعلق الاراده
الحادثه بايجاد القديم الحاصل وهنا ليس كذلك نعم تعلق الاراده
بالقديم عينه لا يتصور له معنى ولذا قال اللهم الا ان يحمل على اراده
التقرب اليه والتعظيم له انتهى وقد اوضحه بعضهم فقال هي من الله
تعالى في حق العبد ارادته تعالى لاكرامه ومثوبته على التابيد

ومحبتنا له تعالى ارادتنا لطاعته وامتثال اوامره ونواهيه قال
القشيري ونحن نذكر من تحقيق هذه المسئله طرقا ان شا الله تعالى
فمحبة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان
رحمته ارادة الانعام فالرحمة اخص من الارادة والمحبة اخص
من الرحمة فارادة الله تعالى ان يوصل اليه الثواب بالانعام فالانعام
يسمى رحمة وارادته بان يخصه بالقربة والاحوال العليه تسمى محبة
وارادته سبحانه صفة واحدة فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف
اسماؤها واذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم
النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبه وقوم قالوا
محبة الحق للعبد مدحه له وقوم قالوا وثناؤه عليه بالجميل
فيعود معنى محبته على هذا القول الى كلامه وكلامه قديم وقال
قوم محبته للعبد من صفات فعله وهو احسان مخصوص بلقاء
العبد به وحاله مخصوصة يرقيه اليها كما قال بعضهم ان رحمة
الله بالعبد نعمته معه وقوم من السلف قالوا محبته من الصفات
الخبرية فاطلقوا اللفظ وتوقفوا عن التفسير فاما ما عدا هذه

الجملة فهو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل الى الشي و
الاستيناس بالشئ وحاله يجدها المحب مع محبوبه من المخلوقين
فالقديم سبحانه وتعالى منزه عن ذلك واما محبة العبد لله تعالى
فحاله يجدها من قلبه تلطف عن العبارة وقد يحمله تلك الحاله
على التعظيم له وايثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج اليه
وعدم القرار بدونه ووجود الاستيناس بدوام ذكره له بقلبه
وليست محبة العبد له سبحانه متضمنه ميلا ولا احتظاظا كيف
وحقيقه الصمديه منزهه مقدسه عن اللحوق والدرك والاحاطه
والمحب بوصف الاستهلاك في المحبوب اولى منه بان يوصف
بالاحتظاظ انتهى كلامه وقيل ان محبتنا لله تعالى كيفيه روحانية تترتبه
على تصور الكمال المطلق الذي فيه على الاستمرار ومقتضيه للتوجه التام
الى حضرة القدس بلا فتور وقرار واما محبتنا لغيره فكيفيه تترتب
على تخيل كمال فيه من لذه او منفعه او مشاكله تخيلا مستمرا كمحبه
العاشق لمعشوقه والمنعم عليه لمنعمه والوالد لولده والصديق لصديقه
هذه اقاويل العلماء واما الشيوخ فقال القشيري قال بعضهم

المحبة الميل الدايم بالقلب الهايم وقيل المحبه ايثار المحبوب على
جميع المصحوب وقيل موافقه الحبيب في المشهد والمغيب وقيل
محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل معاطاة القلب
بمرادات الرب وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة الخدمة وقال
ابو يزيد البسطامي المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار
القليل من حبيبك وقال سهل الحب معانقه الطاعة ومباينه المخالفة
وسيل الجنيد عن المحبة فقال دخول صفات المحبوب على البدل
من صفات المحب اشار بهذا الى استيلاء ذكر المحبوب حتى لا يكون
الغالب على وقت المحب الا ذكر صفات المحبوب والتغافل بالكليه
عن صفات نفسه والاحساس لها وقال ابو علي الروذباري المحبة
الموافقه وقال ابو عبد الله القرشي المحبه ان تهب كلك لمن احببت
ولا يبقى لك منك شي وقال ابن عطا المحبة اقامه العتاب على الدوام
وقال الشبلي المحبة ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك وقال
ابن عطا المحبة اغصان تغرس في القلب فتثمر على قدر العقول
وقال الجنيد المحبة افراط الميل بلا نيل ويقال المحبة تشويش في القلوب

يقع من المحبوب ويقال المحبه فتنه تقع في الفواد من المراد وقال
الحارث المحاسبي المحبة ميلك الى الشي بكليتك ثم ايثارك
له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا
ثم علمك بتقصيرك في حبه وقيل المحبه نار في المحبوب يحرق
ما سوى المحبوب وقيل المحبه بذل المجهود والحبيب يفعل ما
يشاء وقال الثوري والمحبه هتك الاستار وكشف الاسرار
وقيل المحبة ما يمحو اثرك وقيل المحبة سكر لا يصحو صاحبه الا
بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند الشهود لا يوصف
ونقل غير هذا من الكلمات وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي
وسيل الشبلي عن المحبه فقال كاس لها وهج اذا استقر في
الحواس وسكن في النفوس تلاشت وقال القشيري سمعت
الاستاد ابا علي رحمه الله يقول العشق مجاوزة الحد في المحبة
فالحق سبحانه لا يوصف بانه تجاوز الحد فلا يوصف بالعشق
ولو جمع محابّ الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق
بفتح الميم وتشديد الباء جمع محبة منه
قدر الحق يعني ان قدر الحق تعالى عظيم فيستحق اكثر من ذلك

قال فلا يقال ان عبدا جاوز الحد في محبة الله فلا يوصف الحق
بانه يعشق ولا العبد في صفته سبحانه انه يعشق شيا ولا سبيل
له الى وصف الحق لا من الحق للعبد يعني بان يقول تعالى اني اعشق عبدي
ونحوه قال ولا من العبد للحق يعني بان يقول العبد ان الله تعالى
يعشق عبده ونحوه وسيل الشيخ عز الدين بن عبد السلام رح
فقيل هل يجوز للانسان ان يقول انا عاشق لله تعالى ان الله عاشقي
مستندا الى ما ذكر في بعض الكتب المنزله اذا نظرت الى قلب عبدي
فرايت الغالب عليه ذكري عشقني وعشقته وهل يمشي قول من
يقول لا يجوز ان يسمى الله الا بما سمى به نفسه وان العشق بمعنى الشهوه
والغلبة فلا يوصف الرب به واى فرق بين المحبة والعشق فاجاب رح
في فتاواه بانه لا يجوز ان ينسب الرب الى ان يعشق ويعشق لان العشق
فساد في الطبع يخيل لما لا وجود له قال الاطباء هو مرض سوداوي
وسواسي يجلبه صاحبه الى نفسه بالفكر في حسن الصور والشمايل
فمن اطلق هذا على محبة لله تعالى عزر واطلاقه على محبة الله اياه
اقبح واعظم فيعزر تعزيرا اعظم من تعزير من اطلق هذا اللفظ

على

على محبته لربه اذ لا يوصف الاله الا باوصاف الكمال ونعوت
الجلال التي ورد استعمالها في الشرع واختلف العلماء فيما كان
دليل على الكمال ولم يرد به الشرع فقال بعضهم لا يعبر عن ذاته
ولا عن صفاته الا بما عبر به عنهما وقال اخرون يجوز ذلك
اذا لم يثبت المنع منه في كتاب ولا سنه ومثال ذلك ان يقول الله
يعرف ويدري موضع قوله الله يعلم والفرق بين العشق والمحبة
ان العشق فساد في الطبع يخيل ان اوصاف المعشوق فوق ما هي عليه
ولا يتصور هذا في حق الاله الذي يرى الاشياء ويعلمها على ما هي
عليه وكذلك لا يطلق اي العشق على حب العبد الرب لاشعاره بان
يخيل العاشق فوق كمال المعشوق والله لا يقف احد على كماله فضلا
عن ان يتخيل فوق كماله انتهى وسيل الشيخ سراج الدين البلقيني عن قول
بعضهم ان العشق هو المحبة مع الشهوة فلا يجوز اطلاقه على الله تعالى
ورسوله صلعم فلا يقال عشقت الله ولا عشقت رسول الله صلعم
فاجاب رح بان الذي فسر به اهل اللغة العشق انه فرط المحبة اقول
وهو اسم من الافراط بمعنى مجاوزة الحد ويعني ولا باس باطلاق هذا

على الله تعالى لكن يجئ فيه قول الاستاد ابى على رح ان الله تعالى
لا يوصف بانه تجاوز الحد اى لحصول جميع كمالاته فى الازل الى
الابد فلا يوصف بالعشق لعبده وكذا لا يوصف العبد بالعشق
له تعالى فان محبات جميع الخلق لا يساوى قدره تعالى لعظمته
من ذلك فضلا عن مجاوزة حبهم عن الحب المساوى لقدره ويمكن
ان يكون المراد بعشقه تعالى لعبده وبالعكس غلبه المحبة وشدته
وقوته وكثرته وان كان مجازا ولا شك فى ان المحبة بين الله
تعالى وبين عباده الصالحين من الانبياء والاولياء كذلك وفى
قيام التفاوت فى ذلك بينهم ايضا اذ لا شك ان المحبه بينه
تعالى وبين نبينا صلعم اقوى واغلب مما بينه وبين ساير الانبيا
وكذا بينه تعالى وبين الانبياء اقوى مما بينه وبين الاولياء وكذا
بينه وبين بعض الانبياء او الاولياء فلا يخفى التفاوت بين اقدامهم
لكن يبقى الكلام فى انه هل يجوز ذلك الاطلاق فى حقه تعالى ام لا
وقد وقع من تاج العارفين ابى يزيد البسطامى اذ قال من قتلته محبته
فديته رؤيته ومن قتله عشقه فديته منادمته نقله شهاب الدين

السهروردى فى باب المحبة ولفظ العشق فى اشعار المتاخرين
من هذه الطايفه كثير شايع وسوف ياتى نبذة منها وقد صرح
فى بعض الرسايل المصنفه فى اصطلاحات الصوفيه بان المحبة
يطلقونها على المحبه التى تكون بغير سبب ولا علاقه وبدون حركة
مع الحق تعالى وان العشق يطلقونه على المحبه المفرطة وسكتوا
عن بيان معنى افراطه والظاهر انه هو ما ذكرناه من قبلنا والله اعلم
قال البلقينى وما ذكره المعترض من ان الحب مع الشهوه ولو سلم
له يقال غلبه شهوة الرويه او شهوه رضاه او شهوه الوصول
الى مقام العبوديه او نحو ذلك وليس فى شئ من ذلك ما يمنع
اطلاق قول الانسان منا عشقت الله على معنى احببته مع شهوتى
لرؤيته ونحو ذلك قال الله تعالى اخبارا عن الجنه وفيها ما تشتهى
الانفس وقال تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ومما
تشتهيه انفسهم رضى ربهم وصح عليه ص انه يقول لاهل الجنة احللت عليكم
رضوانى ولا اسخط عليكم بعده ابدا ولا يمتنع ان يقال عشقت رسول
الله صلعم بمعنى احببته واشتهى رؤيته ومجالسته ورضاه انتهى

وفي مناقب قطب الاقطاب الشيخ عبد القادر الجيلي رض انه
سئل عن المحبة فقال هي تشويش في القلوب يقع من المحبوب فتصير
الدنيا عليه كحلقة خاتم او مجمع ماتم والحب سكر لا صحو معه
وذكر لا محو معه وقلق لا سكون معه وخلوص للمحبوب بكل وجه
سرا وعلانيه بايثار اضطرار لا بايثار اختيار وبارادة خلقة
لا بارادة كلفة والحب العمى عن غير المحبوب غيرة عليه والعمى عن
المحبوب هيبة له فهو عمى كله والمحبون سكرى لا يصحون الا بمشاهدة
محبوبهم ومرضى لا يشفون الا بملاحظة مطلوبهم حيارى لا يانسون
بغير مولاهم ولا يلهجون بغير ذكره ولا يجيبون غير داعية
وفي هذا المعنى يقول مجنون ليلى الابيات التي اولها شعر

لقد لامني في حب ليلى اقاربي ... اخي وابن عمي وابن خالي وخاليا
فلو كنت اعمى اخبط الارض بالعصى ... اصم فنادتني اجبت المناديا
واخرج من بين البيوت لعلني ... احدث عنك النفس يا ليل خاليا
معذبتي لولاك ما كنت هايما ... ادور على الاطلال في البيد جاريا
فان يمنعوا ليلى وحسن حديثها ... فلن يمنعوا مني البكا والقوافيا

واشهد عند الله اني احبها ... وهذا لها عندي وما عندها ليا
احب من الاسماء ما وافق اسمها ... واشبهه ان كان منه مدانيا
يقول اناس على مجنون عامر ... يروم سلوا قلت انى اسا ليا

انتهى ما في المناقب ومن افراط الشغف الذي لا له طرف لم تجد
السلامة من حديث الملامة الشيخ ابن الفارض في حب الله
الغايض ايضا فقال شعر ادر ذكر من اهوى ولو بملامي

فان احاديث الحبيب مدامي ... ليشهد سمعي من احب وان نأى
بطرف ملام لا بطيف منامي ... ونومي مفقود وصبحي لك البقاء
وسهري موجود وشوقي نامي ... وعقدي وعهدي لم يحل ولم يحل
ووجدي وجدي والغرام غرامي ... ولم يبق مني الحب غير كآبة
وحزن وتبريح وفرط سقامي ... واما غرامي واصطباري وسلوتي
فلم يبق لي منهن غير اسامي ... بمن اهتدى في الحب لو رمت سلوة
وبي يقتدي في الحب كل امامي ... وقال ايضا

نسخت بحبي اية العشق من قبلي ... واهل الهوى جندي وحكمي على الكل
وكل فتى يهوى فاني امامه ... واني برئ من فتى سامع العزل

ولی في الهوی علم تجل صفاته   ومن لم يفقهه الهوی فهو في جهل
ومن لم يكن في عزة الحب تايها   بحب الذي يهوی فبشره بالذل
اذا جاد اقوام بمال رايتهم   يجودون بالارواح منهم بلا بخل
وان اودعوا سرا رايتهم صدورهم   قبور الاسرار تنزه عن نقل
وان هددوا بالهجر ماتوا مخافة   وان اودعوا بالقتل حنوا الی القتل
لعمري هم العشاق عندي حقيقة   علی الجد والباقون عندي علی الهزل
فللعشق اهل اشغلتهم فتوة   عن الصحب والخلان والمال والاهل
وانشد مولانا ومولی العاشقين جلال الدين الرومي قدس الله
روحه فقال شعر   ای عاشقان ای عاشقان پیمانه را گم کرده ام
زان می که در پیمانها اندر نگنجد خورده ام
مستم زخمر من لدن رو محتسب را غمز کن
من محتسب را وترا هم چاشنی آورده ام
ای نان طلب در من نگر والله که مستم بی خبر
نی کود خمی کشته ام نی شیرهٔ افشرده ام
مستم ولی از روی او غرقم ولی در جوی او

از قند و از گلزار او چون گلشکر پرورده ام
در جام می ویختم اندیشه را خون ریختم
با یار خود آمیختم زیرا درون پرده ام
دوران کنون دوران من گردان کنون حیران من
در لامکان سیران من فرمان زخان آورده ام
در جسم من جان دگر در جان من خان دگر
با آن من آن دگر زیرا با آن پی برده ام وانشد هو ایضا فقال
مرا اگر تو نخواهی منت بجان خواهم   وگر درم نگشایی مقیم درگاهم
چو ماهیم که بیفکند موج بیرونش   بغیر آب نباشد پناه ودلخواهم
کجا روم بسر خویشتن دلی دارم   من و تن و دل من سایهٔ شهنشاهم
بتوست بیخودیم گر خراب و سرمستم   بتوست آگهیٔ من اگر من آگاهم
نه دلربام تو پی کر مرا دل باقیست   نه کهربام تو پی کر مثل پر کاهم
نه از حلاوت حلوای بی حد لب تست   که چون کلیچه فتاده کنون در افواهم
زهر دو عالم پهلوی خود تهی کردم   چو هی نشسته بپهلوی لام اللهم
ز جاه و سلطنت و سروری نیندیشم   بس است دولت عشق تو منصب و جاهم

اکرچه کاملی و بیکاه خیز قافله‌ام   بسوی تست سفرهای کاه و بیکاهم
براجو ماه تمام و تمام این تو بکو   که زیر عقدهٔ ضجرت بمانده جون کاهم

وانشد ایضا

کرخمار آرد صداعی بر سر سودای عشق   در رسد در حین مدد از ساقی صهبای عشق
ور بدزد طبل شادی لشکر عشاق را   مژدهٔ انا فتحنا در دمد سرنای عشق
زیر انداز کام عاشق شهد کرده در زمان   زان شکرهایی که روید هردم از نیهای عشق
بکزمان ابری بباید تا بپوشد ماه را   ابر را در حین بسوزد برق جان افزای عشق
در میان ریك سوزان در طریق بادیه   بانکهای رعد بینی میزند سقای عشق
ساقیا از بهر جانت ساغری بر خلق ریز   یا صلا در ده بسوی قامت بالای عشق
شمس تبریز ار بتابد از قباب رشك حق   قبهای موج خیزد آن دم از دریای عشق

وانشد الشیخ العطار رح فقال

بیا که قبله ما کوشهٔ خراباتست   بیار باده که عاشق نه مرد طاماتست
دران مقام که جانهای عاشقان خون شد   جه جای دُرد فروشان دَرد آفاتست
کسی که دیرنشین مغان بود بیوست   جه مرد زهد و جه شایستهٔ عباداتست
مکو ز خرقه و تسبیح از انکه این دل ما   میان به بسته بزنار در خراباتست
زنیك و از بد و کفر و ز دین و علم و عمل   برون کذر که برون این بسی مقاماتست
جه داند انکه نداند که جیست لذهٔ عشق   از انکه لذت عاشق ورای لذاتست
اکر دمی بمقامات عاشقان برسی   شود یقینت که جز عاشقی خرافاتست
مقام عاشقی از هر دو کون بیرونست   که حلقهٔ در معشوق ما کراماتست
بنوش درد و فنا شو اکر بقا خواهی   که زاد راه فنا دردی خراباتست
بکوی نفی فرو شو جنانکه بر نایی   که کرد دایرهٔ نفی عین اثباتست
نکه مکن بدو عالم ازانکه درره دوست   هر انجه هست بجز دوست عزی و لاتست
بیالهٔ دو بمن ده که صبح بردهٔ درید   بیادهٔ دو فرو کن که کاه شهماتست
بباز هر دو جهان را بجان که سود کنی   ازانکه درره دین این قدر مباهاتست
زهر دو کون فنا شو درین رهٔ ای عطار   که باقی رهٔ عشاق فانی ذاتست

وانشد ایضا فقال

جون شراب عشق در دل کار کرد   دل ز مستی بیخودی بسیار کرد
شورشی اندر نهاد دل فتاد   دل دران شورش هوای یار کرد
جامهٔ در یوزه بر آتش نهاد   خرقهٔ بیروزه با زنار کرد
هم ز فقر خویشتن بیزار شد   هم ز زهد خویش استغفار کرد

ان نکوییها که در اسلام یافت   بر سر جمع مغان ایثار کرد

از پی یکقطره دُرد دَرد دوست   روی اندر کوشهٔ خمار کرد

چون بدوخت از هر دو عالم دیده را   در میان بیخودی دیدار کرد

هستی خود زیر پا آورد پست   در بکند و دست در اسرار کرد

انچه یافت از یاری عطار یافت   وانچه کرد از یاری عطار کرد

وانشد الشیخ محمد الخراسانی المعروف بالمغربی فقال

انجنانم زجام عشق خراب   که ندانم سراب را ز شراب

مدتی شد که فارغ آمده ایم   از امید نعیم و بیم عقاب

نه منعّم شناسم و نه نعیم   نه معذب شناسم و نه عذاب

انکه حیران و مست و مدهوش است   جه خبر دارد از ثواب و عقاب

من که از رفع و نصب بی خبرم   کس ز من جون طلب کند اعراب

عشق را عقل جون بدید بگفت   حان وقت الرحیل یا احباب

اول و آخر جهان عشقست   بلکه جز او نمایشست و سراب

نسبت عشق جونکه غالب شد   مضمحل کشت اندر و انساب

غیر سلطان عشق هیچ کسی   لمن الملک را نداد جواب

تیغ در دست ترکی سر مست   احذروا منه یا اولی الالباب

وله ایضاً

چنان مستم چنان مستم چنان مست   که نه یادانم از سر نه سر از دست

جز انکس را که مست از جام اویم   ندانم در جهان هرگز کسی هست

بکلی خواهم از خود کشت بیخود   اکر باده دهد ساقی ازین دست

ز بالا و ز پستی در کذشتم   کنون پیشم نه بالا ماند نه پست

دکر در مشرق و مغرب نکنجد   جو ذات مغربی از مغربی رست

وله ایضاً

ای حسن تو در آینهٔ صورت و معنی   بر دیدهٔ ارباب نظر کرده تجلی

چشم تو شده بهر تماشای رخ خویش   از دیدهٔ مجنون نکران در رخ لیلی

در مملکت حسن جو غیر از تو کسی نیست   وقتست که کویی لمن الملک بدعوی

با جهرهٔ زیبای تو و قامت رعنا   هرگز نکند دل هوس روضه و طوبی

کر نور تجلّی تو بر نار بتابد   دوزخ شود از پرتو آن جنت اعلی

از جنت و از نار بود فارغ و آزاد   انکس که ندارد خبر از دنیی و عقبی

بر طور تو از نور تجلّی تو بیهوش   افتاده هزارند بهر سوی جو موسی

روی تو عیانست ولیکن چه توان کرد ادراک اگر می نکند دیدهٔ اعمی
در مکتب او مغربی از نقش دو عالم چون لوح فروشست نوشتند الف بی

وانشد الشیخ الحسینی رح فقال

ای حسن تو در مملکت صورت و معنی در داده ندای لمن الملک بدعوی
هر جا که رسد بوی تو حقا که نماند یک گوشه نشین بر سر سجادهٔ تقوی
ما هر دو جهان وقف سر کوی تو کردیم در دل تو وانکه سخن دنی و عقبی
مشغول ترا وسوسهٔ علم و عمل نیست در سینهٔ مجنون مطلب جز غم لیلی
حقا که گدایان سر کوی تو ندهند یکذرّه غمت را بهمه دولت کسری
ای شمع چو بر سینهٔ پروانه زدی زخم بگذار که جان دادن او پیش تو اولی
وصل تو نشد قسم حسینی چه توان کرد از نور کجا بهره برد دیدهٔ اعمی

وله ایضا

درد عاشق را دوایی دیگراست نقد مردانرا بهایی دیگراست
عقل را با اهل این معنی چه کار این سخن را ماجرایی دیگراست
کفر و دین هر دو حجاب این رهند منزل عاشق بجایی دیگراست
مفلسانرا حور و غلمان داده اند عشق بازانرا عطایی دیگراست

خوب رویان آفت جان و دلند جعد مشکینشان بلایی دیگراست
شب روانرا از لب شیرین او هر سحر که مرحبایی دیگراست
عاشقی نی کار هر بیگانه ایست اندرین بحر آشنایی دیگراست
خلق عالم زنده از جانند لیک این عزیزانرا بقایی دیگراست
درس و فتوی کار هر بیگانه ایست در طریقت پیشوایی دیگراست
خودنمایان گفت و گویی میکنند خود حسینی را هوایی دیگراست

وله ایضا

وقت آن آمد که مستی را صلایی در دهیم
ننگ و نام و گفت و گوی خلق را یکسو نهیم
پایمال دل کنیم این نفس دون را هر نفس
آتش اندر خود زنیم از محنت خود وارهیم
قصّه کوته کن حجاب راه ما هم بود ماست
بو که یکدم چون نفس زین تنگنا بیرون جهیم
بر سریر فقر ما را شد میسر ملک عشق
ما سران نی کلاه و شاه بی لشکر کهیم

سالها شد کاندرین وادی مسافر گشته ایم
عمرها بگذشت و نامد منزل و ما در رهیم
تا بسر نایم نیاید راه ما هرگز بسر
این قدر از طول و عرض این بیابان آگهیم
هان حسینی غم مخور مصر حقیقت زان ماست
گرچه روزی چند چون یوسف درین قعر چهیم

وانشد خواجه عماد الدین رح فقال

من از سر همه عالم گذشتم الا دوست   نعیم دنیی و عقبی ترا و ما را دوست
مراد هر دو جهان میکنند بر ما عرض   دل از میان همه میکند تمنا دوست
نماند خالی از و موئی از سرم تا پای   فرو گرفت بیک بار زیر و بالا دوست
طواف کعبهٔ دل کن که هست خانهٔ او   نه هر کجا که کنی فرض باشد آنجا دوست
عماد دل شده را نیست حاصلی از عمر   مگر دمی که بر آید بکام دل با دوست

وانشد هو ایضا فقال

ای ز رخت نقطهٔ دایرهٔ آفتاب   وز گره سنبلت غالیه در پیچ و تاب
ما نتوانیم بست نقش تو جز در خیال   ما نتوانیم دید روی تو الا بخواب

باتو

با تو نشاید مرا لاف ز هستی زدن   زانکه ندارد وجود سایه بر آفتاب
دیده چو خورشید دید گفت مگر روی تست   آب تصور کند تشنه که بیند سراب
در مرض عشق تو بس که ز خود میروم   دیده زند دم بدم بر رخ زردم گلاب
جامهٔ ما شد خراب از اثر خون جام   دیده بر آرد مگر خرقهٔ ما را بآب
دوش ببزم عماد مدعی رفت و گفت   زاهد و آواز چنگ صوفی و جام شراب

وانشد الشیخ الحقیقی بابا یوسف بن الشیخ حمید رض بالترکی فقال شعر

یغمایه ویرپ خان و مان من عشق جانان مستیم
ترک ایتمشم عقل و جان من عشق جانان مستیم
بصدم قدم جان فرقنه صوفیی قودم زرقنه
بیندم محبت برقنه من عشق جانان مستیم
نوش ایلیپ دریالری بوشلدو بن صحرالری
قینتمشم سودالری من عشق جانان مستیم
بو دنیه معمور اولمدین هم موسیه طور اولمدین
بو آب انکور اولمدین من عشق جانان مستیم
نه واردی کون و مکان نه انس ادی وردی نه جان

عاشق اولپ دیداره جان من عشق جانان مستیم
عاقل یودی سن یولکا قولی دکولم قولکا
دی هرنه دیرسك قولکا من عشق جانان مستیم
زرقومی قل بوخلقه فاش تاقلیه بغزکده باش
آت آنه بلدو کلجه طاش من عشق جانان مستیم
یوخ باکه کمسادن قیو هرنه دسه بیلوایو
بن نه ایسم اصلود لو من عشق جانان مستیم
جون شعلهٔ نوراحد اردی حقیقیه مدد
بلکم ازلدن تاابد من عشق جانان مستیم
وانشد ایضا فقال بزخراباتینه عشقك مست وشیدا کلمشوز
سکرله افتان وخیزان بی سروپا کلمشوز
چکمشوز قالوا بلی ده جرعهٔ جام الست
غرقهٔ دریای صهبای تجلا کلمشوز
زورق عقلیله هیچ قاچن احاطه ایده سن
سن بورازی عشق جوشیله جودریا کلمشوز

ای ملامت کو بزی سن سویلمك حاجت دکل
بزخرابات حقا یقدن چورسوا کلمشوز
هیچ قوارلق دفترن یویانه نه نام ونه ننك
محو اولپ ذات وصفتدن جون مبرّا کلمشوز
بیزه کثرت وارلغن طویمق بلا وغم بیتر
جونکه وحدت عالمنده فرد وتنها کلمشوز
جاه چاهی ظلمتنده قلدك ای صورت پرست
قلمدك فهم آنی کم بزسرّ ومعنا کلمشوز
عجب اوی دیوارنی کوترکا ولا روشن سکا
کم جمالی پرتوندن عالم آرا کلمشوز
ایرلی عشق ای حقیقی شوق اودیدر زادمز
دردی خواندن ازلدن جون مربّا کلمشوز
وانشد الشیخ عبد الکریم فقال
هر زمان کو کلم اوبن ویران ادر غوغای عشق
دار زلفنده بنی عریان ادر سودای عشق

طاشه چالدم عقل الندن شیشهٔ ناموس جون
لاابالی اولمشم درلو بکا رسوای عشق
دوست مرآتینه کافودرقلن اکری نظر
لمعهٔ نور تجلّی کورنه دربینای عشق
صدهزاران زاهد درماندیه ارشادادر
کوشهٔ میخانهٔ ده سرمست اولن شیدای عشق
معرفت بازارنه صرّاف اولالی خاتمی
درلرین دیوان ودفترایلدی دریای عشق

وانشد هوایضا فقال

ندندر حسنك ای دلبر جهانی صالدی یغمایه
کوزکدن فتنه لر قوپدی کوکل اولشدی سودایه
یوزك بیت الحرامنده قشلك محرابنه قرشو
کوکل هردم نمازایلر عروج اتمشدر اقصایه
جمالك نقشنی ابوار اسمادن کورن سالك
قشکده قاب قوسینی کورر سیرایدر ادنایه

جمالك رمزن ای دلبر دل دیوانه دن صورکم
تصوردن نظر اهلی نه تصدیق اتسن اسمایه
کریمی بی قرار اولدوغنی معذور طوت جانا
که عشقك حکمی ور مشدر متاع عقلی یغمایه

وانشد غیره فقال

لوح دل آینهٔ دیدار در | کنج سینه مخزن اسرار در
کلشن حسنی قتنده دلبرك | حسن عالم کل دکل بل خار در
مست اولنلر جام وحدتدن مدام | ساکن خمخانهٔ خمّار در
بومظاهرده ظهورینه حقك | کرچه محجوبین اشی انکار در
اهل کشفك لیك بواکوانده | قنده بقسه منظری دیدار در
مرشدم عشقکدر ارشادم طریق | بوندهٔ مفتیٔ عقل بیکار در
ماسوایی سنی دلده قومه کم | حقدن اوزکه هرنه ورسه اغیار در

وقد وقع من العبد الضعیف ایضا شعر بالترکی یناسب ایراده بهذا المقام وهو

ینه بر آتش اولدی جانده پیدا | که جوش ایتدی کوکل مانند دریا
ینه بو نام ونکك دفترینی | صلوب دریایه دیلر کاوله رسوا

بنه دیوانهٔ سودای عشقم بکا غوغای عالمدن نه پروا
بنه بر درد اولبدر دلده ظاهر دوا بلمز اکا هرگز اطبا
غمک اکنومه بر کسوت کبودی پلاس اولدی بکا بو جمله دیبا
دلی زیر و زبر قیلالی عشقک قمو یکسان اندرآکه زیر و بالا
حریمی سرّنی فاش ایدرم فاش نه بیلور مست اولن عاشق مدارا

ووقع شعر آخر وهو

دلده جوش ایدی بنه سودای عشق عالمی غرق ایدسه دریای عشق
چقدی کوشمدن صداسی عالمک باده وردی باشمه غوغای عشق
بادهٔ عشقی چو پر نوش ایدی دل نفع وضردن اولدی بی پروای عشق
قومیوب دلده قرار و جانده صبر بنه سرکردان کزر بی جای عشق
سرّ عشقی کمسنه کتم ایده مز پس حریمی اوللم رسوای عشق

ووقع شعر آخر وهو

طوللدن عالمه غوغای لیلی بنی مجنون ادر سودای لیلی
خراب و مست اولبدر ساقی عیشق صونلدن جانه بر صهبای لیلی
کوزمدن قطره قطره دوکلن یاش اولیسر جمع اولپ دریای لیلی

جهان اندیشه سندن پاک اولالی دل کاولا تا زاویک ماوای لیلی
حریمیدن اثر قلمادی لا همان شوقیله هوی وهای لیلی

ووقع آخر ایضا وهو

بنه دوشدی دل اوزکه سودا بنه وردی بو قورو باشی غوغایه
کوزمدن شویله چقدی بنه عالم دل وجان وجهان هپ کتدی یغمایه
دلک شمدن کرو بندن کسر ای ناصح که چشم و کوش کتدی بر دخی جایه
کلن تخمیر ادرکن بن ضعیفنک خمیر عشقی امش چلد قلری مایه
انکچون لنکر دل قندا یلشسه چکر حبل ودادک آنی دریایه
اولم عشقک یولنده لاابالی کم کمسنه التفات اتمایه رسوایه
جمالک شوقنه جانی حریمنک قلوپدر قلبچه قتلنمایه فدایه

ووقع آخر ایضا وهو

عاشق اولدم اول جماله اسردم همچون جمل
شکردن هرگز افاقت بولمغه یوق محتمل
بولمدی چونکم طبیبان درد عشقومه علاج
وصل خورشیده کوز ادراولدی جان بر جمل

غم دکلا ای عاشقان جمع ملامتدر صلا
عاشقك ناموسنه رسوایلق ودرمز خللا

درد عشقکدن شود کلواقدی اشکم قلمدی
حجرهٔ چشمم صولاماغه قباغمده بلللا

ای حریمی کعبهٔ کویی حریمی راهنه
بص قدم محکم حذر قلمکسه ورمایه زللا

ووقع آخر ایضا وهو

عشقکك دریاسنك جون دشمشم کردابنه
وقت در بوتشنه دل ایره وصالك آبنه

قومدی نالم ربابی راحت جان برنفس
هر یکا دوران ادردونپ یشم سیلابنه

سلطنت دیرینه عالمده روان اولامی شول
دلکه بر رکعت نمازایده قشلك محرابنه

کوزکه اول نور تجلیکه نظر قیلب سنك
التفات ایده جهانه غرق اولا قوخوابنه

بوحریمی جاننه جورك بچاغنی کارایدپ
نفسنی تسلیم قلدی عشقکك قصابنه

ووقع آخر ایضا وهو

شول کوکلکم عشقکك ناریله پرنور اولمدی
پرتو حسنك تجلی سینه اول طور اولمدی

ای کوکل شاد اول غم عشقیله کم هر کسده
بو غم اولمادی اکی عالمده مسرور اولمدی

خاك اولا اول سر که باد عشقه پران اولمیا
چاك اولا اول سینه کم عشقیله تنور اولمدی

دش خراباتینه عشقینك بو عالم خلقنه
ای دل دیوانه احوالك جو معزور اولمدی

ای حریمی خانمان قل پیشکش درکاهنه
اولجنابه جونکه هر درویشه دستور اولمدی

وقد قال دلیل دیننا وشفیع ذنبنا وطبیب قلبنا وحبیب ربنا
محمد المصطفی صلعم اصدق کلمة قالها الشاعر کلمة لبید

الا كل شیء ما خلا الله باطل، رواه البخاری عن روایه ابی هریرة رض
وفیه اشارة الی ما ذکره حجة الاسلام الغزالی فی مشکوة الانوار
فقال العارفون بعد العروج الی سماء الحقیقه اتفقوا علی
انهم لم یروا فی الوجود الا الواحد الحق لکن منهم من کانت له
هذه الحاله عرفانا علمیا ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقیا
وانتفت عنهم الکثرة بالکلیه واستغرقوا بالفردانیة المحضه
فصاروا کالمبهوتین فیه ولم یبق فیهم متسع لا لذکر غیر الله
ولا لذکر انفسهم ایضا فلم یکن عندهم الا الله فسکروا سکرا
وقع دونه سلطان عقولهم فقال احدهم انا الحق وقال الاخر
سبحانی ما اعظم شانی وقال ما فی الجبة الا الله وکلام العشاق
فی حال السکر یطوی ولا یحکی فلما خف عنهم سکرهم ردوا الی
سلطان العقل الذی هو میزان الله فی ارضه عرفوا ان ذلك
لم یکن حقیقه الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل قول العاشق فی حال
فرط عشقه شعر انا من اهوی ومن اهوی انا، نحن روحان حللنا بدنا
فلا یبعد ان یفاجئ الانسان مرآة فینظر فیها ولا یری المراة قط

بالفتح بالضم ای تقابل بغتة

فیظن ان الصورة التی یراها هی صورة المراة متحدة بها ویری الخمر
فی الزجاج فیظن ان الخمر لون الزجاجة واذا صار ذلك عنده
مالوفا ورسخ فیه قدمه استغفر وقال شعر رق الزجاج
ورقت الخمر، فتشابها فتشاکل الامر، فکانه خمر ولا قدح
وکانما قدح ولا خمر، وفرق بین ان یقول الخمر قدح وبین ان یقول
کانه قدح وهذه الحالة اذا غلبت سمیت بالاضافة الی صاحب
الحاله فناء بل فناء الفناء لانه فنی عن نفسه وفنی عن فنایه لانه
لیس یشعر بنفسه فی تلك الحاله ولا بعدم شعوره ولو شعر
بعدم شعوره بنفسه لکان قد شعر بنفسه ویسمی هذه الحالة
بالاضافة الی المستغرق به بلسان المجاز اتحادا وبلسان الحقیقة
توحیدا ووراء هذه الحقایق ایضا اسرار یطول الخوض فیها
نقد ما ذکره ویناسب المقام انشاد ما قال بعضهم
نظر هر قنده کم قلسم جمال حسن مولیدر
کوزومه کورنن اندن مکر نور تجلیدر
کورك اول یا ربی همتا بنی مجنون قلور هردم

بنفسه صح

مصور كوزده ودلده خيال نقش لبليدر
بو بنليكم حجابندن جهنم كور نور عالم
ولى وصلت صفاسندن يرم فردوس اعليدر
كداى مفلسم كرجه نظر كوكلومه قل ليكن
بشمده عشق سوداسى صناسن تاج كسريدر
سرايى كوكلت اوينى مقام حقدر بلدك
صقنغل كرمسن اكا شونى كم دوست غيريدر
وقال مولانا القريمى رح
كنت كنزك پرده سندن جلوه قلدى اول نكار
بو وجودم كاربانن بردم اتدى تار ومار
اولمشم جون رند وقلاش خرابات مغان
لا ابالى طاشه چلدم جمله بو ناموس وعار
نيچه بور عنا اونده فقه وتفسير وحديث
اوقيالم دفتر عشقى اولالم زار زار
وصلتك خمخانه سنده عز وجاهك جبه سن

رهن ادوبن جام عشقى نوش ادالم بى قرار
منبر عشق اوزره كلزار جمالك شوقنه
بو قريمى بلبلك افغان ادربى اختيار
واذا انتهى الكلام الى هذا المقام فقد حار الحايرون ووله الوالهون ولو كره الكارهون ولامنا اللايمون فنعم الملجاء لاهل الشوق لكم ذوقكم ولنا الذوق ومن لم يحركه الحب واشعاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج وليس له علاج وقد يترقى الفيضان من جانب الرحمان فيجتذب نفس الانسان مع انه لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد فترفض الدنيا بزخارفها الفضية وترجع الى ربها راضية مرضية فتعرض عليه الشكوى من الم البلوى بحالة الاشتياق في عالم الفراق بما قاله العارف بالله ابن الكيزانى بيت واذا الاق بالمحب الغرام فكذا الوصل بالحبيب يليق ومما قاله العبد الفقير الى رحمة الرب الكبير
ابتلى قلبى بداء الحب لا يبغى طبيبا اذ دواء الحب وصل وسوان كان نصيبا
ذاب من نار الهوى قلبى مع الجارى دما في الخدود قد اتاكاسا يلا فارحم غريبا

ويناسب هذا المقام انشاد شعر قاله العبد الفقير ايضا بالتركي وهو

اى كوكل حالت ندر كم بويله زار اولدك ينه
بلبل شوق كل روى نكار اولدك ينه
بوى وصلتى ارشمشدر دماغوكه بكون
حسرتنده جوشه كالبى قرار اولدك ينه
وعدهٔ قربتى ارمشدر قولاغوكه سنك
موت احمر حالتنده انتظار اولدك ينه
آدى وى عالم وحدتمى قلدك ينه كم
جان ودلدن بويله كثرتدن نجار اولدك ينه
اى حريمى قلدى عقلت برنفس جمع اولمدن
جونكه درد عشق راهنده غبار اولدك ينه

وانشاد ما قاله الشيخ عبد الكريم رح

شول قدر طولدى بو كوكلم كنجنه خونابلر
كم كرومتك ياشنى دوكمتيه دولابلر
غيرحق بصمامغجون عرش عزتده قدم

كبرياسينك

183

كبرياسينك حريمنده قونمشدر قوابلر
وصلتك عيدنده بن بيچارهٔ قربانجون
هرطرفدن حاضر اتمش غمزه دن قصابلر
دل يوزينه قرشو بر ركعت نمازا تماجون
ترك ادر بدر صدهزاران مسجد ومحرابلر
مطبخ عشقه كباب اولدوغنه شاهد يتر
خاتمده روى زرد اوستنده كى سيمابلر

اذا عرفت جملة ما ذكرناه فقد ظهر عندك وجوب ترك الامارة على عشقا وعقلا وشرعا بلا شك وشبهة ثم نزيد ما يؤيدات للمطلوب فنقول اعلم انه لا يخلو غالبا نفس الانسان اذا ترفع بتولى الامور من تكتسب التكبر والتعظم والتجبر ويشير اليه حديث ابن مسعود رض قال قال رسول الله صلعم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا رواه الترمذي وقال حديث حسن قال صاحب المشكاة ورواه البيهقي في شعب الايمان وذلك فانه اذا تولد الرغبة في الدنيا من اتخاذ الضيعة فلاجرم يتولد من الرغبة فيها

وانشاد ما قاله هو ايضا

صبحدم نالانكن بو درده درمان ايله كل
يوزكى كستر بكا كفرومى ايمان ايله كل
دار كهنه فراقك نارنه طب تقوينى
وحدتك نورينى دل كنجينه مهمان ايله كل
قطره ئى كم كوزلرم سيلندن اقر يوزمه
زورق تن سيريجون بحرعمان ايله كل
نار هجركه خليل اولب يناردم صبح وشام
خار وخسدن قورتروب جودم كلستان ايله كل

تحصيلها واذا حصلت فلا بد من طلب الترقي فيها لا الى نهاية
وحب الترقي يلزمه بغض كل مرتبه وصل اليها واستحقاره
وهو ملزوم للتكبر والتجبر ان لم يكن هو هو ثم ان الله تعالى
يقول وخاب كل جبار عنيد من وراية جهنم ويسقى من ماء صديد
يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
ومن ورايه عذاب غليظ وعن ابن مسعود رض قال قال رسول الله
صلعم لا يدخل الجنه من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر رواه
مسلم وعن ابي هريره رض قال قال رسول الله صلعم ثلثه لا يكلمهم
الله يوم القيامة ولا يزكيهم وفي روايه ولا ينظر اليهم ولهم
عذاب اليم شيخ زان وملك كذاب وعايل مستكبر رواه مسلم
ايضا وعن حارثه بن وهب الخزاعي رض يقول سمعت النبي صلعم
يقول الا اخبركم باهل الجنه كل ضعيف متضعف لو اقسم
على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ متكبر
رواه البخاري والترمذي وقال حديث حسن صحيح وروى الترمذي
ايضا عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم يخرج عنقا

من النار يوم القيامة لها عينان يبصران واذنان يسمعان
ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاثه بكل جبار عنيد وكل من
دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال حديث حسن صحيح
وعن ابي هريرة رض ايضا قال قال رسول الله صلعم يقول الله تعالى
الكبريآء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما ادخلته
النار وفي روايه قذفته في النار رواه مسلم وعن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عن رسول الله صلعم قال يحشر المتكبرون
امثال الذر يوم القيامه في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان
يساقون الى سجن جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من
عصارة اهل النار طينه الخبال رواه الترمذي وقال حديث
حسن وعن عبد الله بن عمرو رض عن رسول الله صلعم قال من كان في
قلبه مثقال حبة من كبر اكبّه الله في النار على وجهه رواه احمد
والبيهقي من طريقه باسناد صحيح على ما قاله زين الدين العراقي في
تخريج احاديث الاحيآء وعن ابي هريرة رض عن رسول الله صلعم
قال تحاجت الجنه والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين

يقال الصواب كبه الله فانه هو المتعدي من فعل
هذه المادة واكب من باب الاكرام لازم كاكب ويقال
هو اكبه الله وهو صحيح من باب حذف الجار وايصال الفعل
المعنى والاصل اكب به الله اقول ويجوز ان يكون
اكبه هنا متعديا بغير احتياج الى حذف الجر فان طريق
معرفة اللغة النقل الصحيح وتتبع موارد الاستعمال فوقوع
هذا في الحديث الصحيح بمنزلة النقل من النبي صلعم عن
اهل اللغة ولا يعلمون نقله صلعم نقلا واما
جعله من باب حذف الجار فغير مرضي لانه
خلاف الاصل لا يصار اليه الا لضرورة
ولا ضرورة هنا وبالله التوفيق
منه

الحديث رواه البخاري ومسلم وعلى كل حال ففضل الفقر على الغنا
فضلا عن تولى الاعمال في الدنيا متقرر عقلا وشرعا اما عقلا
فلان الغنا سبب بغض الناس جميعهم او بعضهم صاحبه وعداوتهم
له وحسدهم اياه وغيرتهم على ما حصل له من الملك والمال
وقوة نفاذ المقال وقد نقل محمد الشهرستاني في الملل والنحل
عن بقراط انه قال الامن مع الفقر خير من الغنا مع الخوف و
نقل هو ايضا عن ذينون بن ماوس انه راى فتى على شاطئ البحر
محزونا يتلهف على الدنيا فقال له يا فتى ما يلهفك على الدنيا
لو كنت في غاية الغنا وانت راكب لجة البحر قد انكسرت السفينه واشرفت
على الغرق كانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما في يدك
قال نعم قال ولو كنت ملكا على الدنيا واحاط بك من يريد قتلك
كان مرادك النجاة من يده قال نعم قال فانت الغنى وانت الملك
الآن فتسلى الفتى ونقل عنه ايضا انه قال محبه المال وتد الشر
لان ساير الافات تتعلق بها ومحبه الشرف وتد العيوب لان
ساير العيوب متعلقه بها وقال اذا ادركت الدنيا الهارب منها

جرحته

جرحته واذا ادركها الطالب لها قتلته ونقل صاحب غرر السير
ان من مراثى اسكندر بن فيلقوس الرومي قول بليناس مالك
لا تُقلّ عضوا من اعضائك وقد كنت تستقل ممالك العباد
والبلاد وقول طوبيقا ما ينبغي لك كل ذلك التجبر امس مع كل
هذا الخضوع اليوم وقول بعضهم الآن علمنا انك ولدت للموت
وبنيت للخراب وقول اخر قد جبت الارض الطويله العريضه
حتى ملكتها ثم حصلت منها في اربع ذراع وقول آخر استرحت
من اشغال الدنيا فانظر كيف تستريح من اهوال الاخره ونقل
الشهرستاني عن افلاطون الثاني انه قال في مرثيته ايها الساعي
المغتصب جمعت ما خذلك وتوليت ما تولى عنك فلزمك اوزاره
وعاد على غيرك مهناه وثماره ونقل صاحب الغرر ان اسكندر
سار في الهند الى ارض قوم ضعفاء فقراء وقال لهم انكم قوم لا تؤذون
الناس ومن حقكم ان لا تؤذوا وان تعطوا فاسئلوني ما شئتم قالوا
نسالك الخلد قال كيف يخلد من كتب عليه الموت قالوا ان كنت
تعلم ان لا خلد لبشر فما تريد من قتال الناس واراقة دمائهم

واخذ اموالهم وغزوهم فی دیارهم واخافة نسایهم وصبیانهم
افرایت ان ملکت الارض ومن وما علیها الست تموت عن قلیل
وتترکها وتحتقب اوزارها فقال صدقتم ولکنی عبد الله ومامور
افعل ما افعله وادع ما ادعه بقضایه ومشیته وانتقم من اعدایه
وابقی علی اولیایه ولا مردّ لامره ولا مدفع لحکمه وکلنا له وبه قال
صاحب الغرر وبلغنی انّ المامون قال لما سمع قول الاسکندر
هذا قدیما کان الاجبار دین الملوك انتهی اقول ویخرج من هذا
اتجاه قول ذلك القوم حیث لا یکون الاحکام السلطانیه موافقة
للشرع ولا یتم للجهاد ارکانه وشروطه الشرعیة کما فی زماننا واما
القتال الواقع بین المسلمین علی طلب الملك والمال فلا یخفی اثمه
وخسرانه فی الدنیا والاخرة ولکن اکثرهم صم بکم عمی فهم لا یعقلون
وجمع الشیخ یونس امره معانی کثیره من هذا الباب فی شعر له علی طریقته
فقال بالترکی سن بو جهان ملکنی قافدن قافه طوتدك طوت
یه بو عالم نقدنی اوینیوبن اوتدك طوت
سن سلیمان تختنده شاه اولباوتردك بل

دیوه پریه دیدزسن حکملر اتدك طوت
فریدون خزینه سن نوشبن روان کنجله
قارون مالنه قاتب سن مالکه قتدك طوت
بو دنیا برلقمه در اغزکده چینمش بلن
چینمشه نه طورمق یالمنوبن یوتدك طوت
عمرك شویله اوق کبی یای اجنده طو بطلو
طولمش اوقه نه طورمق ها سن انی اتدك طوت
هردم که نفس کلور اول کسکدن اکسلور
جون کسلك اورتلندی سن انی دوکتدك طوت
آخر بر کون اولرسن اولمروارد بلورسن
قاموسندن ایرلب وارب سنده یاتدك طوت
جون دکزه غرق اولدك بو غزوکه کلدی صو
دلوکبی طالبنمه ای بیچاره باتدك طوت
یوزبك یل خوشلغله عمرك اولرسه یونس
صولك اوجی بر نفسدر کج اوندن اوتدك طوت

واما شرعا فلقوله سبحانه وتعالى للفقرآء الذين اخرجوا
من ديارهم وقوله تعالى للفقرآ الذين احصروا في سبيل الله
لا يستطيعون ضربا في الارض قال ابو طالب المكي في قوت القلوب
فقدم وصف اوليايه بالفقر على مدحهم بالهجرة والحصر والله
تعالى لا يصف من يحب الا بما يحب ولولا ان الفقر احب الاوصاف
اليه ما مدح احباءه وشرفهم به وقوله تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه اقول والدعاء
والارادة محمول على الكامل منهما وهو ان يكون بالاخلاص وخلو
القلب عن الاغيار اذ هذا هو اللايق والمناسب للمدح والامر
بالمرحمة دون الدعاء بالريآء والارادة بالاشراك كما لا يخفى
ثم لا شك ان الدعآء بالاخلاص والتوجه التام الى جنابه لا يتيسر
مع الاشتغال بالملك والمال وحديث ابي هريرة رض قال قال
رسول الله صلعم يدخل الفقراء الجنه قبل الاغنيآء بخمسمأية
عام نصف يوم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ونصف
يوم بدل من خمسماية عام ففي رواية اخرى للترمذي عن ابي هريرة رض

ايضا قال قال رسول الله صلعم يدخل فقراء المسلمين الجنه قبل
اغنيايهم بنصف يوم وهو خمسماية عام قال الترمذي حديث
صحيح والظاهر انه نصف يوم بايام الاخرة وخمسماية عام
بايام الدنيا ويحتمل غيره والله اعلم وقد سبق حديث
الطبراني عن معاذ بن جبل رض عن النبي صلعم قال يدخل
الانبيآء كلهم قبل داود وسليمان الجنه باربعين عاما
وعن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم ليأتي الرجل العظيم
السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه وقال
اقرؤا فلا نقيم لهم يوم القيامه وزنا رواه البخاري ومسلم
وليس معنى عظم الرجل وسمنه حقيقته بل المراد الكناية
عن تكبره وعجبه باعماله او نحو ذلك بشهادة استشهاده
صلعم بالاية قال الطيبي في شرح المشكاة والمراد بالوزن في
الاية اما وزن الاعمال لقوله فحبطت اعمالهم واما مقدارهم
يعني نزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وعن
ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم احتجت الجنه والنار

فقالت الجنه يدخلني الضعفاء والمساكين وقالت النار يدخلني
الجبارون والمتكبرون فقال الله تعالى للنار انت عذابي انتقم بك
ممن شئت وقال للجنه انت رحمتي ارحم بك من شئت رواه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح وعن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله
صلعم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر رواه الترمذي ايضا وقال
حديث حسن صحيح وعن ابي سعيد الخدري رض قال سمعت النبي
صلعم يقول اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في
زمرة المساكين رواه ابن ماجه قال زين الدين العراقي في تخريج
احاديث الاحياء ورواه الحاكم وصححه وروى الحديث بزيادة
في آخره الترمذي ايضا عن رواية انس ولم يزد على تغريبه كذا
في نسختين منه عندي ونقله العراقي عنه بتحسينه وروى
ابن ماجه عن خباب رض في قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الى قوله فتكون من الظالمين
قال جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينه بن حصن الفزاري
فوجدا رسول الله صلعم مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا

في ناس

في ناس من الضعفاء من المومنين فلما راوهم حول النبي صلعم
حقروهم فاتوه فخلوا به فقالوا انا نريد ان تجعل لنا منك
مجلسا يعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك
فنستحيي ان ترانا العرب مع هذه الاعبد فاذا نحن جيناك فاقمهم
عنك فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب
لنا عليك كتابا فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب ونحن قعود
في ناحيه فنزل جبريل عليه السلام فقال ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم
فتكون من الظالمين ثم ذكر الاقرع بن حابس وعيينه بن حصن
فقال وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا
اليس الله باعلم بالشاكرين ثم قال واذا جاءك الذين يومنون
باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة قال
فدنونا منه ووضعنا ركبنا على ركبته وكان رسول الله صلعم
يجلس معنا فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله واصبر

نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تجالس
الاشراف ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه
يعني عيينه والاقرع وكان امره فرطا قال هلاكا قال امر
عيينه والاقرع انتهى وانت خبير بان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب وعن ابي امامه رض قال قال رسول الله صلعم
عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب
ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك و
ذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك رواه احمد والترمذي
وقال حديث حسن وعن عايشه رض قالت قال رسول الله صلعم
يا عايشه لو شيت لسارت معي جبال الذهب جاني ملك وان
حجزته لتساوي الكعبه فقال ان ربك يقرا عليك السلام
ويقول ان شيت نبيا عبدا وان شيت نبيا ملكا فنظرت
الى جبرئيل عليه السلام فاشار الي ان ضع نفسك وفي رواية
ابن عباس رض فقلت نبيا عبدا قالت عايشه فكان رسول الله

صلعم بعد ذلك لا ياكل متكيا ويقول آكل كما ياكل العبد واجلس
كما يجلس العبد رواه البغوي في شرح السنه وقد انتهى فقره
الى حد ما رواه سعيد المقبري من ان ابا هريرة رض مر بقوم
بين يديهم شاة مصليه فدعوه فابى ان ياكل وقال خرج النبي
صلعم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير رواه البخاري وعن
مسروق قال دخلت على عايشة رض ودعت لي بطعام وقالت ما
اشبع بطعام فاشاء ان ابكي الا بكيت قال قلت لم قالت اذكر
الحال التي فارق عليها رسول الله صلعم الدنيا والله ما شبع من خبز
ولحم مرتين في يوم رواه الترمذي وقال حديث حسن وروى
ايضا عن عايشه رض قالت ما شبع رسول الله صلعم من خبز شعير
يومين متتابعين حتى قبض وقال هذا حديث حسن صحيح وروى
هو ايضا عن ابي هريرة رض قال ما شبع رسول الله صلعم واهله
ثلاثا تباعا من خبز البر حتى فارق الدنيا وقال هذا حديث صحيح
وروى هو ايضا عن ابن عباس رض قال كان رسول الله صلعم يبيت
الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم

خبز الشعير وقال هذا حديث حسن صحيح وروى هو ايضا
عن ابي حازم عن سهل بن سعد رض انه قيل له اكل رسول الله
صلعم النقي يعني الحواري فقال سهل ما راى رسول الله صلعم
النقي حتى لقي الله فقيل له هل كانت لكم مناخل على عهد رسول
الله صلعم قال ما كانت لنا مناخل قيل وكيف كنتم تصنعون
بالشعير قال كنا ننفخه ونطير ما طار ثم نثريه فنعجنه وقال
هذا حديث حسن صحيح وقد رواه مالك بن انس عن ابي حازم
وعن عايشه رض قالت ما ترك رسول الله صلعم دينارا ولا درهما
ولا شاة ولا بعيرا ولا اوصى بشيء رواه مسلم وعن عمرو بن الحارث
اخي جويريه قال ما ترك رسول الله صلعم عند موته دينارا و
لا درهما ولا عبدا ولا امة ولا شيئا الا بغلته البيضاء وسلاحه
وارضا جعلها صدقة رواه البخاري وعن عايشه رض قالت
كان فراش رسول الله صلعم الذي ينام عليه ادما حشوه ليف
رواه البخاري ومسلم وعن عايشه رض ايضا قالت كان وسادة
رسول الله صلعم الذي يتكي عليه من ادم حشوه ليف رواه مسلم

ثم لا يسعنا الا اتباعه صلعم في جميع احواله والتخلق باخلاقه
بقدر الطاقة فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وعن عبد الله بن مغفل رض قال
جاء رجل الى النبي صلعم فقال اني احبك فقال انظر ما تقول
فقال والله اني لاحبك ثلاث مرات قال ان كنت صادقا فاعدّ
للفقر تجفافا فالفقر اسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه رواه
الترمذي وقال هذا حديث حسن وعن عايشه رض ان رسول الله صلعم
قال لها اذا اردت اللحوق بي فاياك ومجالسة الاغنياء رواه
الترمذي وغربه قال العراقي ورواه الحاكم وصححه اقول ولا مخالفة
بين التغريب والتصحيح لوقوع جمعهما في حديث واحد من الترمذي
في كثير من احاديثه فاذا كان اللحوق بالنبي صلعم لا يجتمع
مع مجالسة الاغنيا فان لا يجتمع مع الغنا بالطريق الاولى لان
ذلك لاجل الغنا ثم ذلك لاجل ان الغني لا يخلو غالبا عن ارتكاب
المحرمات عادة الا في احاد من الناس وقد روى البيهقي في شعب
الايمان على ما ذكره صاحب المشكاة عن انس رض قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم هل من احد يمشي على الماء الا ابتلت قدماه
قالوا لا يا رسول الله قال كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب
فلا رخصة لامثالنا الا في اختيار الفقر نعم مرادي به الان ما يسمى
فقرا بالنسبة الى امثالنا نسال الله الهداية الى طريق الفقر الحقيقي
والمصطلح عليه عند اهل التصوف فعلينا الجد في طلبه والاجتهاد
في تحصيله وعلى الله الهداية لوعده الكريم بقوله والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا ثم لا باس بايراد احاديث اخرى تناسب
المقام فنقول عن عمر وانس وابن الزبير وابي امامه رض عن النبي صلعم
قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة رواه الشيخان
وعن ابن عمر رض قال قال رسول الله صلعم انما يلبس الحرير في الدنيا من
لا خلاق له في الاخرة متفق عليه ايضا وعن ابن عمر رض ان رسول الله
صلعم قال من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة متفق عليه
ايضا وعن ابي هريره رض قال قال رسول الله صلعم ما اسفل من الكعبين
من الازار في النار رواه البخاري وعن حذيفه رض قال سمعت رسول
الله صلعم يقول لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنيه الذهب

والفضه ولا تاكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا وهي لكم في الاخرة
متفق عليه وعن ام سلمة رض ان رسول الله صلعم قال الذي يشرب في
انيه الفضه انما يجرجر في بطنه نار جهنم متفق عليه ايضا
وفي رواية لمسلم ان الذي ياكل ويشرب في آنية الفضه والذهب
الحديث وعن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم ليس الغنى
عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس رواه البخاري ومسلم
وفي فضل غنى النفس والاكتفاء بقدر الكفاية ما رواه مسلم عن
عبد الله بن عمر رض قال قال رسول الله صلعم قد افلح من اسلم ورزق
كفافا وقنعه الله بما آتيه وما رواه عثمان بن عفان رض قال قال
النبي صلعم ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب
يواري عورته وجلف الخبز رواه الترمذي وقال حديث صحيح وروى
عن النضر بن شميل قال جلف الخبز يعني ليس معه ادم وما رواه انس
رض ان رسول الله صلعم خرج فراى قبة مشرفة فقال ما هذه قال له
اصحابه هذا لفلان رجل من الانصار قال فسكت وحملها في نفسه
حتى اذا جاء صاحبها رسول الله صلعم يسلم عليه في الناس اعرض عنه

صنع ذلك مرارا حتى عرف الرجل الغضب فيه والاعراض عنه
فشكا ذلك الى اصحابه فقال والله انى لانكر رسول الله صلعم قالوا
خرج فراى قبتك قال فرجع الرجل الى قبته فهدمها حتى سواها
بالارض فخرج رسول الله صلعم ذات يوم فلم يرها فقال ما فعلت
القبه قالوا شكى الينا صاحبها اعراضك عنه فاخبرناه فهدمها
فقال ان كل بناء وبال على صاحبه الا ما لا الا ما لا رواه ابو داود أمامی
قال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء فى كتاب الزهد اسناده جيد
ذكره فى موضعين قال وما لا يعنى ما لا بد منه وما رواه عبد الله
ابن عمرو رض قال مر بى رسول الله صلعم وانا اطين حايطا لى انا وامى
فقال ما هذا يا عبد الله فقلت يا رسول الله شى اصلحه فقال
الامر اسرع من ذلك رواه ابو داود ولم يضعفه فيكون حجة
عنده ورواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وما رواه عبد الله
ابن عمر رض ان رسول الله صلعم اتى فاطمة فوجد على بابها سترا فلم يدخل
قال وقل ما كان يدخل الا بدا بها فجاء على فراها مهتمة فقال ما لك
قالت جاء النبى صلعم الى فلم يدخل فاتاه على رض فقال يا رسول الله

ان

ان فاطمة اشتد عليها انك جئتها فلم تدخل عليها قال وما انا
والدنيا وما انا والرقم فذهب الى فاطمة فاخبرها بقول رسول الله
صلعم فقالت قل لرسول الله ما يامرنى به قال قل لها فلترسل به
الى بنى فلان رواه ابو داود ولم يضعفه وعن ابى هريرة رض قال قال
رسول الله صلعم لعن عبد الدرهم لعن عبد الدينار رواه الترمذى
وقال حديث حسن وعن ابى هريرة رض ايضا ان رسول الله صلعم
قال الا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه
وعالم ومتعلم رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى هذا حديث
حسن وعن سهل بن سعد رض قال قال رسول الله صلعم لو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة
منها رواه احمد والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى هذا
حديث صحيح وعن نعمان بن بشير رض ان النبى صلعم قال من لم يشكر
القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله رواه
القضاعى فى مسند الشهاب ويناسب معنى الحديث ما ذكره
الغزالى فى كتاب شرح عجايب القلب من كتب الاحياء فى الكلام

على مداخل الشيطان وهو قوله ومن ابوابه العظيمه الدراهم
والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والاثاث والثياب
والدواب والعقار وكلما يزيد على القوت والحاجه فهو مستقر
للشيطان فان من معه قوته فهو فارغ البال ولو وجد مايه
دينار مثلا على طريق انبعث من قلبه عشر شهوات يحتاج كل
واحدة الى مايه دينار فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعمايه
اخرى فيشترى دارا ويعمرها ويشترى جاريه ويشترى اثاث
البيت ويشترى الثياب الفاخرة وكل شيء من ذلك يستدعى
شيئا آخر يليق به وذلك لا اخر له فيقع فى هاويه اخرها نار
جهنم ولا آخر لها سواه انتهى وذلك موافق لما رواه انس رض
قال قال رسول الله صلعم هل من احد يمشى على الماء الا ابتلت قدماه
قالوا لا يا رسول الله قال كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب
اورده صاحب مشكاة المصابيح وقال رواه البيهقى فى شعب الايمان
وهذا المعنى واقع معلوم عادة ويضم اليه جره الى سوء الخاتمة
على ما سبق فيظهر اتجاه ما ذكره الغزالى قال روى ان عيسى صلعم

توسد

توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت فى الدنيا فاخذه من تحت
راسه فرمى به وقال هذا لك مع الدنيا وعلى الحقيقه من يملك حجرا
يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون عدة للشيطان
عليه فان القايم بالليل مثلا للصلوة مهما كان بالقرب منه حجر
يمكن ان يتوسده لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن
ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك رغبته فى النوم هذا من حجر
فكيف من يملك المخاد الوثيره والفرش الوضيه (ركنة النظيفة) والمتنزهات الطيبة
فمتى ينشط لعبادة الله تعالى انتهى كلامه (اى الناعمة اللينة) ويكفى هذا القدر من الكلام
على فضل الفقر على الغنا فى الشرع الاسنا وفضل التخلى عن تولى الامور
عليه بالطريق الاولى على ان من انشرح صدره بانوار العلوم الفاخرة
واهتدى الى طرق اقتباس ما خفى حكمه من الحجج الظاهرة وانتهى عروجه
الى الدرجات الشاهقه بارتسام ما ارتسم فى مراة نفسه الناطقه كنفسى
المذنبه المسرفه بتقوى الله وطاعته يستعظم من الارتداء برداء الامارة
الفانيه ويستكبر من الايتزار بازار السلطنه الدانيه على انه عن رسول
الله صلعم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه رواه مالك واحمد

مما يجب النظر فيه صح

عن روايه علي بن الحسين منقطعا ورواه ابن ماجه عن ابي هريرة
رض متصلا ورواه القضاعي وغيره عن رواية زيد بن ثابت رض
ولاشك ان جميع ما ينال الملوك واهل الشرف من متاع الدنيا وشهواتها
تذل وتصغر عند العقلاء الحكماء ولو وقف الملوك على نقصان
لذتهم وقلتها بالنسبة الى اللذة التي يحظى بها العلماء بسبب علمهم
لعدوا ما هم فيه فقرا وخمولا كما قاله الامام فخر الدين الرازي في
اوايل السر المكتوم قال قال سقراط ان الانسان اذا ارتقى من السفل
الى الموضع الوسط ووقف هناك من غير ان يرى الموضع الاعلى
بالحقيقه فقد يتوهم انه ارتقى الى العلو فاما من احس بما فوقه
استحقر ما هو فيه وكيف يجوز ان يسمى ما ادرك الملوك لذة وانما
هو طعام وشراب يسكن به جوع وعطش ولباس يستتر به من الحر
والبرد وجماع الذي يلجي اليه الشبق (اي شدة الشهوة) وهذه امور مشتركه بين الانس
والبهايم واما طلب الرياسة والثروة والقدرة على الاقران بالقتال
والمهادشه فان البهايم يقاتل بعضها بعضا بالقرون والاسنان
والحوافر والاظلاف وكذا الملوك يقاتل بعضها بعضا ويخاطرون

بمهجهم ومهج اوليايهم فباي شيء يفضلون على البهايم وكيف
يغتبط العاقل بحالة يشاركه البهايم فيها انتهى اقول وان نظرنا
الى ثمرة الامارة في الاخرة والى ثمرة العلم فنقول اعظم فوايد الامارة
رفاهية المسلمين باجراء عداله اهل الدين واقامه الجهاد مع
اهل الكفر والعناد وقد سبق فيما مضى ان باب العدالة في
هذه الازمان مسدود وكذا مضى ان الجهاد المعتبر شرعا الذي له
ثمرات في الاخرة مفقود لفقد شروطها واركانها الشرعية
وفي حديث ابي هريرة رض ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يريد
الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرض الدنيا فقال رسول الله صلعم
لا اجر له فاعظم الناس ذلك وقالوا للرجل عد لرسول الله لعله
لم يفهمه فعاد فقال يا رسول الله الرجل يريد الجهاد في سبيل الله
وهو يبتغي عرض الدنيا فقال رسول الله صلعم لا اجر له ثم عاد
الثالثه فقال رسول الله صلعم لا اجر له رواه احمد في مسنده
وصححه ابن حبان فرواه في النوع الخامس والستين من القسم الثالث
من سننه الصحاح وعن الوليد بن ابي الوليد ابي عثمان المدايني

ان عقبه بن مسلم حدثه ان شفيا الاصبحي حدثه انه دخل المدينه
فاذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا فقالوا ابو هريرة
قال فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس
فلما سكت وخلا قلت انشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثا
سمعته من رسول الله صلعم عقلته وعلمته فقال ابو هريرة
افعل لاحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلعم عقلته
اى لهعه
وعلمته ثم نشغ ابو هريرة نشغة فمكث قليلا ثم افاق فقال
لاحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله صلعم في هذا البيت
ما معنا احد غيري وغيره ثم نشغ ابو هريرة نشغة شديدة
ثم مال خارا على وجهه فاشتد به طويلا ثم افاق فقال حدثني
رسول الله صلعم ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة
ينزل الى العباد ليقضي بينهم وكل امة جاثية فاول من يدعو به
رجل جمع القران ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال
فيقول الله تعالى للقاري الم اعلمك ما انزلت على رسولي قال
بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم به اناء الليل

واناء

واناء النهار فيقول الله تعالى له كذبت ويقول له الملايكه كذبت
ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان قاري فقد قيل ذلك
ويوتى بصاحب المال فيقول الله تعالى له الم اوسع عليك حتى لم
ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما اتيتك
قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله تعالى له كذبت ويقول
الملايكه كذبت ويقول الله تعالى بل اردت ان يقال فلان جواد
فقد قيل ذلك ويوتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى
له فيماذا قتلت فيقول امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى
قتلت فيقول الله تعالى له كذبت ويقول له الملايكه كذبت ويقول
الله تعالى بل اردت ان يقال فلان جري فقد قيل ذلك ثم ضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال يا ابا هريرة اوليك
الثلاثه اول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة فقال الوليد ابو عثمن
فاخبرني عقبه بن مسلم ان شفيا هو الذي دخل على معاويه
فاخبره بهذا قال ابو عثمن وحدثني العلا ابن ابي حكيم انه كان
سيافا لمعوية فدخل عليه رجل فاخبره بهذا عن ابي هريرة فقال

معويه قد فعل بهولاء هذا فكيف بمن بقي من الناس ثم بكى
معوية بكاء شديدا حتى ظننا انه هالك وقلنا قد جاءنا هذا
الرجل بشر ثم افاق معوية ومسح عن وجهه وقال صدق الله و
رسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم وهم
فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار و
حبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون قال ابو عيسى
الترمذي هذا حديث حسن بل هو صحيح ايضا فقد رواه مسلم
ايضا بمغايرة عبارة وبعض ايضاح ولفظه ان اول الناس
يقضى عليه يوم القيامه رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمته
فعرفها فقال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت
قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال جرئ فقد قيل ثم امر به
فسحب على وجهه حتى القى في النار ورجل تعلم العلم وعلمه
وقرا القران فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها
قال تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك القران قال كذبت و
لكنك تعلمت العلم ليقال انك عالم وقرات القران ليقال

هو قارى فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى في
النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتى
به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من
سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت
ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب
على وجهه حتى القى في النار انتهى ونقل نور الدين السمهودي
في الجواهر في الكلام على فضل العلم عن ابي هريرة رض لان اعلم
بابا من العلم في امر ونهي احب الي من سبعين غزوة وعن الحسن
البصري رح لان اتعلم بابا من العلم فاعلمه مسلما احب الي من
ان يكون لي الدنيا كلها في سبيل الله انتهى وقد فصلنا الكلام
فيما مضى على رجحان الجهاد بالعلم على الجهاد بالقتال بما
لا مزيد عليه فتذكره فانه نافع في الباب جدا ان شاء الله تعالى
وحمدنا الله سبحانه على ما حصل لنا من العلم والجهاد فيه
وخصصنا به من بين اخواننا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
والله ذو الفضل العظيم ويطربني في هذا المقام الترنم ببيتين

انشدهما بعض اهل العلم   رضينا قسمة الجبار فينا
لنا علم و للاعداء مال   فان المال يفنى عن قريب
وان العلم باق لا يزال وقال السمهودى فى الكلام على آداب
العالم النوع الرابع منها ان يتخلق بما حث الشرع عليه من الزهد
فى الدنيا والتقلل منها بقدر الامكان فان ما يحتاج اليه منها
على وجه المعتدل من القناعة لا يعد من الدنيا واقل درجات
العالم ان يستقذر التعلق بالدنيا ولا يبالى بفواتها لانه اعلم
الناس بخستها وفتنتها وسرعة زوالها وكثرة عنايها قال وعن
الشافعى رح لو اوصى لاعقل الناس صرف الى الزهاد فمن احق
من العلماء بزيادة العقل وكماله وقال يحيى بن معاذ لو كانت الدنيا
تبرا يفنى والاخرة خزفا يبقى لكان ينبغى للعاقل ايثار الخزف الباقى
على التبر الفانى فكيف والدنيا خزف فان والاخرة تبر باق اقول
وروى مسلم عن المستورد بن شداد رض قال سمعت رسول الله
صلعم يقول والله ما الدنيا فى الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه فى اليم فلينظر بمه ترجع قال القرطبى فى التذكره وذكر

ابن

197

ابن ابى الدنيا حدثنا محمد بن على حدثنا ابو اسحق بن الاشعث سمعت
فضيل بن عياض يقول قال ابن عباس رض يوتى بالدنيا يوم القيامة
فى صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها مشوهة خلقها فتشرف
على الخلايق فيقال تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة
هذه فيقال هذه الدنيا التى تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام
وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف فى جهنم
فتنادى اى رب اين اتباعى فيقول الله تعالى الحقوا بها اتباعها
واشياعها انتهى قال السمهودى وعليه اى العالم بالسخاء والجود
على حسب الموجود انتهى وروى الدارمى فى مسنده عن سفيان
الثورى رح يقول ما ازداد عبد علما فازداد فى الدنيا رغبة
الا ازداد من الله بعدا انتهى وبما اوردته فى هذا الباب تبين
تنفرى وتبردى من امارة الدنيا وسلطنتها من الوجه المذكور
وسآمتى من نعمها ولذاتها الفانيه المستعقبه بآلامها الباقية
وبالله سبحانه التوفيق ثم لا يرد على الاعتراض باحوال كثير من
علماء ديارنا ومن يحذو حذوهم من حب الرياسه والمال واجتهادهم

واشياعى

في التزيد والتوفير بالغدو والاصال وبذل المجهود في تحصيل
المقصود ولنذكر كلاما للشيخ الامام القاضي ابي نصر عبد الوهاب
ابن الشيخ تقي الدين السبكي يظهر منه ذلك ظهورا تاما قال
رح في كتابه معيد النعم العلماء فرق كثيره منهم المفسر
والمحدث والفقيه والاصولي والمتكلم وغيرهم ويتشعب كل
فرقه منه شعوبا وقبايل ويجمع الكل انه حق عليهم ارشاد المتعلمين
وافتاء المستفتين ونصح الطالبين واظهار العلم للسايلين فمن
كتم علما الجمه الله بلجام من نار اقول روى ابو داود والترمذي وابن
ماجه عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم من سئل عن علم
ثم كتمه الجمه يوم القيامة بلجام من نار وقال الترمذي حديث حسن
قال زين الدين العراقي في تخريج احاديث الاحياء ورواه ابن حبان
والحاكم وصححه قال القاضي وان لا يقصدوا بالعلم الرياء والمباهات
ولا جعله سبيلا الى الدنيا فان الدنيا اقل من ذلك اقول روى الترمذي
عن ابن عمر رض عن النبي صلعم قال من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله
فليتبوأ مقعده من النار وقال حديث حسن وروى ابن ماجه رض

عن جابر بن عبد الله رض ان النبي صلعم قال لا تعلموا العلم لتباهوا
به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل
ذلك فالنار فالنار وقال العراقي في التخريج اسناده صحيح وروى
ابن ماجه ايضا عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلعم من تعلم
علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا
لم يجد عرف الجنه يوم القيمة يعني ريحها قال القاضي قال الفضيل رض
اني لارحم ثلاثه عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما تلعب به الدنيا
وانشد بعضهم عجبت لمبتاع الضلاله بالهدى ومن يشتري دنياه
بالدين اعجب فاقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها
وكدورتها وانصرامها وعظم الاخرة ودوامها وصفاءها وان يعلم انهما
متضادتان وانهما ضرتان متى ارضيت واحدة اسخطت الاخرى
وكفتا ميزان متى رجحت احداهما خفت الاخرى وكالمشرق والمغرب
متى قربت من احدهما بعدت عن الاخر وكقدحين احدهما
مملو فبقدر ما تصب منه في الاخر يفرغ من هذا فمن لا يعلم
حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالهموم فاسد العقل

فان المشاهدة والتجربه ترشد العقلاء الى ذلك فكيف يكون
من العلماء من لا عقل له انتهى وقال الزركشي في شرح جمع الجوامع
قال يحيى بن معاذ لو كانت الدنيا تبرا يفنى والاخرة خزفا يبقى
لكان ينبغي للعاقل ايثار الخزف الباقي على التبر الفاني فكيف
والدنيا خزف فان والاخرة تبر باق قال الزركشي ومما يرغب في
الزهد فيها خسة شركايها وقلة وفايها وكثرة بلايها وتحقق
فنايها ومن اعظم مضراتها الغفلة عن الله وما احسن قول بعضهم
لولده يا بني لا تغبطن اهل الدنيا على دنياهم فوالله ما نالوها
رخيصة والله ما نالوها حتى فقدوا الله وكان شيخنا العارف
ولي الدين قدس روحه يقول وجود الدنيا يضر القلب بالخاصيه
حتى في الفهم والذكاء وحسن الاستعداد لادراك الحقايق
من الهدى ودين الحق ولقد وجدت من ذلك اثارا عجيبة
في اقبال القلب وادباره ورايت اكابر اهل العلم الذين قلوبهم
متعلقه بالدنيا تصير عقولهم في البلاده كعقول النساء
والصبيان الحذر الحذر من فضول الدنيا والقناعة باليسير

فيا

فيها راحة القلب وسلامة الدين والدنيا انتهى قال القاضي ومن
لا يعلم عظم امر الاخرة ودوامها فهو كافر لا ايمان له فكيف
يكون من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم انهما ضرتان والجمع
بينهما بعيد فهو جاهل ومن علم هذا كله ثم اثر الدنيا على
الاخرة فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه
شقوته فكيف يعد من العلماء من هذه درجته ووحق الحق
اني لاعجب من عالم يجعل علمه سبيلا الى حطام الدنيا وهو يرى
كثيرا من الجهال وصلوا من الدنيا الى ما لا ينتهي هو اليه فاذا كانت
الدنيا تنال مع الجهل فما بالنا نشتريها بانفس الاشياء وهو العلم
فينبغي ان يقصد بالعلم وجه الله تعالى والترقي الى جوار الملاء
الاعلى والكلام في العلماء وما ينبغي لهم يطول ولكنا ننبه على
مهمات فمن هولاء من يطلب العلو في الدنيا والتردد الى
ابواب السلاطين والامراء كما ذكرناه وحب المناصب والجاه فيودي
ذلك الى ان يظلم قلبه بهذه الاكدار ويزول صفاؤه بهذه الامور
التي يظلم القلوب ويبعد عن علام الغيوب والى ان يشتغل بهم وبها

عن الازدياد في العلم اقول يعني بل عن ضبط العلم الحاصل وحفظه
ايضا اذ قال فكم راينا فقيها تردد الى ابواب الملوك فذهب فقهه
ونسي ما كان يعلمه والى فساد عقيدة الامراء في العلماء فانهم
يستحقرون المتردد اليهم ولا يزالون يعظمون الفقيه حتى
يسالهم في حوايجه ويؤل ذلك الى انهم يظنون في اهل العلم
السوء ولا يطيعونهم فيما يفتنون به وينقصون العلم واهله
وذلك فساد عظيم وفيه هلاك العالم وان قال لك فقيه ان التردد
الى ابواب السلاطين لاعزاز الحق ولنصرة الدين ولغرض من الاغراض
الصحيحة فقل له ان صح ما تقول وانت اخبر بنفسك فانت على
خطر عظيم لانك قد انغمست في الدنيا وانت تدعي انك تقصد
بها الاخرة وان ثبت هذا فما نامن عليك ان تخرج مع الدنيا
ولذلك كان سفيان الثوري رح يقول ان دعوك لان تقرأ
عليهم قل هو الله احد فلا تمض ولا تقراها وبالجملة انت اخبر
بنفسك فابحث عنها قال ومنهم من يضيع كثيرا من وقته
في طلب القضاء وغيره من المناصب فان كان مراده القوت

فالقوت

فالقوت يجيء بدون ذلك وان كان مراده الدنيا فقد كان
في اشتغاله بصفة الاجناد والدواوين وغيرهم من العامة ما لعله
انجح في مقصده فان الدنيا في ايدي اولئك اكثر ومن هذه
الطايفة من يقول اكرهت على القضاء قال القاضي وانا لم
ار الى الآن من اكره على القضاء الاكراه الشرعي وقد ضرب جماعة
من السلف على ان يلوا القضاء فابوا وما ذلك الا لانهم يخشون
ان لا يقيموا فيه الحق لفساد الزمان اقول وقد سبق مثله من
جهتنا في الامارة قال والا فالقضاء اذا امكن فيه نصر الحق
من اعظم القربات ولكن اين نصر الحق وهم لا يدخلون فيه
الا بالسعي وربما بذلوا عليه الذهب ومذهب كثير من العلماء
ان من يبذل الذهب على القضاء لا تصح احكامه ولا يخفى انه
اذا فسق ببذل الذهب لم يكن نافذ الاحكام اقول وفي ديارنا
لا يبذلون شيئا معتدا به للسلطان وانما يبذلون للوزراء
ونحوهم قال وكأنني باحمق اي وصلت به من الفقهاء يقول
تعين علي طلب القضاء قال القاضي وانا لا يخفى علي ما قاله

الفقهاء فيمن تعين عليه ولكن من الذى تعين عليه فقايل
هذا الكلام اما من لبست عليه نفسه واستزله الشيطان من حيث
لايدرى او ممن يريد التلبيس على الناس وهو ابليس من الابالسة
نعوذ بالله منه وما فعلت هذه الطايفة ولاكان ثمرة علمها
الا ان جعلت العلم الذى هو من اقرب الطاعات الى الله تعالى
سبيلا الى حطام الدنيا ثم اخذت تداجى [اى تدارى] في دين الله تعالى
وتلبس على الخلق فتاكل الدنيا بالدين فقبحها الله تعالى قال ومن
هؤلاء المورخون وهم على شفا جرف هار لانهم يتسلطون على
اعراض الناس وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من كاذب او صادق
فلا بد ان يكون المورخ عالما عدلا عارفا بحال من يترجمه ليس
بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب له ولا من العداوة
ما قد يحمله على التنقص منه وربما كان الباعث له على الضعة [اى الذلة]
من اقوام مخالفة العقيدة واعتقاد انهم على ضلال فيقع
فيهم او يقصر فى الثناء عليهم لذلك وكثيرا ما يتفق هذا لشيخنا
الذهبى رح فى حق الاشاعرة لا يحل لمومن يؤمن بالله واليوم الاخر [والذهبي استاذنا والحق احق ان يتبع صح]

ان يعتمد عليه فى الضعة من الاشاعرة قال ومن ذلك فقهاء
عصر واحد اقول والاولى التعميم بلفظ العلماء قال فلا ينبغى
سماع كلام بعضهم فى بعض وقد عقد ابن عبد البر بابا فى ان كلام
العلماء بعضهم فى بعض لا يقبل وان كان كل منهم بمفرده ثقة
حجة اقول وذلك لان غيرة الانسان على الرياسة جبلية
ولا رياسة فوق رياسة العلم وكذا تولد الحسد والعداوة من
الغيرة جبلى فلا يتخلص منهما الا من وفقه الله تعالى وهداه
الى الصراط المستقيم وانت خبير بان العداوة من موانع قبول
الشهادة فى حق خصمه فيظهر صحة قول ابن عبد البر قال
القاضى ومن الفقهاء من تاخذه فى الفروع الحمية لبعض المذاهب
يعنى بمجرد التشهى او التقليد الجاهلى قال ويركب الصعب
الذلول فى العصبية وهذا من اسوا اخلاقهم اقول وهو
حال اهل ديارنا فانهم لا يتتبعون المذاهب من كتبها بل يقتص
المتتبعون منهم على تتبعها من كتب مذهب انفسهم ولا
ينظرون فى ادلتها بعين الانصاف بل يلحظونها بعين الاعتساف

ولا يجتهدون في طلب الصواب بل اذا ظهر الحق عندهم
فلا يتبعون الا هواهم ولا يستانسون الا بما لوفهم ولا
يصغون الى نكتة الحق احق ان يتبع بل يقولون بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون مع ان الله تعالى ذكر ذلك عن الكفرة
في معرض الذم والعبد الفقير عفا الله تعالى عنه وعن والديه
برحمة مغرقة من لديه قد جمع من كتب التفسير وما يتعلق بها
قريبا من عشرين كتابا ومن كتب الحديث سبعة وثلثين كتابا
ومن جملتها كتاب تخريج احاديث الهداية لجمال الدين الزيلعي
الذي بين فيه احوال الاحاديث الواقعة في الهداية ثم ذكر
احاديث ساير المذاهب وبين احوالها من جواز الاحتجاج
بها وعدمها فان كل ما يقال فيه قال النبي صلعم لا يجوز الاحتجاج
به وانما يجوز بالحديث الصحيح والحسن على اختلاف في بعض
انواع الحديث انه من احدهما ام لا ومنها كتاب تخريج
احاديث الرافعي لسراج الدين ابن الملقن وغير ذلك ومن
كتب شروح الاحاديث احد عشر كتابا ومن كتب علل الحديث

علل الترمذي وعلل ابي حاتم الرازي وكتاب الناسخ والمنسوخ
للحازمي ومقصودها يستفاد من الاوسط لابن المنذر
ومن تخريج احاديث الهداية للزيلعي وغيرهما ايضا ومن كتب
فن علوم الحديث سبعة كتب ومن كتب رجال الحديث اكثر
من عشرة كتب ومن كتب اصول الفقه اكثر من ثلثين كتابا و
من كتب فقه ابي حنيفة اكثر من اربعين كتابا ومن كتب الشافعية
مائة كتاب واربعة عشر كتابا ومن كتب المالكية خمسة كتب
معتبرة ومن كتب الحنابلة ثلاثة كتب معتبرة منها المغني
لابن القدامة اثني عشر مجلدا وجمع كتبا اخرى جامعة للمذاهب
وغيرها من ساير الفنون فحصل له ما حصل منها ومع كل ذلك
فقد راى سابقا النبي صلعم في المنام وانه يعلمه من شرح
المهذب لابي زكريا يحيى النووي الشافعي رح مع انه صح عن
ابي هريرة رض ان رسول الله صلعم قال من رآني فقد رآني
فان الشيطان لا يتمثل في صورتي اخرجه البخاري ومسلم
واخرجا ايضا عن ابي قتادة قال قال رسول الله صلعم من رآني

فقد راى الحق ونقل القاضي عياض في شرح مسلم عن الامام
المازرى انه قال اختلف المحققون في معنى الحديث فقال
القاضي ابو بكر ابن الباقلانى معناه روياه صحيحة ليست باضغاث
احلام ولا من تشبيهات الشيطان وقد يراه الرائى خلاف صفة
المعروفة كمن يراه ابيض اللحية وقد يراه شخصان في زمان واحد
احدهما فى المشرق والآخر فى المغرب ويراه كل منهما فى مكانه
اقول يعني ففى كل هذا لا يكون روياه صحيحة قال المازرى
فيما نقله القاضي وقال آخرون بل المراد ان من راه فقد ادركه
صلعم اى على كل حال ولا مانع يمنع من ذلك ولا عقل يحيله حتى يضطر
الى صرف الكلام من ظاهره واما الاعتلال بانه قد يرى على غير
صفته المعروفة وفي مكانين مختلفين معا فان ذلك غلط في
صفاته وقد يظن بعض الخيالات مرائيات لكون ما يتخيل مرتبطا
بما يرى في العادة فيكون ذاته صلعم مرئية وصفاته متخيلة غير
مرئيه والادراك لا يشترط فيه تحديق الابصار ولا قرب المسافة
ولا كون المرئى مدفونا فى الارض ولا ظاهرا عليها وانما يشترط

كونه

203

كونه موجودا ولم يقم دليل على فناء جسمه صلعم بل جاء
في بعض الاخبار ما يدل على بقايه صلوات الله وسلامه عليه
اقول وجزم بذلك النووى في كتاب النكاح فى الكلام على خصايص
النبي صلعم فقال ومنها ان الارض لا ياكل لحوم الانبياء للحديث
الصحيح في ذلك قال القاضي عياض ويحتمل ان يكون قوله
صلعم فقد رانى او فقد راى الحق فان الشيطان لا يتمثل في
صورتى المراد به اذا راه على صفته المعروفة له في حياته فان
راى على خلافها كانت رويا تاويل لا رؤيا حقيقة وقال النووى
في شرح مسلم وهذا الذى قاله القاضي ضعيف بل الصحيح انه
يراه حقيقه سواء كان على صفته المعروفة او غيرها لما ذكره
المازرى ونقل ابو محمد الطيبى في شرح المشكاة عن حجة الاسلام
الغزالى انه قال ليس معنى الحديث انه راى جسمى وبدنى بل معناه
راى مثالا صار ذلك المثال آلة يتادى بها المعنى الذى في نفسى
اليه بل البدن الجسمانى في اليقظه ايضا ليس الا آلة النفس والالة
يكون تارة حقيقيه وتارة خياليه والنفس غير المثالات المتخيله

بل قال القاضي ابو نصر ابن السبكي في التوشيح
في باب ادب السلطان ان محمدا صلعم حي في
قبره لم يغب الا عن اعيننا وموته صلعم كغيبته
انتهى وما ذكره هو المختار وذكر ابو العباس القرطبي
في شرح مسلم في باب قول النبي صلعم لا تخيروا
بين الانبياء ان الشهداء بعد قتلهم وموتهم
احياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين بل التاتق
واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك احق
واطلع انه قد صح عن النبي صلعم ان الارض لا تاكل
احساد الانبياء وان النبي صلعم قد اجتمع بالانبياء
ليله الاسرا في بيت المقدس وفي السماء خصوصا
بموسى وقد اخبرنا النبي صلعم بما يقتضي ان الله تعالى
يرد عليه روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم
عليه الى غير ذلك مما ورد في هذا المعنى وهو كثير بحيث
يحصل من جملته القطع بان موت الانبياء انما هو
راجع الى ان غيبوا عنا بحيث لا ندركهم
وان كانوا موجودين احياء
وذلك كالحال في
الملائكة
الا من خصه الله تعالى بكرامة من اوليائه
[illegible]

اذ لا يتخيل الا ذا لون او ذا قدر بعيد من التخيل او قريب والحق
ان ما يراه مثال حقيقة روحه المقدسة التي هي محل النبوة فما راه
من الشكل ليس هو بروح النبي صلعم ولا شخصه بل هو مثال له
على التحقيق ومعنى فقد رآني ما راه صار واسطة بيني وبينه
في تعريف الحق اياه وكذلك ذات الله تعالى منزهة عن الشكل
والصورة لكن ينتهي تعريفاته الى العبد بواسطه مثال
محسوس من نور او غيره ومن الصور الجميلة التي تصلح ان تكون
مثالا للجمال الحقيقي المعنوي الذي لا صورة فيه ولا لون ويكون
ذلك المثال صادقا وحقا وواسطة في التعريف فيقول الرائي
رايت الله تعالى في المنام كما يقول رايت النبي صلعم لا بمعنى انه
راى ذات النبي وروحه او ذات شخصه بل بمعنى انه راى مثاله
انتهى اقول وهذا المنقول عن الغزالي ذكر حاصل معناه في
كتابه المسمى بالمضنون به على غير اهله وغيره وما ذكره من
روية الله تعالى في المنام قد اختلف العلماء فيها قال الزركشي
في شرح الجمع جوزه معظم المثبتة للروية من غير كيفية وجهة

مقابلة وخيال وحكي عن كثير من السلف انهم راوه كذلك
اقول وهذا كانه مبني على منعهم الروية بالمثال وقد سبق
عن الغزالي آنفا تجويز ذلك وعلى ذلك يظهر جواز الروية
بكيفية وجهة وخيال والله اعلم واما في اليقظة فقد ثبت
في الاحاديث الصحيحة انهم يرون ربهم يوم القيامة لا يضامون
في رؤيته وفي لفظ كما يرون القمر ليلة البدر قال الزركشي وقد رواه
بضعة عشر من الصحابة واجمع عليه الكل واعتضد بظواهر
القران فوجب اعتقاد ذلك والعقل لا يمنعه فان مصحح الروية
الوجود فكل موجود يصح ان يرى ونفاه المعتزلة لاعتقادهم
ان شرط المرئي ان يكون في جهة واتصال الشعاع بالمرئي
والله تعالى منزه عن الجهات وهذا ممنوع وللناس في حقيقة
روية المرئيات اقوال احدها اتصال الشعاع كما سبق والثاني
انطباع صورة المرئي في الرطوبة الجليدية كانطباع الوجه
في المراة والثالث انه نار تخرج من البصر فتدرك المرئي
وهذا يشبه الاول والرابع انه علم يخلقه الله تعالى في نفس

الرائي مقارنا للرويه وهو مذهب المتكلمين وللاشعرى فيها
قولان احدهما انها علم مخصوص ويعني بالمخصوص انه يتعلق بالموجود
دون المعدوم وثانيهما انها ادراك وراء العلم يقتضي تاثيرا
في المدرك لا تاثرا عنه والى هذا جنح كثير من اصحابنا فقالوا
انه يحصل لنا ادراك برويه العين لله تعالى كما في غيره من المرئيات
مع تنزهه عن الجهات والكيفيات وهو امر زايد على العلم
فيقال للمنكرين للرويه اولا لم قلتم ان رؤية البارى والرؤية
مطلقا باتصال الشعاع ولم تنكرون ان يكون بخلق العلم
او الادراك وراءه في نفسه وثانيا انه قد ثبت لنا رويه لا باتصال
الشعاع اذ قال رسول الله صلعم لا تختلفوا علي في الصلاة فاني
اراكم من وراء ظهري كما اراكم من امامي وما ذاك الا بخارق الهي
ومعجز نبوي ايد به كما كان يرى الثريا اثنا عشر كوكبا وغيره يراها
سته او سبعة وذلك لقوة حصرها في بصره خرقا للعادة
فجاز اذا كانت الاخرة محل خرق العادة ان يتجدد للمؤمنين
خرق عادة يرون بها ربهم من غير انطباع ولا اتصال شعاع

ولا جهة كالدود في وسط البلوره يراها لا في جهه وككرة
العالم يراها الله عز وجل وقد قام البرهان على انها ليست
في جهة على ما قيل وقد وافقنا جمهور المعتزلة على ان الرب
تعالى يرى نفسه فهذا مرئي ليس في جهة ووافقونا على انه
يرى عباده فهذا راء ليس في جهة واعلم ان اهل السنة و
المجسمة اتفقوا على ان الله يرى والمعتزله والمجسمة على ان
شرط المرئي الجهة ثم المعتزله لما نفوا الجهه نفوا الرويه والمجسمة
لما اثبتوا الجهه اثبتوا الرويه والاشعريون توسطوا فاثبتوا
الرؤية ونفوا ان يكون الجهه شرطا للمرئيات وكونه مرئيا
بالمعنى الذي اراده والوجه الذي قصده مع تنزيهه عما لا يليق به
واختلف مثبتوا الرويه في جواز الرؤية بالابصار في الدنيا على
جهه الكرامه للانبياء والاولياء وفيه قولان للاشعري
حكاهما القشيري قال الزركشي واصحهما كما قاله القشيري
وغيره المنع لحصول الاجماع عليه وخلاف الصحابة انما كان
في وقوع روية النبي صلعم وليس الكلام فيه وقد روى مسلم

في صحيحه في كتاب الفتن عن عمر بن ثابت انه اخبره اصحاب
محمد صلعم انه صلعم يوم حذر الناس الدجال انه مكتوب بين
عينيه كافر يقرؤه كل مومن وقال تعلموا انه لن يرى احد منكم
ربه حتى يموت وفي الحديث الصحيح ان لله سبعين حجابا
من نور لو كشف واحد منها احرقت سبحات وجهه من
ادركته قيل وهذا الحديث مشترك الدلالة فهو دليل لمن
انكر الرؤية من حيث انه لو كشف احرق اقول والجواب ان هذا
من عادته تعالى في الدنيا كيف وقد ثبت الرؤية في الاخرة فلا يدل
على امتناعها قال ودليل لمن اثبتها اذ جعل الكشف معذوقا
بالاحراق والاهلاك فيكون ذلك اذا وردت الرؤيه
على محل قابل للفناء والهلاك اقول يعني لا مطلقا ثم الفناء
والهلاك وعدم التحمل للرؤيه باجراء الله تعالى عادته في
الدنيا على ذلك وخرق العادة ممكن فيمكن التحمل للرؤية
والبقاء عندها في الدنيا كما يمكن بل يقع ايضا في الاخرة
قال وقال القاضي عياض مذهب اهل السنة الحق انها

اي مربوطا بالاحراق والاهلاك الذي هو شر او قبيح اذ يقال عذق فلان بشر او قبيح اي رماه به ق

غير

غير مستحيلة في الدنيا بل ممكنة ثم اختلفوا في وقوعها ومن
منعه تمسك بهذا الحديث مع قوله تعالى لا تدركه الابصار
وسبب المنع عنده ان قوى الادميين في الدنيا لا يحملها
كما لم يحملها موسى صلعم قال وقال الانصاري في شرح
الارشاد نقل جماعة الاجماع على انها لا تحصل للاولياء في
الدنيا وامتناعها بالسمع والا فهي ممكنة بالعقل عند اهل
الحق كما انها حاصلة للمومنين في الاخرة باتفاقهم قال
واختلاف الصحابة في الرؤية ليلة المعراج من اقوى الادلة
على جواز الرؤية لان خلافهم كان في الوقوع لا في الجواز ولو
كان وقوعه مستحيلا لما اختلفوا في الجواز قال واختار
الشيخان ابو عمرو بن الصلاح وابو شامه المقدسي انه
لا يصدق مدعي رؤية الله في الدنيا يقظة فان شيئا منع منه
كليم الله موسى واختلف في حصوله لنبينا صلعم كيف يسمح
به لمن لا يصل الى مقامها هذا مع قوله لا تدركه الابصار
فان الجمهور حملوه على الدنيا جمعا بينه وبين ادلة الرؤية

قال الزركشي والقشيري في كتاب الاشارات اجاب عن هذه
الشبهة فقال جوزه المحققون وان لم ينل ذلك موسى صلعم
ولا يودى الى تفضيل غيره اذ كان له فضل النبوة والرؤية نفسها
لا تقتضي راحة ولا عقوبة ولكن الله تعالى اجرى العادة على
ان يخلق للمومن اعظم الراحات بها انتهى اقول ولا يخفى ان
هذا الجواب لا يخالف كلام ابن الصلاح وابن شامه فانهما انما
انكرا دعوى الوقوع اذا ادعاه مدع واما كلام القشيري فانما
هو رد على من ينكر الجواز كما لا يخفى وفي مناقب قطب الاقطاب
محيى الدين ابى محمد عبد القادر الجيلي قدس الله روحه قيل للشيخ
محيى الدين عبد القادر رض ان فلانا وسموا احد مريديه يقول
انه يرى الله عز وجل بعين راسه فاستدعى وساله عن ذلك
فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا القول واخذ عليه ان لا
يعود اليه فسالوه امحق هذا ام مبطل قال هو محق ملبس عليه
وذلك انه اشهد ببصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته
الى بصره منفذ فراى بصره بصيرته وبصيرته يتصل شعاعها

بنور شهوده فظن ان بصره راى ما شهدته بصيرته فحسب
وهو لا يدرى قال الله عز وجل مرج البحرين يلتقيان بينهما
برزخ لا يبغيان وان الله عز وجل يبعث بمشيته على ايدى
الطافة انوار جلاله وجماله الى قلوب عباده فياخذ منها ما ياخذ
من الضرر ولا ضرر من وراء ذلك رداء كبريائه الذى لا سبيل
الى الخراقه وكان جمع من المشايخ والعلماء حاضرين هذه الواقعة
فاطربهم سماع هذا الكلام ودهشوا فى حسن ايضاحه عن حال
الرجل وقام بعضهم ومزق ثيابه وخرج الى الصحراء عريانا انتهى
وينبغي تفسير بعض الفاظ يدور بين هذه الطايفه لتنحل عقدة
هذا المحل فمنها الستر والتجلي قال الاستاد ابو القسم القشيري
في رسالته العوام في غطاء الستر والخواص في دوام التجلي
والستر للعوام عقوبة وللخواص رحمة اذ لولا انه يستر عليهم
ما يكاشفهم به لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ولكنه
كما يظهر لهم ستر عليهم وعوام هذه الطايفة عيشهم في
التجلي وبلاؤهم فى الستر واما الخواص فهم بين طيش وعيش

اى ذنبا بالعفو

اذا تجلى لهم الحق طاشوا واذا ردوا الى الحظ فعاشوا وقيل انما
قال لموسى عليه السلام وما تلك بيمينك يا موسى ليستر عليه
بعض ما يعلله بعض ما اثرفيه من المكاشفات بفجاة السماع
وقال النبي صلعم انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة
والاستغفار طلب الستر لان الغفر هو الستر ومنه غفر الثوب
والمغفرة وغيره فكانه اخبر انه يطلب الستر على قلبه عند
سطوات الحقيقه اذ الخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق وقال
شهاب الدين السهروردي في العوارف في قولهم التجلي و
الاستتار قال الجنيد انما هو تاديب وتهذيب وتذويب
فالتاديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو
التجلي والتذويب للاولياء وهو المشاهدة وحاصل الاشارات
في الاستتار والتجلي راجع الى ظهور صفات النفس ومنها
الاستتار وهو اشارة الى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات
القلب ومنها التجلي ثم التجلي قد يكون بطريق الافعال وقد يكون
بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى ابقى على

الخواص

208

الخواص موضع الاستتار رحمة منه لهم ولغيرهم فاما لهم فلانهم به
يرجعون الى مصالح النفوس واما لغيرهم فلانه لولا موضع الاستتار
لم ينتفع بهم لاستغراقهم في جمع الجمع وبروزهم لله الواحد القهار قال
وقال بعضهم التجلي رفع حجبة البشريه لا ان يتلون ذات الحق و
الاستتار ان يكون البشريه حايله بينك وبين شهود الغيب
وقال عبد الرزاق الكاشي في اصطلاحاته التجلي ما يظهر للقلوب
من انوار الغيوب التجلي الاول هو التجلي الذاتي وتجلي الذات وحدها لذاتها صح
وهي الحضرة الاحديه التي لا نعت فيها ولا رسم اذ الذات التي هي
الوجود الحق المحض وحدته عينه لان ما سوى الوجود من حيث
هو وجود ليس الا العدم المطلق وهو اللاشي المحض فلا يحتاج في
احديته الى وحده وتميز يمتاز به عن شيء اذ لا شيء غيره فوحدته
عين ذاته وهذه الوحده منشاء الاحدية والوحدانيه لانها
عين الذات من حيث هي اعني لا بشرط شيء اي المطلق الذي يشمل كونه
بشرط ان لا شيء معه وهو الاحدية وكونه بشرط ان يكون معه شيء
وهو الواحدية والحقايق في الذات الاحدية كالشجرة في النواه

وهي غيب الغيوب التجلي الثاني هو الذي يظهر به اعيان الممكنات
الثابته التي هي شؤن للذاته تعالى وهو التعين الاول بصفة العالمية
والقابليه لان الاعيان معلوماته الاولى والذاتيه اي الذوات
القابله للتجلي الشهودي وللحق بهذا التجلي تنزل من الحضرة
الاحديه الى الحضرة الواحديه بالنسب الاسمائية التجلي الشهودي مبتدا
هو ظهور الوجود المسمى باسم النور وهو ظهور الحق بصور اسمائه
في الاكوان التي هي صورها وذلك الظهور نفس الرحمن الذي
يوجد به الكل انتهى ومنها الجمع والتفرقة قال السهروردي
الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه الا الحق فمتى شاهد غيره فما
جمع قال واذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع قال والتفرقة شهود
لمن شاهد بالمباينه قال وقد يريدون بالجمع والتفرقه انه اذا
اثبت لنفسه كسبا ونظرا الى اعماله فهو في التفرقه واذا
اثبت الاشياء بالحق فهو في الجمع ومنها المحاضرة والمكاشفه
والمشاهدة قال القشيري فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون
بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء

سلطان

سلطان الذكر ثم بعده المكاشفه وهو حضوره بنعت البيان غير
مفتقر في هذه الحاله الى تامل الدليل ولا تطلب السبيل ثم
المشاهدة وهي وجود الحق من غير بقاء تهمه واذا اصحى سماء
السر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف و
حق المشاهدة ما قاله الجنيد وجود الحق مع فقدانك فصاحب
المحاضرة يهديه عقله وصاحب المكاشفه يدنيه علمه وصاحب
المشاهدة تمحوه معرفته ولم يزد في بيان تحقيق المشاهدة
احد على ما قاله عمر بن عثمان المكي رح ومعنى ما قاله انه تتوالى
انوار التجلي على قلبه من غير ان تخللها ستر وانقطاع كما لو
قدر اتصال البروق فكما ان الليلة الظلماء بتوالي البروق و
اتصالها اذا قدرت تصير في ضوء النهار فكذلك القلب اذا
دام به التجلي وقال النوري لا يصلح للعبد المشاهدة وقد بقي
له عرق قايم وتوهم قوم ان المشاهدة تشير الى طرف من التفرقه
وهذا وهم وباب المفاعلة جملتها لا تقتضي مشاركه بين
اثنين نحو سافر وطارق النعل وامثاله ومنها الغيبه والحضور

وبعبر بالشهود ايضا قال القشيري الغيبة غيبة القلب عن
علم ما يجري من احوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ثم قد
يغيب عن احساسه بنفسه وغيره بوارد من تذكر ثواب او تفكر
في عقاب واما الحضور فقد يكون حاضرا بالحق لانه اذا غاب عن
الخلق حضر بالحق على معنى انه يكون كانه حاضر وذلك لاستيلاء
ذكر الحق على قلبه فهو حاضر بقلبه بين يدي ربه فعلى حسب غيبته
عن الخلق يكون حضوره بالحق فان غاب بالكليه كان الحضور على
حسب الغيبه فاذا قيل فلان حاضر فمعناه انه حاضر بقلبه لربه
غير غافل عنه ولا ساه مستديم لذكره ثم يكون مكاشفا في حضوره
على حسب رتبه لمعان يخصه الرب سبحانه بها وقد يقال الرجوع
العبد الى احساسه باحوال نفسه واحوال الخلق انه حضر اي
رجع عن غيبته ويختلف احوالهم في الغيبه فمنهم من لا يمتد غيبته
ومنهم من تدوم وقال السهروردي الشهود هو الحضور وقتا بنعت
المراقبه ووقتا بوصف المشاهدة فما دام العبد موصوفا بالشهود
والرعايه فهو حاضر فاذا فقد حال المشاهدة والمراقبه خرج من

داير

دايرة الحضور فهو غايب وقد يعنون بالغيبه الغيبة عن الاشياء
بالحق فيكون على هذا المعنى حاصل ذلك راجعا الى مقام الفناء
وقال رح في الفناء والبقاء قد قيل الفناء ان تفنى عنه
الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ بل يفنى عن الاشياء كلها
شغلا بما فني به قال وقيل الباقي ان تصير الاشياء كلها له
شيا واحدا فيكون كل حركاته في موافقه الحق دون مخالفته
فيكون فانيا عن المخالفات باقيا في الموافقات قال السهروردي
وعندي ان هذا الذي ذكره هذا القايل هو مقام صحة التوبة
النصوح وليس من الفناء والبقاء بشيء وقيل الفناء هو الغيبة
عن الاشياء كما كان فناء موسى صلعم حين تجلى ربه للجبل
وقال الخراز الفناء هو التلاشي بالحق والبقاء هو
الحضور مع الحق وقال الجنيد الفناء استعجام الكل
عن اوصافك واشتغال الكل منك بكليته وقال برهيم
بن شيبان علم الفناء والبقاء يدور على اخلاص الوحدانيه
وصحة العبوديه وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة

وسيئل الخزاز ما علامة الفانى قال علامه من ادعى الفناء
ذهاب حظه من الدنيا والاخرة الا من الله تعالى قال
السهروردى واعلم ان اقاويل الشيوخ فى الفناء والبقاء
كثيره فبعضها اشارة الى فناء المخالفات وبقاء الموافقات
وهذا تقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها
يشير الى زوال الرغبه والحرص والامل وهذا يقتضيه الزهد
وبعضها الى فناء الاوصاف المذمومة وبقاء الاوصاف
المحمودة وهذا تقتضيه تزكية النفس وبعضها اشارة الى
حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء
من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من امر الحق على
العبد فيغلب كون العبد وهو ينقسم الى فناء ظاهر وفناء
كون الحق سبحانه وتعالى صح
باطن فاما الظاهر فهو ان يتجلى الحق سبحانه وتعالى
بطريق الافعال ويسلب عن العبد اختياره وارادته فلا يرى
لنفسه ولغيره فعلا الا بالحق ثم ياخذه فى المعامله مع الله
تعالى بحسبه حتى سمعت ان بعض من اقيم فى هذا المقام
من

من الفناء كان يبقى اياما لا يتناول الطعام والشراب حتى
تجرد له فعل الله تعالى فيه ويقيض الله تعالى له من يطعمه
ويسقيه كيف شاء واحب وهذا العمرى فناء لانه فنى
عن نفسه وعن الغير نظرا الى فعل الله تعالى بفناء فعل
غير الله تعالى والفناء الباطن ان يكاشف تارة بالصفات
وتارة بمشاهدة اثار عظمة الذات فيستولى على باطنه
امر الحق تعالى حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من
ضرورة الفناء ان يغيب احساسه وقد يتفق غيبة الاحساس
لبعض الاشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الاطلاق
قال والفناء الظاهر لارباب القلوب والاحوال والفناء
الباطن لمن اطلق عن وثاق الاحوال وصار بالله لا بالحول وخرج
من القلب فصار مع مقلبه لا مع قلبه طوبى له طوبى له انتهى
وبالجمله فمجموع ما ذكرناه يرشد الى وقوع رؤية الله تعالى
للاولياء والانبياء بالطريق الاولى فى الدنيا وان لم
يكن بعين الراس الا ترى ان المحققين جوزوا رؤيته سبحانه

في الدنيا في المنام ولا فرق بين النوم واليقظه لاهل هذا الشان
والرايي في المنام هو الروح بعين البصر فكذا في اليقظة
ولا فرق بين النوم واليقظة الا باشتغال الحواس بالظواهر
ومن لا يشتغل روحه بالظواهر وينقطع الى الله تعالى
من علايق الدنيا لا فرق عنده بين النوم واليقظة واما
حرمان موسى صلعم عن الرؤية فمحمول على انه صلعم طلب
رويته تعالى على ما هو عليه بلا مثال ولا حجاب بعين
راسه فنفى سبحانه ذلك لما انه امتنع تحمل الانسان ذلك
كيف والجبل لم يتحمله فاين الانسان الضعيف ويجوز
ان يكون ذلك عاديا بانه سبحانه خص رؤيته بدار
الخلد وهذا دار الفنا لا تليق لكون نعيمها مساويا
لنعيم دار البقاء ويجوز ان يكون عقليا حقيقيا
بان يكون هذا التركيب الانساني الضعيف الدنيوي
لا يتحمل حقيقه لان ينكشف له الحق سبحانه وتعالى عن الحجب
الحاجبه عن رؤيته ولذا قال رسول الله صلعم ان لله سبعين

حجابا من نور لو كشف واحد منها احرقت سبحات
وجهه من ادركته بخلاف التركيب الاخروي له
الا ترى انه سبحانه يكبر جثة الكافرين كبرا عظيما
حتى لا يفنى في حين ويطول احساس عذابهم ثم كلما
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا اخرى ولا يخفى ان احراق
نور جماله سبحانه وتعالى اقوى من احراق نار جهنم
آه من العشق وحالاته احرق قلبي بحراراته
شاق صبري بزوايا الفراق كدر عيشي بمراراته
قال الاستاد ابو القسم القشيري رض في تفسيره المسمى
بلطايف الاشارات في الكلام على قوله تعالى ولما جاء
موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال
لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف
تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
جاء موسى مجي المشتاقين مجي المهيمنين جاء موسى
بلا موسى جاء موسى ولم يبق من موسى شيء لموسى

قال ويقال لما جاء موسى للميقات باسطه الحق سبحانه
باسماع الخطاب فلم يتمالك حتى قال ارنى انظر
اليك فان غلبات الوصل عليه استنطقه بطلب كمال
الوصلة من الشهود قال ويقال اشد الخلق شوقا الى
الحبيب اقربهم من الحبيب هذا موسى عليه السلام كان
غريق الوصله واقفا في محل المناجات محدقا به
سجوف غالبا له بديهات الوجود ثم في عين ذلك
كان يقول ارنى انظر اليك كانه غايب عن الحقيقه
لا ولكن ما ازداد القوم شربا الا ازدادوا عطشا ولا
ازدادوا قربا الا ازدادوا شوقا لانه لا سبيل الى
الوصال بالكمال والحق سبحانه يصون اسرارا صفيايه
عن مداخلة الكمال قال ويقال سال موسى الرويه وهو
بوصف التفرقة فقال ارنى نظرا اليك فاجيب بان
عين الجمع اتم من عين الفرق فدع موسى حتى يخر صعقا
والجبل حتى يصير دكا ثم الروح بعد وقوع الصعقة

213

على الغايب تكاشف بما هو حقايق الاحديه وكون
الحق عوضا عن موسى بعد امتحاء معالم موسى خير
لموسى من بقاء موسى لموسى وان على الحقيق شهود
الحق بالحق اتم من بقاء الخلق بالحق انتهى كلامه
وقال عبد الرزاق الكاشي في تاويلاته للقرآن
الكريم قوله رب ارنى انظر اليك نادرة عن
افراط شوق منه الى شهود الذات في مقام فناء
الصفات مع وجود البقيه ولن ترانى اشارة الى
استحاله الرويه مع بقاء الانيه لان التجلي الالهي
يحكم بالفناء فما تجلى لشيء الا افناه فلا يمكن روئيته
الا بعينه فمحال ان يراه غيره لانه اذا بدا فنى العين
كما قال القايل اذا تغيبت بدا وان بدا غيبنى ولكن
اذا احب عبدا افناه عن ذاته وصفاته فافنى سمعه
بسمعه وبصره ببصره وكان سمعه وبصره كما جاء
في الحديث الصحيح اذا احببته كنت سمعه الذي به يسمع

وبصره الذي به يبصر فحينئذ يرى ربه بعين ربه
كقول القايل رايت ربي بعين ربي فقلت من انت
قال انا انتهى ونحن نرجع الى ما نحن فيه اولا وهو
الكلام على روٴيه النبي صلعم في المنام قال المازري
فيما نقله القاضي عياض في شرح مسلم ولو راه يعني
النبي صلعم يامر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات
المتخيله لا المرئيه وقال النووي في زوايد
الروضة في كتاب النكاح في الكلام على خصايص
النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان من راه في المنام
فقد راه حقا لكن لا يعمل بما يسمعه الرائي
منه في المنام مما يتعلق بالاحكام لعدم ضبط
الراي لا للشك في الروٴية فان الخبر لا يقبل الا من
ضابط مكلف والنايم بخلافه انتهى وسبقه الى
ذلك ابن الصلاح في فتاواه وقال ليس ذلك من
عدم الوثوق بالمرئي بل من جهه عدم الوثوق بضبط

الراي قال بدر الدين الزركشي في الخادم و
قال ابن الاستاد عندي في هذا نظر فان روٴيته
حق وقوله حق قال الزركشي وحكى الاستاد ابو اسحق
الاسفرايني في كتاب ادب الجدل لو ان رجلا
راى النبي صلعم في المنام على الهيه التي نقلت من
صفاته فساله عن مذهبه فافتى بخلاف ما هو
مذهبه ولم يكن مخالفا للنص والاجماع هل ياخذ
بفتياه او ياخذ بمذهبه الذي يستند الى الدليل فيه
وجهان اي قولان لاصحاب الشافعي احدهما ياخذ
بقوله صلعم لان قوله مقدم على القياس وهذا الذي
قاله قول النبي صلعم لقوله من راني فقد راني الحديث
فصار كقوله في حياته والثاني ياخذ بالقياس يعني الموافق
لمذهبه لانه دليل شرعي والاحلام لا تعويل عليها
فلا يترك لاجلها الدليل الشرعي انتهى كلام الاستاد
ابي اسحق وذكر الشيخ عز الدين ابن خطيب الاشموس

في الكلام على حديث المواقع في رمضان قال اخبرني والدي
ان انسانا راى النبي صلعم في المنام وقال له اذهب
لى موضع كذا وخذ ما فيه من ركاز ولا خمس عليك فيه
وانه توجه اليه فوجده كما اخبره عليه الصلاة والسلام
وانه استفتى الفقهاء بدمشق فكلهم افتوه بعدم
الوجوب وقالوا قد ظهرت دلايل صدق الرويا و
الشيطان ممنوع من التمثل به صلعم قال وافتاه الشيخ
عز الدين ابن عبد السلام بوجوب الخمس عليه واستدل
على ذلك بان طريق القواعد النسخ ولا نسخ بعد انقطاع
الوحي بموته صلعم قال ثم اني حكيت هذه الواقعه بين يدي
شيخنا تقي الدين ابي الفتح القشيري رح فصدق روايته يعني
الذي راى الرويا وزاد على ذلك ان الشيخ عز الدين كان يرى ذلك
من باب الترجيح على تقدير صدق المنام واظن انه اراد بالترجيح
ان رواية الجمهور وجوب الخمس ورواية هذا شاذة في منامه والاول
ارجح قطعا فالعمل بها واجب انتهى ما ذكره الزركشي

وحدث

وحدث مسلم في مقدمة صحيحه عن علي بن مسهر قال لقيت حمزة الزيات
فاخبرني انه راي النبي صلعم في المنام فعرض عليه ما سمع من ابان وهو
ابن ابي عياش فما عرف منها الا شيئا يسيرا خمسة او ستة ذكره في معرض
تضعيف ابان في الرواية وقال القاضي عياض في شرحه هذا ومثله
استيناس واستظهار على ما تقرر من ضعف ابان لا انه يقطع بامر المنام
ولا انه يبطل به سنة ثبتت ويثبت به سنة لم تثبت وهذا باجماع العلما
وقال النووي في شرحه وكذا قال غير القاضي من اصحابنا وغيرهم فنقلوا
الاتفاق على انه لا يغير بسبب ما يراه النايم ما تقرر في الشرع وليس
هذا الذي ذكرناه مخالفا لقوله صلعم من راني في المنام فقد راني
فان معنى الحديث ان رويته صحيحة وليست من اضغاث الاحلام و
تلبيس الشيطان ولكن لا يجوز اثبات حكم شرعي به لان حالة النوم ليست
حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي وقد اتفقوا على ان من شرط من يقبل
روايته وشهادته ان يكون متيقظا لا مغفلا ولا سيي الحفظ ولا كثير
الخطا ولا مختل الضبط والنايم ليس بهذه الصفة فلم يقبل روايته
لاختلال ضبطه قال هذا كله في منام يتعلق باثبات حكم على خلاف

مايحكم به لولاه اما اذا راي النبي صلعم يامر بفعل ماهو مندوب اليه
اوينهاه عن منهي عنه اويرشده الي فعل مصلحة فلاخلاف في استحباب
العمل علي وفقه لان ذلك ليس حكما بمجرد المنام بل بما تقرر من اصل
ذلك الشيء والله اعلم انتهي كلامه واذا عرف هذا فقد ظهر ان رؤياي
السابق ذكرها حق ولاخفاء في ان تاويلها الهداية والارشاد الي مذهب
الشافعي رض بل وقع لي مرتين في حال تصوفي في الزمان السابق اني
رايت النبي صلعم في المنام وذكر لي مايرشدني الي ترك الامارة والاقبال
علي الفقر والخمول وفي المرة الثانية منهما حلف بالله تعالي علي ذلك
ولاشك في انه لاارشاد فوق ارشاده ومن يكرهه فلاعلاج لعناده
وبالله التوفيق ونعم الرفيق رجعنا الي كلام القاضي ابي نصر ابن السبكي
في كتابه معيد النعم قال رح ولقد رايت في طوايف المذاهب من يبالغ
في التعصب بحيث يمتنع بعضهم من الصلاة خلف بعض الي غير ذلك
مما يستقبح ذكره ويا ويح هؤلاء اين هم من الله ولوكان الشافعي وابو
حنيفة رضي الله عنهما حيين لشدّدا النكير علي هذه الطايفة وليت
شعري لم لاتركوا امر الفروع الذي العلماء فيها علي قولين من قايل كل

مجتهد مصيب ومن قايل المصيب واحد ولكن المخطي يوجر واشتغلوا
بالرد علي اهل البدع والاهواء وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية
وفضلاء الحنابلة ولله الحمد في العقايد يد واحدة كلهم علي راي اهل
السنة والجماعة يدينون الله تعالي بطريق شيخ السنة ابي الحسن
الاشعري رح لايحيد عنها الارعاع من الحنفية والشافعية ولحقوا
باهل الاعتزال ورعاع من الحنابلة لحقوا باهل التجسيم وبرا الله
المالكية فلم نر مالكيا الا اشعري العقيدة وبالجملة عقيدة الاشعري
هي ما تضمنته عقيدة ابي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب
بالقبول ورضوها عقيدة وقد ختمنا كتابنا جمع الجوامع بعقيدة ذكرنا
ان سلف الامة عليها وهي وعقيدة ابي القسم القشيري والعقيدة المسماة
بالمرشدة مشتركات في اصول اهل السنة والجماعة فقل لهؤلاء المتعصبين
ويحكم ذروا التعصب ودعوا عنكم هذه الاهوية ودافعوا عن دين
الاسلام وشمروا عن ساق الاجتهاد في حسم مادة من يسب الشيخين
ابابكر وعمر رض ويقذف ام المومنين عايشة رض التي نزل القرآن ببراءتها
وغضب الرب تعالي لها حتي كادت السماء تقع علي الارض ومن يطعن

في القرآن وصفات الرحمن فالجهاد في هولاء واجب فهلا شغلتم انفسكم
به ويا ايها الناس بينكم النصاري واليهود قد ملأوا بقاع الارض
فمن الذي انتصب منكم للبحث معهم والاعتناء بارشادهم بل هولاء
اهل الذمة في البلاد الاسلامية تتركونهم هملا تستخدمونهم وتستطبونهم
ولا نري منكم عالما يجلس مع ذمي ساعة واحدة يبحث معه في اصول الدين
لعل الله يهديه علي يديه وكان من فروض الكفايات ومهمات الدين ان
تصرفوا بعض هممكم الي هذا النوع فمن القبايح ان بلادنا ملأي من علماء
الاسلام ولا نري فيه ذميا دعاه الي الاسلام مناظرة عالم من علمائنا بل انما
يسلم من يسلم منهم اما لامر من الله سبحانه لا مدخل لاحد فيه او لغرض
دنيوي ثم ليت من يسلم من هؤلاء يري عالما يمسكه ويحدثه ويعرفه دين
الاسلام لينشرح صدره لما دخل فيه بل والله يتركونه هملا لا يدري ما باطنه
هل هو كما يظهر من الاسلام او كما كان عليه من الكفر لانهم يروه من الايات
والبراهين ما يشرح صدره فيا ايها العلماء في مثل هذا اجتهدوا او تعصبوا
واما تعصبكم في فروع الدين وحملكم الناس علي مذهب واحد فهو الذي
لا يقبله الله منكم ولا يحملكم عليه الا محض التعصب والتحاسد ولو ان

الشافعي

الشافعي وابا حنيفة ومالكا واحمد احياء يرزقون لشددوا النكير عليهم
وتبرؤا منكم فيما تفعلون فلعمر الله ما احصي عدد من رايته يشمر عن
ساعد الاجتهاد في الانكار علي شافعي يذبح ولا يسمي او حنفي يمس ذكره
ولا يتوضا، او مالكي يصلي ولا يبسمل او حنبلي يقدم الجمعة علي الزوال وهو
يري من العوام ما لا يحصي عدده الا الله تعالي يتركون الصلوة التي جزاء
من تركها عند الشافعي ومالك واحمد ضرب العنق ولا ينكرون عليه بل
لو دخل الواحد منهم بيته لراي كثيرا من خدامه ونسائه يتركون الصلاة
وهو ساكت عنهن فيا لله وللمسلمين اهذا عالم علي الحقيقة قبح الله مثله
ثم ما بالكم تنكرون مثل هذه الفروع ولا تنكرون المكوس والمحرمات
المجمع عليها ولا تاخذكم الغيرة لله تعالي فيها وانما تاخذكم الغيرة للشافعي
وابي حنيفة والمدارس المزخرفة فيؤدي ذلك الي افتراق كلمتكم و
تسلط الجهال عليكم وسقوط هيبتكم عند العامة وقول السفهاء في اعراضكم
ما لا ينبغي فتهلكون السفهاء بكلامهم فيكم لان لحومكم مسمومة علي كل
حال لانكم علماء وتهلكون انفسكم بما ترتكبونه من العظايم ومنهم
طايفة تبعت طريقة ابي نصر الفارابي وابي علي بن سينا وغيرهما من الفلاسفة

الذين نشأوا في هذه الامة واشتغلوا اباطيلهم وجهالاتهم وسموها
الحكمة الاسلامية ولقبوا انفسهم حكماء الاسلام وهم احق بان يسموا
سفهاء جهلاء من ان يسموا حكماء اذ هم اعداء انبياء الله ورسله عليهم الصلاة
والسلام والمحرفون لكلم الشريعة عن مواضعها عكفوا علي دراسة ترهات
هولاء الاقوام وسموها الحكمة واستجهلوا من عري عنها ولا تكاد تلقي احدا
منهم يحفظ قرانا ولا حديثا عن رسول الله صلعم ولعمر الله ان هولاء لاضرّ
علي عوام المسلمين من اليهود والنصاري لانهم يلبسون لباس المسلمين ويدعون
انهم من علمائهم فيقتدي العامي بهم وهم لا يعتقدون من دين الاسلام بل
يهدمون قواعده وينقضون عراه عروة عروة ۰ وما انتسبوا الي الاسلام الا
لصون دمائهم ان لا تسال ۰ فياتون المناكر في نشاط ۰ ويأتون الصلاة
وهم كسالي ۰ فالحذر الحذر منهم وقد افتي جماعة ايمتنا ومشيختنا ومشيخة
مشيختنا بتحريم الاشتغال بالفلسفة واما المنطق فقد ذكرنا كلام الايمة
والشيخ الامام الوالد فيه في اوايل شرح مختصر ابن الحاجب والذي نقوله
نحن يعني في الفلسفة انه حرام علي من لم يرسخ قواعد الشريعة في قلبه
ويمتلي جوفه من عظمة هذا النبي الكريم صلعم وشرعته ويحفظ الكتاب العزيز

وشيئا كثيرا جدا من حديث النبي صلعم علي طريقة المحدثين اقول والظاهر
ان ليس المراد الحفظ عن ظهر القلب قال ويعرف من فروع الفقه ما به
يسمي فقيها مفتيا مشارا اليه من اهل مذهبه اذا وقعت حادثة فقهية ان
ينظر في الفلسفة واما من وصل الي هذا المقام فله النظر فيها للرد علي اهلها
ولكن بشرطين احدهما ان يثق من نفسه بانه وصل الي درجة لا يزعزعها
رياح الاباطيل وشبه الاضاليل واهواء الملاحدة والثاني ان لا يمزج كلام
الفلاسفة بكلام المتكلمين وادي الحال الي طعن المشبهة وغيرهم من رعاع
الخلق في اصحابنا وما كان ذلك الا في زماننا وقبله بيسير منذ نشا نصير
الطوسي ومن تبعه لا حياهم الله فان قلت فقد خاض حجة الاسلام الغزالي
والامام فخر الدين الرازي في علوم الفلاسفة ودونوها وخلطوها بكلام
المتكلمين فهلا تنكر عليهما قلت ان هذين امامان جليلان ولم يخض واحد
منهما في هذه العلوم حتى صار قدوة في الدين وضربت الامثال باسمهما في معرفة
علم الكلام علي طريقة اهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين فمن
بعدهم فاياك ان تسمع شيئا غير ذلك فتضل ضلالا مبينا فهذان امامان
عظيمان وكان حقا عليهما نصر المومنين واعزاز هذا الدين بدفع ترهات

اوليك المبطلين فمن وصل الي مقامهما الاملام عليه في الكتب الفلسفية
بل هو مثاب ماجور اقول ولا يخفي حال الغزالي في العلم والزهد والسلوك
في طريق الاخرة وقد سبق حكاية بعض احواله رح واما الامام فخر
الدين الرازي فلا يخفي ايضا حاله لمن ينظر في تفسيره وذكر جمال الدين
الاسنوي في طبقات الفقهاء انه كان له مجلس وعظ يحضره العام والخاص
ويلحقه فيه حال ووجد قال القاضي واما طايفة في زماننا هذا وقبله
بيسير عكفت علي هذه الحكمة المقيتة من حين نشات لا تدري شيئا
سواها اشتبه عليها اقوال كفارها باقوال علماء الاسلام وتصرفت بينهما
بعقل خسيف لم يتم بكتاب وسنة ولم يضي له نور برهان من النبوات
ثم يعتقد انها علي شي فتلك الفرقة الخاسرة الضالة المضلة وقد اعتبرت
فلم اجد اضر علي اهل عصرنا وافسد لعقايدها من نظرهم في الكتب
الكلامية التي انشأها المتاخرون بعد نصير الطوسي وغيره ولو اقتصروا
علي مصنفات القاضي ابي بكر بن الباقلاني والاستاذ ابي اسحق الاسفرايني
وامام الحرمين ابي المعالي الجويني وهذه الطبقة لما جري الا الخير ورأي
فيمن اعرض عن الكتاب والسنة واشتغل بمقالات ابن سينا ومن نحا نحوه

وترك قول المسلمين قال ابو بكر وقال عمر وقال الشافعي وقال ابو حنيفة وقال
الاشعري وقال القاضي ابو بكر الي قوله قال الشيخ الرئيس يعني ابن سينا وقال
خواجه نصير ونحو ذلك ان يضرب بالسياط ويطاف به في الاسواق وينادي
عليه هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واشتغل باباطيل المبتدعين اوما
يستحيي من يتخذ اقوال ابن سينا وتعظيمه شعارا من الله تعالي اذا قرأ قوله تعالي
ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلي قادرين علي ان نسوي بنانه ويذكر
انكار ابن سينا لحشر الاجساد وجمع العظام انتهي كلام القاضي ولقد
احسن الامام الرازي في الاربعين فقال الجمع بين انكار المعاد الجسماني
وبان القران حق متعذر فان نصوص الكتاب والسنة تواترت به تواترا
لا يقبل التشكيك انتهي وقال حجة الاسلام الغزالي في كتاب التفرقة
بين الايمان والزندقة يجب تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذي
ينكر حشر الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الاخرة بظنون
واوهام واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعا اذ لا
برهان علي استحالة رد الارواح الي الاجساد وذكر ذلك عظيم الضرر
في الدين فيجب تكفير من قال منهم ان الله لا يعلم الا نفسه او لا يعلم الا

الكليات فان ذلك تكذيب للرسول صلعم قطعا وليس من قبيل التاويلات
اذ ادلة القران والاخبار علي تفهيم حشر الاجساد وتفهيم علم الله تعالى
بكل ما يجري علي الاشخاص تجاوز حدا لا يقبل التاويل وهم معترفون بان
هذا ليس من باب التاويل ولكن قالوا لما كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا
حشر الاجساد لقصور عقولهم عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في ان
يعتقدوا ان الله تعالي عالم بما يجري عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك
رغبة ورهبة في قلوبهم جاز للرسول ان يفهمهم ذلك قالوا وليس
بكذاب من اصلح غيره فقال ما فيه صلاحه وان لم يكن كما قاله وهذا
القول باطل قطعا لانه تصريح بالتكذيب ثم طلب عذر في انه لم كذب
ويجب اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق
به مندوحة عن الكذب وهذه اول درجات الزندقة انتهي كلامه
وللجيني في ذلك تحقيق بليغ محل بيانه كتاب المطالب الشريفة قال الزركشي
في شرح جمع الجوامع وزعم بعض الفلاسفة انه لم يخبر به الا محمد وعيسي
صلي الله عليهما وسلم ويرد عليهم قوله تعالي حكاية عن نوح والله انبتكم
من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا واخبار الله به عن

ومن

فالعواصم

مومن آل فرعون بقوله اني اخاف عليكم يوم التناد وقال تعالي يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال والقران
مملو منه انتهي وقال القاضي ومنهم فرقة ضمت الي هذا القدر من الحكمة
النظر في كتاب الكشاف للزمخشري في التفسير وقالت نحن متشرعون
وعارفون بتفسير كتاب الله تعالي واعلم ان الكشاف كتاب عظيم في بابه
ومصنفه امام في فنه الا انه رجل مبتدع متجاهر ببدعته يضع من قدر
النبوة كثيرا ويسيء ادبه علي اهل السنة والجماعة والواجب كشط
ما في كتاب الكشاف من ذلك كله ولقد كان الشيخ الامام الوالد يقرا يه
فلما انتهي الي كلامه تعالي في سورة التكوير انه لقول رسول كريم الاية اعرض
عنه صفحا وكتب ورقة حسنة سماها سبب الانكفاف عن اقراء الكشاف
وقال فيها قد رايت كلامه علي قوله تعالي عفا الله عنك وكلامه في سورة
التحريم في الزلة انتهي وذلك في قوله سبحانه يا ايها النبي لم تحرم ما احل
الله لك تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم قال الزمخشري وكان
هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله عز وعلا انما احل
ما احل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة

اي التلع

مفسدة والله غفور قد غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلم يواخذك
به انتهي وقال الطيبي في حواشي الكشاف هو افتري علي رسول الله صلعم
فتحريم ما احل الله باعتقاد حله لا يصدر عن مؤمن فضلا عن رسول الله
صلعم واما مجرد الامتناع من الحلال وقد يكون مؤكدا باليمين فليس من
ذلك في شيء ومعاذ الله وحاش لله مما نسبه اليه وهذه جرأة قال وفي قوله
تبتغي مرضات ازواجك تكرير للانكار وارد ف بقوله والله غفور رحيم
جبرا ناله ونظيره قوله تعالي عفا الله عنك لم اذنت لهم علي انه صلوات
الله عليه ما ارتكب عظيمة بل كان ذلك منه من باب ترك الاولي وامتناع
من المباح وانما شدد ذلك التشديد رفعا لمحله انتهي قال السبكي فيما نقله
ولده وغير ذلك من الاماكن التي اساء ادبه فيها علي خير خلق الله تعالي سيدنا
رسول الله صلي الله عليه وسلم فاعرضت عن اقراء كتابه حياء من رسول الله
صلعم مع ما في كتابه من الفوايد والنكت البديعة قال القاضي فانظر
الي كلام الشيخ الامام الوالد الذي برز في جميع العلوم واجمع الموافق والمخالف
علي انه بحر البحار منقولا ومعقولا في هذا الكتاب الذي اتخذت الاعاجم
دراسته في هذا الزمان ديدنة والقول عندنا فيه انه لا ينبغي ان يسمح بالنظر
اي عادة

221

فيه الا لمن صار علي منهاج السنة لا يزحزحه شبهات القدرية اي بدعه اقول
والعجب ان اهل زماننا يترقون من قراءة الكشاف الي قراءة حواشي سعد
الدين التفتازاني والشريف الجرجاني وما حشي عليهما البعدوا غاريرني فن
التفسير مع ان الكتابين خارجان عن فن التفسير غالبا ومع هذا فلا
يقرؤن الا وريقات قال القاضي ومنهم فرقة ترقت عن هذه الفرقة و
قالت لا بد من ضم علم الحديث الي التفسير فكان قصاراها النظر في مشارق
الانوار للصاغاني فان ترفعت ارتقت الي مصابيح البغوي وظنت انها بهذا
القدر تصل الي درجة المحدثين وما ذلك الا لجهلها بالحديث فلو حفظ
من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب وضم اليهما من المتون مثليهما
لم يكن محدثا ولا يصير بذلك محدثا حتي يلج الجمل في سم الخياط فان رامت
بلوغ الغاية في الحديث علي زعمها اشتغلت بجامع الاصول لابن الاثير
وان ضمت اليه كتاب ابن الصلاح او مختصره المسمي بالتقريب والتيسير
للنووي ونحو ذلك وحينئذ ينادي من انتهي الي هذا المقام بمحدث المحدثين
وبخاري العصر وما ناسب هذه الالفاظ الكاذبة فان من ذكرناه لا يعد
محدثا بهذا القدر انما المحدث من عرف الاسانيد والعلل واسماء الرجال

والعالي والنازل من الاسناد وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون
وسمع الكتب الستة ومسند احمد بن حنبل اقول وهو عندي في اثنا عشر
مجلدا قال وسنن البيهقي اقول وهو عندي في تسع مجلدات قال ومعجم
الطبراني وضم الي هذا القدر الف جزء من الاجزاء الحديثية هذا اقل درجاته
فاذا سمع ما ذكرناه وكتب الطباق ودار علي الشيوخ وتكلم في العلل والرجال
والاسانيد كان في اول درجات المحدثين ثم يزيد الله من شاء ما شاء ومنهم
فرقة ترفعت وقالت نضم الي الحديث الفقه فكانت غايتها البحث في الحاوي
الصغير لعبد الغفار القزويني والكتاب المذكور اعجوبة في بابه بالغ في
الحسن اقصي الغايات الا ان المرأ لا يصير به فقيها ولو بلغ عنان السماء
وهذه الطايفة يضيع اوقاتهم في تفكيك الفاظه وفهم مغاربه زمانا لو
صرفتها الي حفظ نصوص الشافعي وكلام الاصحاب لحصّلت جانبا عظيما
من الفقه ولكن التوفيق بيد الله تعالي اقول وما ذكره حال الشافعية وهمّة
اهل ديارنا الحنفية النظر في المختار او الكنز فان ترقوا فالي مختصر القدوري
فان ترقوا فالي شرح المجمع واهل المدارس من طلبة المعقولات يستنكفون
من مطالعة هذه الكتب بل نظرهم في مواضع يسيرة من معاملات صدر

الشريعة

الشريعة او الهداية وذلك ايضا ليصير وسيلة الي تحصيل مال محرّم
مرسوم اخذه للقضاة قال القاضي ومنهم طايفة صحيحة العقايد حسنة
المعرفة للفروع الا انها لم ترع جانب الله تعالي فكان علمها وبالا عليها في
الحقيقة قال النبي صلعم اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله تعالي بعلمه
اقول رواه القضاعي في مسند الشهاب عن ابي هريرة رض مرفوعا هكذا
لكن في اسناده احمد بن مروان الدّينوري المالكي اتّهمه الدارقطني نقله
الذهبي وفيه ايضا عثمان بن مقسم يرويه عن المقبري قال الذهبي تركه
يحيي القطان وابن المبارك وقال احمد حديثه منكر وقال الجوزجاني
كذّاب وقال النسائي والدارقطني متروك وقال الفلاس صدوق لكنه
كثير الغلط صاحب بدعة ونقل ابو عبد الله القرطبي هذا الحديث عن
تخريج ابي عمرو بن عبد البرّ وابن وهب وغيرهما عن ابي هريرة انّ رسول
الله صلعم قال ان من اشدّ الناس عذابا يوم القيمة عالما لم ينفعه الله بعلمه
قال القرطبي وفي اسناده عثمان بن مقسم البرّي لم يرفعه غيره وهو ضعيف
عند اهل الحديث معتزلي المذهب ليس حديثه بشيء قاله ابو عمر وانتهي و
رواه الدارمي في مسنده في باب العمل بالعلم باسناده عن ابي كبشة السلولي

في التذكرة

عن ابي الدرداء رض موقوفا عليه بلفظ ان من اشر الناس عند الله منزلة
يوم القيمة عالما لا ينتفع بعلمه انتهي وتفحصت عن احوال رجاله فلم اظفر
بقدح فيهم سوي ان الذهبي قال في الميزان ابو كبشة السلولي عن سهل بن
الحنظلية قال عبد الحق مجهول قال الذهبي وهذا خطأ بل الرجل مشهور
موثق روي ايضا عن ثوبان ابي عبد الله مولي النبي صلعم وعبد الله بن عمرو
بن العاصي اقول وابو الدرداء ايضا قال روي عنه ابن سلام ممطور
وربيعة القصير وحسان بن عطيه وغيرهم واحتج به البخاري ولا يعرف
اسمه وهو شامي انتهي والظاهر ان هذا عن ابي الدرداء ليس الا توقيفا
من الشارع صلعم فيكون في معني المرفوع اليه والله اعلم قال القاضي
وعنه صلعم اول ما يسعر به يوم القيامة رجل عالم فتندلق اقتابه في النار
فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا هذا
اليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم بالمعروف
ولا آتيه وانهاكم عن المنكر وآتيه اقول وقد سبق لفظ هذا الحديث من
رواية اسامة بن زيد فيما اخرجه البخاري ومسلم ورواه ايضا ابن ماجه
والبغوي في شرح السنة وكذا في تفسيره في الكلام علي قوله تعالي اتأمرون

الناس بالبر الآية باللفظ السابق واللفظ الذي اورده القاضي في اوله
لم اقف عليه قال وفي الحديث ايضا ان اشد الناس حسرة يوم القيامة
رجلان رجل علم علما فيري غيره يدخل الجنة لعمله به وهو يدخل به النار
لتضييعه العمل به ورجل جمع المال من غير وجهه وتركه لوارث فعمل به
الخير فيري غيره يدخل به الجنة وهو يدخل به النار اقول ولم اقف علي اصل
هذا غير ان القرطبي ذكر في التذكرة كلاما نحوه عن بعض السادة
قال القاضي ومن العلماء فرقة متنسكة تجري علي ظواهر الشرع وتحسن
امتثال اوامر الله تعالي واجتناب مناهيه الا انها تهزأ بالفقراء اي اهل
التصوف ولا تعتقد فيهم شيا وتعيبون عليهم السماع واموراً كثيرة و
السماع قد عرف اختلاف الناس فيه وتلك الامور قل ان يفهمها من
يعيبها والواجب تسليم احوال القوم اليهم وان لا ناخذ احدا الا بجريمة
ظاهرة ومتي امكننا تاويل كلامهم وحمله علي محمل حسن لا نعدل عن ذلك
لاسيما من عرفناه منهم بالخير ولزوم الطريقة ثم ندرت لفظه عن غلطه
او سقطه فانها عندنا لا تهدم ما مضي وهذه الطايفة من الفقهاء التي
تنكر علي المتصوفة مثلها مثل الطايفة من الترك التي تنكر علي الفقهاء

وقد جربنا فلم اجد فقيها ينكر علي الصوفية الا و يهلكه الله تعالي و يكون
عاقبته وخيمة ولا وجدنا تركيا يهزا بالفقراء الا و يهلكه الله تعالي و يكون
عاقبته شديدة فسبيل هذه الطايفة التوبة الي الله تعالي وحسن الظن
بخلق الله لا سيما من انقطع الي الله تعالي واعتكف علي عبادته ورفض
الدنيا ورآء ظهره هذا علاج هذه الطايفة وما اظن الفقرآء يتراؤن
فاني جربت فوجدت القلوب منقسمة الي قابل للصلاح وطريق الفقرآء
وذلك تراه منقادا لطريق الفقراء معتقدا من غير تعليم وغير قابل ولا
تراه ينقاد وان انقاد في الظاهر لم يفده الانقياد لان هولاء القوم
لا يعاملون بالظواهر ولا يفيد معهم الا الباطن ومحض الصفاء وهم اهل
الله تعالي وخاصته نفعنا الله بهم واكثر من يقع فيهم لا يفلح هذا و
الطنب رح في موضع آخر من الكتاب المذكور اولا في الكلام علي الصوفية
فقال الصوفية حياهم الله وسقاهم وجمعنا في الجنة نحن واياهم وقد
تشعبت الاقوال فيهم تشعبا ناشيا عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبسين بها
بحيث قال الشيخ ابو محمد الجويني لا يصح الوقف عليهم لانه لا حد لهم يعرف
والصحيح صحته وانهم المعرضون عن الدنيا المشتغلون في اغلب الاوقات

224

بالعبادة ومن ثم قال الجنيد التصوف استعمال كل خلق سني وترك كل خلق دني
وقال ابو بكر الشبلي التصوف ضبط حواسك ومراعاة انفاسك وقال ذو
النون الصوفي من اذا نطق ابان نطقه عن الحقايق واذا سكت نطقت عنه
الجوارح بقطع العلايق وقال علي بن بندار التصوف اسقاط روية الخلق
ظاهرا وباطنا وقال ابو علي الروذباري الصوفي من لبس الصوف علي الصفا
واذاق الهوي طعم الجفا ولزم طريق المصطفي وكانت الدنيا منه علي القفا
وكان الشيخ الامام يعني والده يقول من لزم الصدق مع الحق والخلق مع الخلق
وينشد ۰ تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ۰ قدما وظنوه مشتقا من
الصوف ۰ ولست انحل هذا الاسم غير فتي ۰ صافي فصوفي حتي لقب الصوفي
وهذه عبارات متقاربة والحاصل انهم اهل الله سبحانه وخاصته الذين
ترتجي الرحمة بذكرهم ويستنزل الغيث بدعائهم فرضي الله عنهم وعنا بهم
وللقوم اوصاف واخبار اشتملت عليها كتبهم قال الاستاذ ابو القسم
القشيري رح جعل الله تعالي هذه الطايفة صفوة اوليائه وفضلهم علي
الكافة من عباده بعد رسله وانبيايه صلوات الله عليهم وسلامه جعل قلوبهم
معادن اسراره واختصهم من بين الامة بطوالع انواره فهم الغياث

للخلق والدايرون في عموم احوالهم مع الحق ومن اوصاف هذه الطايفة
الرافة والرحمة والعفو والصفح وعدم المواخذة وضابطهم ماذكرناه
وطريقهم كما قال شيخ الطايفة ابو القاسم الجنيد رح طريقنا هذا مضبوط
بالكتاب والسنة وقال الطريق مسدود على خلق الله الا على المقتفين
اثار رسول الله صلعم ومن حقهم تربية المريد اذا لاحت عليه لوايح الخير
وامداده بالخاطر والدعا، يحكى عن بعض المشايخ ان تلميذه حضر اليه
وهو جالس في جماعة وقد ارتفع النهار فتفرس الشيخ انه في الليلة الذاهبة
كان قد ارتكب معصية فنظر اليه نظر مغضب ولم يمكنه الافصاح له
بحضر من الجماعة فنظر التلميذ الي الشيخ نظرة منكر فقام الشيخ وجاء وقبل
يد التلميذ ولم يفهم الجماعة شيا فسيل الشيخ بعد ذلك فقال انه البارحة
وقع في الزنا فنظرت اليه نظر مغضب لذلك فنظر الي نظر عاتب يقول
لو كان خاطرك معي وامدادك مصاحبي لما وقع مني ذلك فانت المقصر
فقبلت يده لصدقه فان التقصير مني ومن حقهم الوقوف في اظهار ما
يطلعهم الله عليه من المغيبات ويخصهم له من الكرامات على الاذن
وهم لا يجيزون اظهارها بلا فايدة ولا يظهرونها الا عن اذن لفايدة

من تربية او بشارة او نذارة ثم نقل رح بعض كرامات ابي بكر الصديق
وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما واعلم ان الامام عفيف الدين اليافعي
رح قد استقصى في كتابه روض الرياحين في حكايات الاولياء ونقل
كراماتهم وذكر في اواخر الكتاب ان اهل التوله والتخريب كثير لا يحصر
عدهم ولا تحصى كراماتهم ومجدهم ولكن قد يتشبه بهم من ليس منهم
ويدخل نفسه بالتزوير فيهم من هو خارج عنهم اذ لم يزل في الناس الكاذب
والصادق والطايع والفاسق والصديق والزنديق قال فان قلت
فهذا يودي الي الالتباس في اختلاف الناس في الصفات الحقيرات والنفاس
فكيف يُعتقد من لا يدري الي اي القبيلتين يرجع ومن اعتقاده للنفع ينجع
فالجواب ان حسن الظن بالمسلمين فضلا عن الصالحين باب كبير من ابواب
الخير معروف عند من هو بالخير موصوف ولكن لا يمكننا ان نطلق القول
باعتقاد كل احد لوقوع الالتباس ثم التفصيل في ذلك فيه صعوبة وغموض
اذ لا يطلع على باطن الخلق الا الخالق سبحانه او من يطلعه تعالى على ذلك
ولكني اقول في ذلك بحسب ما ظهر لي وانشرح للقول به صدري وبالله
التوفيق الناس على قسمين معتقد بكسر القاف ومعتقد بفتحها والقسم الاول

ثم قال اذا علمت ان خاصة الخلق هم الصوفية
فاعلم انه قد تشبه بهم اقوام ليسوا منهم فاجتب
تشبه اولا بهم سوء الظن فيهم ولعل ذلك
من الله تعالى كان قصد الخفاء هذه
الطايفة التي تؤثر الخمول على الظهور
انتهى صح

علي قسمين ايضا ناظر بنور الله تعالي وغير ناظر به والقسم الثاني علي قسمين
ايضا مرتكب منكرا في ظاهر الشرع مصر عليه عالم به وغير مرتكب لذلك
القسم الاول من القسم الاول المعتقِد الناظر بنور الله تعالي فهذا القسم
حاكم غير محكوم عليه في اعتقاده لانه عارف بمن يعتقد ومن لا يعتقد
كما عرفه الله تعالي بمنه وفضله والقسم الثاني منه المعتقِد من غير نور ينظر به
والكلام فيه وحكمه يختلف باختلاف القسم الثاني وهو المعتقَد بفتح القاف
فالقسم الثاني منه وهو غير المرتكب للمنكر المذكور نحسن الظن به مطلقا و
القسم الاول وهو مرتكب المذكور علي ثلثة اقسام الاول منها من يعتقده
العارفون المعروفون بالنور والعلم الباطن فهذا نعتقده مثلهم والثاني
منها من لا يعتقده المذكورون فهذا لا نعتقده لوجهين احدهما ارتكابه
للمنكر المذكور والاخر موافقة العارفين المذكورين في عدم اعتقاده والثالث
من الاقسام الثلاثة من لا نعلم هل يعتقدونه ام لا فهذا علي قسمين الاول
منهما من لم يظهر فيه شي من خوارق العادة فهذا نسيئ الظن به لاصراره
علي المنكر المذكور مع عدم معارضة كرامة او اعتقاد المذكورين والثاني
منهما من ظهر منه شيئ من ذلك فهذه علي ثلاثة اقسام الاول منها مَن

يكون معروفا بالديانة والطاعة والعبادة معرفة موجبة لظن مؤكد
مستند الي طول خلطه او غير ذلك من الاسباب الموجبة للظن القوي
فهذا نعتقده لاجتماع الكرامة والدين ونقول ما نسب اليه من المنكر
المذكور يحتمل ان يكون خرج منه بامر باطن خفي علينا كما كان الخضر مع
موسي عليهما السلام والقسم الثاني من الثلاثة من يكون معروفا بالفسق
او السحر او الكهانة فهذا نسيئ الظن به ونقدح فيه وننكر عليه لانتفاء الدين
والكرامة جميعا عنه لان هذا الذي اظهره ليس كرامة بل سحر او كهانة
يظهر علي كل ولي للشيطان نعوذ بالله منه والكرامة تظهر علي كل ولي
للرحمن تبارك وتعالي وليس الساحر والكاهن من الدين في شيئ وقد
يكون بعض السحر كفرا وكذا المنجم الذي يعتقد ان النجوم موثرة بذاتها
والطبيب المعتقد ان الطبايع موثرة بذاتها كافران نسال الله تعالي
العافية اقول وفي الاخير نظر فانه من قبيل القول بتلازم الاسباب
الطبيعية وقد صرح به المعتزلة في التوليد مع ان الصحيح انهم مسلمون
قال والقسم الثالث من الاقسام الثلاثة من يكون مجهول الحال فيما ذكرنا
من الديانة مع ظهور الخارق والمنكر المذكورين فيه فهذا نتوقف فيه

ونحن النظر ونختبره في الاقوال والافعال والاحوال والاعمال لاجل
تعارض الخارق المحتمل للكرامة والمنكر المقتضي للملامة ويلزم معه الادب
في البحث والاختبار والمجالسة فان ظهر لنا ما يقتضي الحاقه بحكم عاملناه
بمقتضاه وان لم يظهر لنا منه شيء نظرنا في المنكر الذي هو ملابسه وهو علي
قسمين فاحش وغير فاحش فان كان فاحشا تباعدنا عنه الي ان يظهر لنا ما
يقتضي القرب منه لانا علي يقين من المنكر في الظاهر والكرامة نشك فيها
في الظاهر والباطن وان كان غير فاحش قربنا منه الي ان يظهر لنا ما يقتضي
البعد عنه لان الكرامة محتملة وتحسين الظن بالمسلمين مندوب اليه واما
المنكر اليسير فلا يكاد يسلم منه الا القليل ووجود الطيب الخالص عزيز
جدا فهذه عشر اقسام وقد بقي قسم آخر وهو كل مجهول الحال ظهر منه خارق
للعادة من غير ظهور منكر منه فهذا نحسن الظن به ما لم يظهر لنا ما يقدح
فيه قال وكل من تعارض فيه موجب قدح ومدح فان تساوي الموجبات
ولم يترجح احدهما وشككنا فيه وخفي علينا حاله توقفنا فيه ولم نحكم عليه
بصالح ولا طالح ولا مدح ولا قدح بل نكل امره الي العليم الخبير الذي
ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . قال هذا ما ظهر لي من الجواب والله اعلم

بالصواب

بالصواب قال وهذا الذي ذكرته في المجهول الحال اذا لم يظهر لنا حاله
انا نجانبه او نخالطه علي حسب فحش المنكر وعدم فحشه قلته علي جهة
الاحتياط والا فليس يخفي الولي الصديق والصالح الصادق من الكاذب
الزنديق والكاهن الفاسق بل نقول يعرف هذا من هذا بادني مخالطة
بل بمجرد رؤية فليس سيما المقربين والابرار كسيما الزنادقة والفجار وهذا
يعرف بالرؤية والمخالطة فلو لبس الخبيث بكل ممكن بالطيب فلا بد ان يرشح
من باطنه ما يميز بين رشح خبيث ورشح طيب قال وهذا التفصيل والتقسيم
الذي ذكرته فيمن يعتقد ويعتقد بكسر القاف في الاول وفتحها في الثاني
عن المذكورين لا اعلم احدا ذكره ولكني اظن ان كل موفق يحسن الظن
بالفقراء من الفقهاء وغيرهم من اهل الرشاد يوافق علي ما ذكرت في الاعتقاد
اللهم الا اهل مذهب واحد معروف في البلاد والله بصير بالعباد والله
لا مطمع في موافقتهم فانهم لم يزالوا يطعنون في الاولياء والصالحين كالحبر
المعظم الذي باهابه محمد صلعم موسي وعيسي بن مريم بقوله اني امتكما
كهذا قالا لا صلي الله عليهم وسلم وذلك الامام حجة الاسلام ابو حامد
الغزالي روينا ذلك بالاسناد المتصل العالي عن الشيخ الامام العارف

ابي الحسن الشاذلي وشهد له الصدّيقون بالصدّيقية العظمي والمقام
العالي البعيد المرمي انتهى وهذا وقع في منام الشاذلي فقد ذكره هو في
تاريخه وقال كان يعني الغزالي رض رفيع المقام شهد له بالصديقية الاولياء
الكرام وهو الحبر الذي باهابه المصطفى سيّد الانام موسي وعيسي عليه
وعليهما افضل الصلاة والسلام في المنام الذي رويناه باسنادنا العالي
عن الشيخ الامام القطب ابي الحسن الشاذلي قال في روض الرياحين
وذكر الشيخ ابو الخير اليمني الشهير بابي العباس الصيّاد انه راي في بعض الايام
وهو قاعد ان ابواب السماء مفتحة واذا بعصبة من الملايكة قد نزلوا الي
الارض ومعهم خلع خضر ودابة من الدواب فوقفوا علي راس قبر من القبور
واخرجوا شخصا والبسوه الخلع واركبوه علي الدابة وصعدوا به الى السماء ولم
يزالوا يصعدون من سماء الى سماء حتي جاوز السموات السبع كلها وخرق بعدها
سبعين حجابا قال فتعجبت من ذلك واردت معرفة ذلك الراكب فقيل لي
هذا الغزالي ولا اعلم اين بلغ انتهاؤه رض وكالامام الشهير الولي الكبير
ذي السيرة الحميدة والمناقب العديدة محيي الدين النووي ممن لا يحصي عددهم
ولا ينتهي مددهم من العلماء المحققين والنظار المدققين من الصّالحين

الموفقين وقال في تاريخه ومن المشهور انه كان يقتدي ببعض المشايخ من
الصوفية ويتادب معه ويحاسبه ويقبل اشارته واخبرني بعض العلماء
الشاميين انه اشار عليه قبل موته بقليل بردّ ما عنده من الكتب المستعارة
وزيارة اهله في بلده ففعل ذلك ثم توفي عندهم في الرابع والعشرين
من رجب سنة ست وسبعين وستمائة انتهى كلامه في التاريخ وقال
في روض الرياحين ولم يزل الطاعنون المذكورون يتربّصون ظهور ما
يعدّونه زللا ينتهزون فرصة تتخذونها ذريعة الى بلوغ الاغراض في
التكفير ولو قدروا علي عقوبة لبادروا اليها لا اقدّرهم الله عليها حتي انهم
(اي يغتنمون)
يأتون الي كلام فيه استعارة او مجاز او ضرب من المبالغة او غير ذلك مما يقع
في الكلام الفصيح ويكسوه ربّ معني مليح ويعده اهل الفضل في العلوم فضلا
الذين لم يزالوا لمعرفة انواع البلاغة وتحقيق العلوم اهلا ويجعلونه هم
كفرا او بدعة وجهلا ولم يزالوا حريصين علي اظهار ما يعدّونه مساوي
بزعمهم وهي محاسن عند من خبرها وباحثين عن بواطن الفقراء مبرحين
انكشاف عورة امر الشارع بسترها وكل من راوه منعزلا عن الناس او
متجرّدا من اللباس او حافيا او حاسر الرأس او غير ذلك من هيات المتمزقين

في الله الرافضين الدنيا قالوا هذا خارج عن الكتاب والسنة والاجماع
والقياس ولم يدروا ان الطريقة العليا في الكتاب الاسنا وعزايم السنة
الغرا واجماع العقلا وقياس الفطنا هي رفض الدنيا والاعراض عما سوي
المولي سبحانه وتعالي وليس هو مجرد الرخص وما فيه لنفوسهم هوي كانهم
لم يسمعوا قول الله تعالي ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه وغيرها من الايات الكريمات الواردات في فضل الفقراء
وذم الدنيا والهوي وقوله صلعم في الاحاديث الصحيحة في مصعب بن عمير رض
وذكر اهابه ونمرته وفي اويس بن عامر رض وذكر تجرده وسيرته وقوله صلعم
في الاول منهما دعاه حب الله ورسوله الي ما ترون وفي الثاني لو اقسم علي الله
لابره وقوله صلعم ان البذاذة من الايمان وقوله صلعم يدخل الفقراء الجنة
قبل الاغنياء بخمسمائة عام وقوله صلعم ثم رجل يعتزل في شعب من الشعاب
يعبد ربه وقوله كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل والحديث الذي
فيه عيادته صلعم مع جماعة من اصحابه رض كسعد بن عبادة رض وليس عليهم
قمص ولا قلانس ولا نعال ولا اخفاف وغير ذلك من الاحاديث الواردة
في التقشف وعدم الزينة وترك التقيد بهيئة مخصوصة وكذلك سيرة

الماضين من الصحابة والتابعين وحكايات العباد من السلف الصالحين
رض اجمعين في التجرد وترك الدنيا والاشتغال بالاخري والانعزال
عن الوري والتخلي لذكر المولي سبحانه وتعالي والتغرب عن الاهل والاحباب
والاوطان والتشتت والسياحات في الفلوات انتهي كلامه في هذا الموضع
وقد اجاب قبله بقليل عن انكار وقع من بعض الفقهاء المصنفين قال
منهم ابو الفرج بن الجوزي رح بالغ في انكار بعض حكاياتهم من ذلك
حكاية ابي حمزة الخراساني رض قال حججت سنة من السنين فبينا انا امشي
اذ وقعت في بير فنازعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله لا استغيث
فما استتم هذا الخاطر حتي جاء براس البير رجلان فقال احدهما للاخر
تعال نسد راس هذه البير لئلا يقع فيها احد فاتوا بقصب وبارية وطموا
راس البير فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الي من هو اقرب منهما فسكت
(اي الحق سبحانه)
فبينا انا بعد ساعة اذا بشي جاء وكشف راس البير وادلي رجليه وكانه
يقول تعلق بي في همهمة منه كنت اعرف منه ذلك فتعلقت به فاخرجني
(اي الصوت الخفي)
فاذا هو سبع نمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك
من التلف بالتلف فمشيت قال اليافعي وما انكره المذكور رح في هذه

الحكاية من ان هذا الذي فعله ابو حمزة لايجوز ليس بصحيح لان ابا حمزة
المذكور صدر منه هذا وقد منح يقينا كاملا وقلبا مشاهدا وحالا
غالبا وحياء زاجرا له وحاجزا عليه ان يلتفت الي غير مولاه وان يري
معه سواه كما قال ابو الحسن الشاذلي رض انا لانري مع الحق من الخلق
احدا ان كان ولابد فكالهباء في الهواء ان فتشناه لم نجد شيا قال
اليافعي وكيف ينكر مثل هذه الحكاية علي من صار فانيا عما سوي الحق صاحب
قلب مشاهد لايري في الملك والملكوت الا من هو اقرب اليه من نفسه
كاشفا الضر الا الاله الواحد والعجب كل العجب ان هذا الذي انكره له
شاهد في الشرع وذلك ان ابراهيم الخليل صلعم لما القي في النار عرض له
جبريل عليه السلام وهو في الهواء قال يا ابراهيم الك حاجة قال اما
اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي وقال حسبي الله
ونعم الوكيل فهل كان من ابراهيم صلعم الا كمال يقين ومقام رفيع
مكين ومما انكر المنكر المذكور ما حكي عن بعضهم ويقال انه ابراهيم
الخواص رض وذلك انه كان لايقيم في بلد الا اياما معدودة خوف
الشهرة فلما دخل بعض البلاد اشتهر فيها فاراد ان يزيل عنه الشهرة

وما يترتب عليها من الضرر فدخل الحمام فوجد ثياب ابن الملك قد نزعها
ووضعها عند الحمامي ثم غفل الحمامي عنها فلبسها الخواص ولبس ثيابه فوقها
وخرج يمشي رويدا حتي يلحقوه وينسبوه الي اللصوصية ويزول عنه شهرة
الصلاح فلحقوه واخذوا منه الثياب وضربوه وسموه في تلك البلد لص
الحمام فقال لنفسه ههنا طاب المقام فزعم المنكر ان هذا الفعل لايجوز
في الشرع لانه عرض نفسه للتهمة والعقوبة وفعل فعلا محرما من وجوه
كثيرة والجواب عن ذلك ما اجاب به بعض الفقراء لما ساله بعض الفقها
عن هذه الحكاية بعينها وقال له اريد ان تقيم علي جوازها دليلا من ظاهر
الفقه ولا اقبل ما يذكره الفقراء فقال له الفقير المذكور ما طلبت من الدليل
حاصل مشهور قال وما هو قال اليس يجوز في ظاهر الفقه استعمال بعض
المحرمات عند بعض الضرورات كاستعمال النجاسات في المداواة قال
الفقيه قد يجوز ذلك قال الفقير فكذلك في هذه المسيلة داوي
قلبه بهذا المحرم فاعترف الفقيه فقال هذا الجواب هو الفقه بعينه
قال اليافعي وانا ازيد هذا الجواب بعض بيان وهو ان يقال اذا جاز
ان تداوي الاجسام من الاسقام بشي حرام فلان يجوز ان تداوي

القلوب التي هي محل المعرفة والنور بشيء محظور اولي وابعد من المحذور
وشتان بين الموضعين فمرض الاجسام رحمة وحسنات ومرض القلوب
نقمة وهلكات ثم الامراض انما تداوي باضداد عللها فلذا اداوي الخواص
مرض شهرة الصلاح بدواء شهرة الطلاح انتهى اقول ومثل هذا
لا يمشي فيمن ياتي بخوارق العادات وهو يدعي انها كرامات بالتصريح
او غيره من الاشعارات ومع ذلك يرتكب بالقصد المنكرات من ترك
الواجبات والمندوبات او فعل المحرمات والمكروهات اذ لا يمكن الجمع
بين ان يكون الغرض من ارتكاب المنكرات بالقصد اخفاء الحالات و
بين اظهار الخارقات مع دعوي كونها كرامات كما لا يخفي عند اهل الكمالات
فعلي هذا كل من يدعي لنفسه الولاية والقرب من الله تعالي ومع ذلك مرتكب
المنكرات فيجب علينا حمل ما يظهر علي يده من الخوارق علي غير الكرامات
من الاستدراجات والسحر والنيرنجات قال اليافعي ومن ذلك
حكاية الشبلي رض قال قال لي خاطري يوما انت بخيل قلت ما انا بخيل
قال بل انت بخيل فنويت ان اول شئ يفتح علي به اعطيه اول فقير القاه
فما تم هذا الخاطر حتي دخل علي شخص بخمسين دينارا فاخذتها وخرجت

فاول من لقيت فقيرا ضريرا وقال اكمه بين يدي مزين يحلق شعره فناولته
ذلك قال اعطه المزين قلت انها دنانير فرفع راسه الي وقال ما قيل لك
انك بخيل فناولتها المزين فقال المزين مذ قعد بين يدي هذا الفقير
عقدت مع الله تعالي عقدا ان لا آخذ علي حلاقته شيئا قال فاخذتها
وذهبت فيها الي البحر فالقيتها فيه وقلت فعل الله بك وفعل ما احبك
احد الا اذله الله تعالي قال اليافعي والجواب عن اعتراض المعترض و
انكار المنكر وزعمه ان هذا اضاعة مال من ثلاثة اوجه احدها ان
يكون فعل ذلك في وقت حال ورد عليه والشخص عنده لا يكون مكلفا
اقول ولقايل ان يقول هذا الوجه وان كان ممكنا صحيحا في نفسه الا
ان الظاهر من سياق الحكاية المذكورة انها لم تقع عند ورود مثل ذلك
الحال بل وقعت وهو عاقل مكلف ويمكن دفعه بانه يحتمل ان يكون الصادر
منه في حال زوال التكليف هو ذهابه الي البحر وما بعده وما يختلج في
القلب من انه لو كان ذلك عند ورود الحال لم يكن له شعور به فكيف
يحكيه ليس بشئ فان الخروج عن التكليف لا يتوقف علي زوال الادراك
بالكلية كيف والصبي المميز وكذا المعتوه خارجان عن التكليف مع انهما

يشعران بالامور على ان ذلك وان وقع في حال زوال التمييز ايضا فلا يبعد
لعدم بعد احتمال ان يقف عليه بعد ذلك بالالهام او باخبار الثقة عنه
ثم يخبر بذلك والله اعلم قال اليافعي والثاني ان يكون شهد فيها سمًّا
مهلكا كلّ من صارت اليه فاتلفها كما يتلف الافعي اقول وهذا الوجه
يَرُدّه ظاهر الحال وان كان احتمالا مع بعده قال والثالث ان يكون
باشارة موذنة بالاذن اضطرته الي ذلك بحيث لم يجد عنه محيصًا
والله اعلم اقول وهنا وجه آخر يحتمله الحال وهو انه حصل له العلم
بان هذا المال لابد من ضيوعه ولا يصير الي احد ينتفع به فصار عنده
بمثابة ما يجوز اضاعته من اجزاء الارض الغير المقومة كالحجر والتراب
ونحوهما فاضاعه والله اعلم قال رض ومن ذلك حكاية احمد بن ابي الحواري
عندما امره شيخه ابو سليمان الداراني ان يدخل التنور وفيه النار
لما كلّمه وهو مشغول القلب واكثر عليه من قوله حمي التنور فقال اذهب
فادخل فيه وكان قد عاهده ان لا يخالفه في شيء فدخل ومكث ساعة ثم
قال ابو سليمان الحقوا احمد فاخرجوه ولم يحترق منه شيء والجواب
عن هذا انه علم بقوة يقينه ان مراعاته للعهد المذكور ومقامه بالوفاء

به يدفع عنه كل مخوف محذور وكيي حالا من الله عز وجل هو فيه عن
حر النار مستور وقد روي عن بعض العارفين انه قال الصادق تحت
حمايه
حقارة صدقه يعني اذا ارتكب المهالك عن حماه صدقه عن الهلاك
وانقلب ذلك الهلاك نجاة باذن الله ومن ذلك قوله تعالي يا نار كوني
بردا وسلاما علي ابراهيم ومن ذلك الحكاية التي هي ان بعضهم سافر
للحج علي قدم التجريد وعاهد الله ان لا يسأل عن احد شيا فلما كان في
بعض الطريق مكث مُدّة لا يفتح عليه بشيء فضعف عن المشي ثم قال هذا
حال ضرورة وقد قال الله تعالي ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة واذا لم
اسال انقطعت عن القافلة وهلكت بسبب الضعف المؤدّي الي العجز
المودي الي الانقطاع المودي الي الهلاك ثم عزم على السوال فلمّا همّ
بذلك انبعث من خاطره امر رده عن ذلك العزم ثم قال اموت ولا
انقض عهدا بيني وبين الله تعالي فمرّت القافلة وانقطع واستقبل القبلة
مضطجعًا ينتظر الموت فبينما هو كذلك اذا بفارس قايم علي راسه معه
اداوة فسقاه وازال ما به من الضرورة وقال له تريد القافلة قال
واين مني القافلة فقال له قم وسار معه خطوات ثم قال له قف هنا فالقافلة

تاتيك فوقف واذا بالقافلة مقبلة من خلفه قال اليافعي والجواب
عن هذه الحكاية هو ما ذكرت من الجواب عن الحكاية التي قبلها بلا فرق
وعلي الجملة فكل ما جاء عنهم مما يخالف العلم الظاهر فله محامل احدها ان
لا يسلم نسبته اليهم حتي يصح عنهم والثاني بعد الصحة ان يلتمس له تاويل
يوافق العلم الظاهر فان لم يوجد له تاويل قيل لعل له تاويلا في الباطن
يعرفه علماء الباطن العارفون بالله تعالي وتذكر عند ذلك قصة موسي
مع الخضر عليهما السلام اقول وهذا انما يتمشي فيمن يجوز اعتقاده علي
ما مضي والثالث ان يكون صدر عنهم في حال السكر والغيبة والسكران
سكرا مباحا غير مكلف في ذلك الحال فالمانع سوء الظن بهم بعد امكان
هذه المخارج من عدم التوفيق نعوذ بالله من ذلك قال وبعد هذا كله
اعلموا رحمكم الله واياي ان من امتلأ قلبه ايمانا باحوال الفقراء الصادقين
منهم والصدّيقين وصحبتهم والعلم بسيرتهم سلم لهم ما سمع عنهم
وحمل ما جاء عنهم ما لا يمكن حمله علي ظاهره علي محامل صحيحة واوّله تاويلا
لايقا باحوالهم المليحة ومن جملة التاويلات هذه الثلاثة المذكورات
واما من لم يعرف احوالهم ولم يشرب من مشربهم ولم يذق من مذوقهم

ولم يطلع علي علومهم وطريقتهم ولم يخالطهم ولم يكمل حسن ظنه
بهم فانه لا شك ان لم يوفق ينكر عليهم اقوالهم وافعالهم واحوالهم
قال واما من اختلف في تكفيره منهم فمذهبي فيه التوقف ووكول الامر
الي الله تعالي ولا اري مطالعة كلامه ولا سيما لمن ليس عنده تحقيق
لقواعد الشرع ومعرفة الاصل والفرع انتهي كلامه اقول وممن كفر
منهم الحسين بن المنصور الحلاج سابقا صحب سهل بن عبد الله ثم صحب
ابا الحسن النوري وابا القسم الجنيد وغيرهم قال اليافعي في تاريخه و
الناس يختلفون فيهم فمنهم من يبالغ في تعظيمه ومنهم من يبالغ في تكفيره
ومنهم من يتوقف فيه والمحققون اعتذروا عنه واجابوا عما صدر منه
بتاويلات ومنهم القطب استاذ العارفين الاكابر الذي خضعت
لقدمه رقاب كل ولي من باد وحاضر الشيخ الشريف الحسيب النسيب
محيي الدين عبد القادر الجيلي والشيخ الكبير العارف بالله الشهير امام
الطريقة ولسان الحقيقة الشيخ شهاب الدين السهروردي الصوفي
لا المقتول في كتابه عوارف المعارف في التصوف وما يحكى عن ابي يزيد
البسطامي رح من قوله سبحاني ما اعظم شاني الحكاية عن الله تعالي قال

وكذلك ينبغي ان يعتقد في الحلاج رح قوله انا الحق وقد ذكر الغزالي
في كتاب مشكاة الانوار فصلا طويلا في الاعتذار عن الالفاظ التي
كانت تصدر عن الحلاج مثل قوله انا الحق وقوله ما في الجبة الا الله و
امثال هذه الاطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها وهكذا اعتذر
عنه وعن ما يصدر من الصوفية من الالفاظ الموهمة للحلول والاتحاد
في كتاب المنقذ من الضلال قال اليافعي واكثر المحققين حملوا ما يقع منهم
مخالفا لظاهر الشرع من الاقوال على صدوره في حال سكرهم بواردات
الاحوال انتهي ومنهم عين القضاة الهمداني قال الذهبي هو عبد الله بن
محمّد احد اذكياء بني آدم له كلام في التصوف البدعي الفلسفي فاخذ لاجل
كلامه وضلاله فصلب بعد سنة خمسمائة نسأل الله ان يتوفانا على السنّة
وذكر صاحب بستان التواريخ بين سنة تسعين واربعمائة وخمس وتسعين
واربعمائة انه قتل جماعة من الاسماعيلية وهم الباطنية بالمعسكر منهم
عين القضاة الصوفي انتهي ومنهم محمّد بن علي بن محمّد الحاكمي الطائي الاندلسي
صاحب كتاب فصوص الحكم قال الذهبي في الميزان روى الحديث عن جماعة
وصنّف التصانيف في تصوف الفلاسفة واهل الوحدة فقال اشياء منكرة

عدّها طايفة من العلماء مروقا وزندقة وعدّها طايفة من العلماء
من اشارات العارفين ورموز السالكين وعدّها طايفة من متشابه
القول وان ظاهرها كفر وضلال وباطنها حق وعرفان وانه صحيح في
نفسه كبير القدر وآخرون يقولون قد قال هذا الباطل والضلال فمن
الذي قال انه مات عليه فالظاهر عندهم من حاله انه رجع واناب
الى الله فانه كان عالما بالآثار والسنن قوي المشاركة في العلوم قال الذهبي
وقولي انا فيه انه يجوز ان يكون من اولياء الله الذين اجتذبهم الحق
الى جنابه عند الموت وختم له بالحسنى اقول فعلى هذا يكون جميع ما
اخترعه من الكلام في التصوف وكذا ما تفرد في نقله عن المشايخ واهل
التصوف من الامور والاحوال وما يدعي انه اطلع عليه في عالم الشهادة
او عالم المثال لغوا لا يلتفت اليه ولا يفيد الاعتبار به ولا الاستناد
اليه والاعتماد عليه وكذا الكلام في احوال المنتسبين اليه واقوال
المقتبسين من علومه قال الذهبي فاما كلامه فمن فهمه وعرفه على
قواعد الاتحادية وعلم محط القوم وجمع بين اطراف عباراتهم تبين له
الحق في خلاف قولهم وكذلك من امعن النظر في فصوص الحكم وانعم

التامل لاح له العجب فان الذكي اذا تامل من ذلك الاقوال والنظاير
والاشباه فهو احد رجلين اما من الاتحادية في الباطن واما من المومنين
بالله الذين يعدون ان هذه النحلة من اكفر الكفر قال فوالله لان يعيش
المسلم جاهلا جلفا لا يعرف من العلم شيا سوي سور من القران يصلي بها
الصلوات ويومن بالله واليوم الاخر خير له بكثير من هذا العرفان وهذه
الحقايق ولو قرا ماية كتاب وعمل ماية خلوة انتهي وقال القاضي ابو زرعه
ولي الدين ابن العراقي في كتاب اجوبته المرضية عن الاسيلة المكية
لا شك في اشتمال الفصوص المشهورة عنه علي الكفر الصريح الذي لا
شك فيه وكذلك فتوحاته المكية فان صح صدور ذلك عنه واستمر
عليه الي وفاته فهو كافر مخلد في النار بلا شك وقد صح عندي عن الحافظ
جمال الدين يوسف المزي انه نقل من خطه في تفسيره قوله تعالي ان الذين
كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم كلاما ينبو عنه السمع و
يقتضي الكفر وبعض كلماته لا يمكن تاويلها والذي يمكن تاويله منها
كيف يصار اليه مع مرجوحية التاويل وان الحكم انما يترتب علي الظاهر
وقد بلغني عن الشيخ الامام علاء الدين القونوي رح وادركت

اصحابه انه قال في مثل ذلك انا يؤول كلام المعصومين اقول اي كالانبيا
ومن ظهر عندنا ولايته من الناس وانما وقع عنه ندرة قال ابن العراقي
وهو كما قال وينبغي عندي ان لا يحكم علي ابن العربي نفسه بشي فاني
لست علي يقين من صدور هذا الكلام منه ولا من استمراره عليه الي
وفاته ولكنا نحكم علي هذا الكلام بانه كفر ثم ذكر بعض كلام الذهبي
الذي ذكرناه في حقه ثم قال وقال الذهبي ايضا في معجمه حدثني عثمان
المفيد ثنا ابو الفتح اليعمري سمعت ابا الفتح محمد بن علي القشيري سمعت
شيخنا ابن عبد السلام يقول وجري ذكر ابن العربي الطائي فقال هو شيخ
سوء مقبوح كذاب فقلت له وكذاب ايضا قال نعم تذاكرنا التزويج
بالجن فقال هو محال الانس جسم كثيف والجن روح لطيف ولن يعلو
هذا هذا ثم بعد قليل رايت به شجة فسالته فقال تزوجت جنية
فرزقت ثلاثة اولادا فاغضبتها يوما فضربتني بعظم حصلت منه هذه
الشجة وانصرفت فلم ارها بعد هذا او معناه قال ابو زرعه وقال
الصلاح الصفدي في تاريخه سمعت ابا الفتح ابن سيد الناس يقول
سمعت ابن دقيق العيد يقول سالت ابن عبد السلام عن ابن العربي فقال

شيخ كذاب يقول بقدم العالم ولا يحرّم فرجا انتهي ومنهم شرف
الدين ابو القسم عمر بن علي بن مرشد الحموي الاصل المصري المولد
المعروف بابن الفارض قال الذهبي في العبر في حقه حجة اهل الوحدة
وحامل لواء الشعر وقال في المغني ينعق اي يصيح في الاتحاد تلويحا وتصريحا
وقال في الميزان ينعق بالاتحاد الصريح في شعره وهذه بلية عظيمة
فتدبر نظمه ولا تستعجل ولكنك حسّن الظن بالصوفية وما ثمه الا
زيّ الصوفية واشارات مجملة وتحت الزيّ فلسفة وافاع فقد نصحتك

جمع افعي بحذف الياء

والله الموعد انتهي وقال ابو زرعه في الاجوبة السابق ذكرها الاتحاد
في شعره ظاهر ونحن نحكم بالظاهر وانما يؤوّل كلام المعصومين لكن
علماء عصره رووا عنه في معاجيمهم ولم يترجموه بشي من ذلك انتهي
وقال اليافعي في تاريخه صاحب الديوان المشتمل علي اللطايف والسلوك
والمحبة والمعارف والشوق والوصل وغير ذلك من الاصطلاحات
والعلوم الحقيقية المعروفة في كتب المشايخ الصوفية انتهي وقال الفاضل
الحسن بن الفناري في حواشي شرح المواقف هذه المسيلة يعني امتناع
اتحاده تعالي بغيره مما لم ينازع فيه من يعباء به من العقلاء بل هي مسيلة

متفق عليها الضرورتها نعم قد يتوهم فيها خلاف من الصوفية لكن هذا الوهم
مضمحل عند التامل في احوالهم واقوالهم وانما كلامهم رمز الي اسرار
سبحانية ومحمول علي التاويل قال الشيخ المحقق اوحد الدين الكرماني
بيت • تو او نشوي وليك اكر جهد كني • جايي برسي كز تو تو يي برخيزد •
انتهي اقول وقوله محمول علي التاويل يرد عليه قول ولي الدين نحن نحكم
بالظاهر وانما يؤوّل كلام المعصومين لكن قد نقلنا في كتاب حافظ
الانسان عن لافظ الايمان خلافا فيمن نطق بكلمة ردّة وزعم انه اضمر
تورية هل يكفر ام لا عند الاصوليين نعم ومقتضي مذهب الحنفية و
الغزالي بل جمهور العلماء لا فاقوال بعض الصوفية المشعرة بالاتحاد او
الحلول يكون كفرا علي احد القولين فالاولي حمل اقوالهم المشعرة بالحلول
او الاتحاد علي انها صدرت منهم في حال سكر المحبة والشوق فعلي هذا
لا يجوز لهم ولغيرهم التكلم بتلك الاقوال عند فراغ البال عن تلك
الحال الا حكاية واما الاشتغال بالكتب المصنفة الجامعة لمثل ذلك
فالظاهر حرمته واما مطالعة كتب ابن العربي فلا شك في حرمتها لما عرفت
والله اعلم رجعنا الي كلام اليافعي في روض الرياحين قال واما قول

بعض المشايخ في بعض الحكايات رايت الغوث وهو القطب رض بمكة
سنة خمس عشرة وثلاثمائة علي عجلة من ذهب والملايكة تجرون العجلة
في الهواء بسلاسل من ذهب فقد يبادر فهم بعض الناس الي انكار هذا
وليس ذلك بمنكر لانه لم يفعل ذلك بنفسه بل فعله الحق سبحانه وتعالي
في عالم الملكوت لا في هذا العالم الذي هو محل التكليف فلو ان الله تعالي
اذن لبعض عباده ان يلبس ثوب حرير مثلا وعلم العبد ذلك الاذن
يقينا فلبسه لم يكن منتهكا للشرع اقول وهذا الكلام يتمشي في التكلم
بكلام ظاهره باطل بل كفر وباطنه لا باس به والمتكلم انما يريد باطنه لا
ظاهره وقد وقع له اذن يقينا في التكلم بمثله قال فان قيل من اين يحصل
له علم اليقين قلت من حيث حصل للخضر عليه السلام حين قتل الغلام
وهو ولي لا نبي علي الصحيح عند اهل العلم كما ان الصحيح عند الجمهور
منهم انه الآن حيّ وبهذا قطع الاولياء ورجّحه الفقهاء والاصوليون واكثر
المحدثين وممن حكي ذلك عن جميع المذكورين الشيخ الامام ابو عمرو بن
الصلاح رح ونقله عنه الشيخ محيي الدين النووي رض وقرره وسال
جماعة من الفقهاء الشيخ الامام عز الدين ابن عبد السلام قالوا

ما تقول في الخضر عليه السلام احيّ هو قال ما يقولون لو اخبركم ابن
دقيق العيد انه راه بعينه اكنتم تصدقونه ام تكذبونه قالوا بل نصدقه
قال فقد والله اخبر عنه سبعون صديقا انهم رأوه باعينهم كل
واحد منهم افضل من ابن دقيق العيد قال اليافعي وهذا هو الصحيح
المختار عند المحققين من الموفقين العلماء ان العارفين بالله افضل
من العلماء باحكام الله تعالي وبهذا قال الشيخ عز الدين المذكور وغيره
انتهي كلامه اقول وما ذكره من ان الصحيح عند اهل العلم ان
الخضر ولي لا نبي يوافقه قول البغوي في تفسير سورة الكهف في تفسير
قوله تعالي فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه
من لدنا علما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم ويخالفه قول
ابن عطيه هناك والخضر نبي عند الجمهور وقيل هو عبد صالح غير
نبي انتهي وقول الامام فخر الدين قال الاكثرون ان ذلك العبد
كان نبيا ثم ذكر ادلته وضعفها ثم قال قال الاكثرون ان ذلك
العبد هو الخضر انتهي وهذا اعني كون ذلك العبد الخضر هو الصحيح
فقد وقع التصريح به في الاحاديث النبوية الثابتة في الصحيحين واما

كونه نبيا فالصحيح المختار انه ليس كذلك بل هو ولي ودليله ما ثبت
في بعض روايات البخاري عن النبي صلعم قول الخضر لموسي عليهما السلام
اما يكفيك ان التوراة بين يديك وان الوحي ياتيك ياموسي ان لي
علما لا ينبغي لك ان تعلمه وان لك علما لا ينبغي لي ان اعلمه وفي اكثر
الروايات في الصحيحين ياموسي اني علي علم من علم الله علمنيه لا تعلمه
انت وانت علي علم من علم الله علمك الله لا اعلمه وهذا ظاهر في ان الوحي
لم يكن ياتيه فلا يكون نبيا بل وليا والله اعلم ثم اقول ان ههنا بحثا
اما اولا فهو ان ما ذكره من ان الله تعالي لو اذن لبعض عباده ان
يلبس ثوب حرير مثلا وعلم العبد ذلك الاذن يقينا فلبسه لم يكن
منتهكا للشرع مردود بما ذكره الغزالي في كتاب التفرقة بين الايمان
والزندقة من ان ما يدعيه بعض من يدعي التصوف من انه قد بلغ حالة
بينه وبين الله سبحانه اسقطت عنه الصلاة وحل له شرب المسكر
والمعاصي واكل مال السلطان فلا شك في وجوب قتل مدعيه وان كان
في الحكم بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا افضل من قتل ماية كافر
اذ ضرره في الدين اعظم وينفتح به باب من الاباحة لا ينسد وضرر هذا

فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمتنع من الاصغاء اليه لظهور
كفره اما هذا فيهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب الا تخصيص
عموم اذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل درجته في الدين الي اخره
وقد سبق نقله في الوجه الثاني من وجوه تعذر اجتماع الامارة مع رعاية
الشرع في هذه الازمان وتوقفه في الحكم بخلوده في النار عجيب فان
العلماء صرحوا بكفره قال القاضي عياض في الشفاء اجمع المسلمون علي
تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر او الزنا او غير ذلك مما حرم
الله تعالي بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض غلاة
المتصوفة وقال بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة اذا صفت
نفوسهم افضت بهم الي اسقاطها واباحة كل شي لهم ورفع عهد الشرايع
عنهم يعني وهذا القايل مما اجمعوا علي تكفيره وقال ابو العباس القرطبي
في شرح مسلم في آخر باب قصة موسي مع الخضر عليهما الصلاة والسلام
ذهب قوم من زنادقة الباطنية الي سلوك طريق يلزم منه هدم الاحكام
الشرعية فقالوا هذه الاحكام الشرعية العامة انما يحكم بها علي الاغبيا
والعامة واما الاذكياء واهل الخصوص فلا يحتاجون الي تلك النصوص

بل انما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم ما يغلب عليهم من خواطرهم
قالوا وذلك لصفاء قلوبهم عن الاكدار وخلوها عن الاغيار فينجلي
لهم العلوم الالهية والحقايق الربانية فيقفون علي اسرار الكاينات و
يعلمون احكام الجزئيات فيستغنون بها عن احكام الشرايع الكليات
كما اتفق للخضر فانه استغني بما تجلى له من تلك العلوم عما كان عند موسي من تلك
الفهوم وقد جاء فيما ينقلون استفت قلبك وان افتاك المفتون قال و
هذا القول زندقة وكفر لانه انكار ما علم من الشرايع فان الله تعالى قد
اجري سنته وانفذ حكمته بان احكامه لا تعلم الا بواسطة رسله السفراء
بينه وبين خلقه وهم المبلغون عنه رسالاته وكلامه المبينون شرايعه
واحكامه اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك كما قال الله تعالي الله
يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال تعالي الله اعلم حيث يجعل
رسالاته وقال تعالي كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين
ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وامر بطاعتهم في كل ما جاؤا به واخبر ان الهدي في طاعتهم والاقتداء
بهم في غير موضع من كتابه وعلي السنة رسله كقوله تعالي اطيعوا الله واطيعوا

الرسول وكقوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله وقال اولئك
الذين هدي الله فبهداهم اقتده وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال النبي
صلعم تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة
نبيه ومثل هذا لا يحصى كثرة **اقول** وتمسكه بما ذكره يشعر بان خلاف
الباطنية في غير قبيل ما ذكره والا لا يصح الاحتجاج بها عليهم ويحتمل
ان يكون المقصود بذكر ذلك تنبيها لاهل الحق والله اعلم **قال** وعلي
الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري واجماع الخلف و
السلف علي ان لا طريق لمعرفة احكام الله التي هي راجعة الي امره ونهيه
ولا يعرف شي منها الا من جهة الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا
يحتاج معه الي سوال ولا جواب **اقول** وفي عدم استتابة خلاف و
تفصيل محله غير هذا الكتاب **قال** ثم هو قول باثبات انبياء بعد نبينا
صلعم الذي قد جعله الله خاتم انبيائه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول
وبيان ذلك انه من قال يأخذ عن قلبه وان ما وقع فيه هو حكم الله
وانه يعمل بمقتضاه وانه لا يحتاج في ذلك الي كتاب ولا سنة فقد
اثبت لنفسه خاصة النبوة فان هذا نحو ما قاله رسول الله صلعم ان

روح القدس نفث في روعي ولقد سمعنا عن بعض المخرقين المظاهرين
بالدين انه قال انا لا آخذ عن الموتي وانما آخذ عن الحي الذي لا يموت
وانما اروي عن قلبي عن ربي ومثل هذا كثير فنسال الله الهداية والعصمة
وسلوك طريق سلف هذه الامة ولا حول ولا قوة الا بالله انتهي كلامه
قال التفتازاني في شرح العقايد واما مايذهب اليه بعض المحققين
من ان النصوص علي ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارات خفية الي دقايق
تنكشف علي ارباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة
فهو كمال الايمان ومحض العرفان انتهي وقد ظهر بما نقلناه ان تجويز وقوع
الاذن من الله تعالي لبعض عباده ان يرتكب بعض المحرمات من غير
ضرورة باطل لا اصل له فان قلت ان بينه وبين مانقلته من الايمة
فرقا فان الكلام فيما ذكره الايمة في رفع التكاليف بالكلية وليس كذلك
فيما ذكره اليافعي قلت انما حكموا بكفر من ادعي رفع الحجر عن المحرمات
بالكلية عنه لقوله بارتفاع الحجر عما هو حرام شرعا عنه من غير ورود
شرع في حقه من جهة الرسول لا لخصوصيات المحرمات ولا لكليتها
وهذا المعني قايم في دعوي رفع الحجر عن بعضها بخصوصه فيلزم الحكم

بكفر من يدعي ذلك باجماع المسلمين والله اعلم واما ثانيا فاستشهاده
بحكاية الخضر عم غير صحيح لان الخضر عم ان كان نبيا فلا كلام اذ
اوحي اليه احكامه ومنها التجويز له في ان يعمل بما اداه علمه اللدني اليه
وان كان وليا فهو من امة نبي من الانبياء وهو غير موسي كما دل عليه علمه صح
الكتاب والسنة فيجوز ان يكون فعله ما اعترض به موسي توقيفا له
من نبيه بان يعلمه ان فعله بما دل عليه علمه اللدني جايز في شرعه اذا
عرفت هذا فلم يقع عن نبينا محمد صلعم مثل ذلك في حق احد مع قيام
النصوص الدالة علي خلافه فلا يصح الاستشهاد به والله اعلم وقد
عقد الشيخ شهاب الدين السهروردي في عوارف المعارف بابا في
ذكر من انتمي الي الصوفية وليس منهم قال فمن اولئك قوم يسمون نفوسهم
قلندرية تارة وملامتية اخري وقد ذكرنا حال الملامتي وانه حال
شريف ومقام عزيز وتمسك بالسنن والاثار وتحقق بالاخلاص و
الصدق وليس مما يزعم المفتونون بشئ فاما القلندرية فهو اشارة الي
اقوام ملكهم سكر طيبة القلوب حتي خربوا العادات وطرحوا التقيد
باداب المجالسات والمخالطات وساحوا في ميادين طيبة قلوبهم فقلت

اعمالهم من الصوم والصلاة الا الفرايض ولم يبالوا بتناول شي من
الدنيا ولذا انها من كل ما كان مباحا برخصة الشرع وربما اختصروا
علي رعاية الرخصة ولم يطلبوا حقايق العزيمة ومع ذلك هم متمسكون
بترك الادخار وترك الجمع والاستكثار لا يترسمون برواسم المتقشفين
والمتزهدين والمتعبدين وقنعوا بطيبة قلوبهم مع الله تعالي و
اقتصروا علي ذلك وليس عندهم تطلع الي طلب مزيد سوي ما هم
عليه من طيبة القلوب والفرق بين الملامتي والقلندري ان الملامتي يعمل صح
في كتم العبادات والقلندري يعمل في تخريب العادات والملامتي يتمسك
بكل ابواب الخير والبر ويري الفضل فيه ولكن يخفي الاعمال والاحوال
ويوقف نفسه موقف العوام في هيئته وملبوسه وحركاته واموره
سترا للحال لئلا يفطن له وهو مع ذلك متطلع الي طلب المزيد باذل
مجهوده في كل ما يتقرب به العبيد والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا
يبالي بما يعرف من حاله وما لا يعرف ولا ينعطف الا علي طيبة القلوب
وهو راس ماله والصوفي يضع الاشياء مواضعها ويدبر الاوقات
والاحوال كلها بالعلم يقيم الخلق مقامهم ويقيم امر الحق مقامه ويستر

ما ينبغي ان يستر ويظهر ما ينبغي ان يظهر وياتي بالامور في مواضعها
بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص فقوم
من المفتونين سموا انفسهم ملامتية ولبسوا لبس الصوفية لينسبوا الي
الصوفية وما هم من الصوفية بشي بل هم في غرور وغلط يتسترون
بلبسة الصوفية توقيا تارة ودعوي اخري وينتهجون مناهج اهل
الاباحة ويزعمون ان ضمايرهم خلصت الي الله تعالي وهذا عندهم هو
الظفر بالمراد والارتسام برواسم الشريعة رتبة العوام وقاصري الافهام
المنحصرين في مضيق الاقتداء تقليدا وهذا هو عين الالحاد والزندقة
والابعاد فكل حقيقة ردتها الشريعة زندقة وجهل هولاء المغرورون
ان الشريعة حق العبودية والحقيقة هي حقيقة العبودية ومن صار من
اهل الحقيقة يقيد بحقوق العبودية وحقيقة العبودية وصار مطالبا
بامور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل الي ذلك لا انه يخلع عن
عنقه ربقة التكليف ويخامر باطنه الزيغ والتحريف اخبرنا ابو زرعه
عن ابيه الحافظ المقدسي قال اخبرنا ابو محمد الخطيب قال اخبرنا ابو بكر
محمد بن عمر قال اخبرنا ابو بكر بن ابي داود قال اخبرنا احمد بن صالح

قال حدثنا عنبسه قال حدثنا يونس بن يزيد قال قال محمد يعني الزهري
اخبرني حميد بن عبد الرحمن ان عبد الله بن عتبة بن مسعود حدثه
قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان ناسا كانوا ياخذون
بالوحي على عهد رسول الله صلعم وان الوحي قد انقطع وانما ناخذكم
الآن بما ظهر من اعمالكم فمن اظهر لنا خيرا امناه وقربناه وليس الينا
من سريرته شيء الله تعالي يحاسبه في سريرته ومن اظهر لنا سوي ذلك
لم نامنه وان قال سريرتي حسنة وعنه رض من عرض نفسه للتهم فلا
يلومن من اساء به الظن قال الشيخ شهاب الدين السهروردي رض
فاذا راينا متهاونا بحدود الشرع مهملا للصلوات المفترضات
لا يعتد بحلاوة التلاوة والصوم والصلوة ويدخل في المداخل المكروهة
المحرمة نرده ولا نقبله ولا نقبل دعواه ان له سريرة صالحة قال
اخبرنا شيخنا شيخ الاسلام ضياء الدين ابو النجيب السهروردي اجازة
عن عمر بن احمد عن خلف عن السلمي قال سمعت ابا بكر الرازي يقول
سمعنا ابا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد رحمه الله يقول لرجل ذكر
المعرفة فقال الرجل اهل المعرفة بالله يصلون الي ترك الحركات من باب

البر والتقوى الى الله تعالي فقال الجنيد ان هذا قول اقوام تكلموا
باسقاط الاعمال وهذه عظيمة عندي والذي يسرق ويزني احسن
حالا من الذي يقول هذا وان العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله
واليه يرجعون فيها ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة الا
ان يحال بي دونها وانها لآكد في معرفتي واقوى لحالي وهذا رواه
القشيري ايضا ونقل عنه ايضا انه قال الطرق كلها مسدودة علي الخلق
الا من اقتفى اثر الرسول صلعم وانه قال من لم يحفظ القران ولم يكتب
الحديث لا يقتدي به في هذا الامر لان علمنا مقيد بالكتاب والسنة وفي
رواية مذهبنا هذا مقيد بالاصول الكتاب والسنة وفي اخرى علمنا
هذا مشيد بحديث رسول الله صلعم انتهى وقال الشيخ ابو عبد الرحمن
السلمي رح في تاريخ الصوفية في حق الجنيد رض هو امام القوم وسيدهم
والمرجوع اليه في علوم الاحوال والاشارات والمتفق عليه بالتقدم و
المجاوزة عن حدود ابناء جنسه من هذه الطبقة وكان عالما بعلوم
الظاهر فقيها يفتي علي مذهب ابي ثور انتهي وابو ثور تلميذ الامام الشافعي
رض فلذلك يعد الجنيد رض من الفقهاء الشافعية ويذكر في طبقاتهم

وقال القشيري في الرسالة في حقه سيد الطايفة وامامهم اذا عرفت
هذا فالمرجع اليه وامثاله ولا التفات الى الدعاوي الباطلة الصادرة
عن الملاحدة ونحوهم وروي السلمي والقشيري عن ابي يزيد البسطامي
قال لو نظرتم الي رجل اعطي من الكرامات حتي يرتفع في الهواء فلا تغتروا
به حتي تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي وحفظ الحدود واداء
الشريعة انتهى قال السهروردي ومن جملة اوليك قوم يقولون بالحلول
خذلهم الله ويزعمون ان الله تعالي يحل فيهم ويحل في اجسام يصطفيها
ويسبق الي فهومهم معني من قول النصاري في اللاهوت والناسوت
ومنهم من يستبيح النظر الي المستحسنات اشارة الي هذا الوهم ويتخايل
له ان من قال كلمات في بعض غلباته كان مضمرًا لشي مما زعموه مثل قول
الحلاج انا الحق وما يحكى عن ابي يزيد قوله سبحاني حاشا ان يعتقد في
ابي يزيد انه يقول ذلك الا علي معنى الحكاية عن الله تعالي وهكذا ينبغي
ان يعتقد في الحلاج قوله ذلك ولو علمنا انه ذكر ذلك القول مضمرًا لشي
من الحلول رددناه كما نردهم وقد اتانا رسول الله صلعم بشريعة بيضاء
نقية يستقيم بها كل معوج وقد دلتنا عقولنا علي ما يجوز وصف الله

تعالي به وما لا يجوز والله تعالي منزه ان يحل به شي او يحل بشي حتى لعل
بعض المفتونين يكون عنده ذكاء وفطنة غريزية ويكون قد سمع كلمات
تعلقت بباطنه فيتالف له في فكره كلمات ينسبها الي الله سبحانه وانها
مكالمة الله اياه مثل ان يقول قال لي وقلت له وهذا رجل جاهل بنفسه
وحديثها جاهل بربه وبكيفية المكالمة والمحادثة واما عالم ببطلان ما
يقول يحمله هواه علي الدعوي بذلك ليوهم انه قد ظفر بشي وكل هذا
ضلال ويكون سبب تجريه علي هذا ما سمع من كلام بعض المحققين
مخاطبات وردت عليهم من الله تعالي بعد طول معاملات لهم ظاهرة
وباطنة وتمسكهم باصول القوم من صدق التقوي وكمال الزهد في الدنيا
فلما صفت اسرارهم تشكلت في سرايرهم مخاطبات موافقة للكتاب
والسنة نزلت بهم تلك المخاطبات عند استغراق السراير ولا يكون
ذلك كلاما يسمعونه بل كحديث في النفس يجدونه يرونه موافقا للكتاب
والسنة مفهوما عند اهله موافقا للعلم ويكون ذلك مناجاة لسرايرهم
ومناجاة سرايرهم اياهم فيثبتون لنفوسهم مقام العبودية ولمولاهم
الربوبية فيضيفون ما يجدونه الى نفوسهم والي مولاهم وهم مع ذلك

عالمون بان ذلك ليس كلام الله وانما هو علم حادث احدثه الله في
بواطنهم فطريق الاصحاء في ذلك الفرار الى الله من كل ما تحدّث نفوسهم
به حتى اذا برئت ساحتهم من الهوى والهموا في بواطنهم شيئا ينسبونه
الى الله تعالى نسبة الحادث الى المحدث لا نسبة الكلام الى المتكلم ليصانوا
عن الزيغ والتحريف ومن اوليك قوم يغرقون في بحار التوحيد ولا
يثبتون ويسقطون لنفوسهم حركة وفعلا ويزعمون انهم مجبورون
على الاشياء وان لا فعل لهم مع فعل الله سبحانه ويسترسلون في المعاصي
وكل ما تدعوا النفس اليه ويركنون الى البطالة ودوام الغفلة والاغترار
بالله والخروج من الملة وترك الحدود والاحكام والحلال والحرام
وقد سيل سهل عن رجل يقول انا كالباب لا تحرّك الا اذا حرّكت
قال هذا لا يقوله الا احد رجلين اما صدّيق او زنديق لان الصدّيق
يقول هذا القول اشارة الى قوام الاشياء بالله مع احكام الاصول و
رعاية حدود العبودية والزنديق يقول ذلك احالة للاشياء على الله
واسقاط للّائمة عن نفسه وانخلاعا عن الدين ورسمه فاما من كان
معتقدا للحلال والحرام والحدود والاحكام معترفا بالمعصية اذا صدرت

منه معتقدا وجوب التوبة منها فهو سليم صحيح وان كان قاصرا عما
يركن اليه من البطالة ويستروح بهوى النفس الى الاسفار والتردد في
البلاد متوصلا الى تناول اللذايذ والشهوات غير متمسك بشيخ يؤدّبه
ويهذّبه ويبصّره بعيب ما هو فيه والله المعين وبه نستعين انتهى وقد
فصّل الغزالي رح في كتاب ذم الغرور من كتب الاحياء احوال فرق المغترين
من المتصوفة فقال فرقة منهم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله
تعالى اغترّوا بالزي والمنطق والهيات فساعدوا الصادقين من الصوفية
في زيهم وهيئتهم واصطلاحاتهم واحوالهم الظاهرة في السماع والرقص
والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله
في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وخفض الصوت في الحديث
الى غير ذلك من الشمايل والهيئات فلما تشبهوا بهم ظنوا انهم ايضا صوفية
ولم يتعبوا انفسهم قط في المجاهدة والمراقبة وتطهير الظاهر والباطن
من الآثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوايل منازل الصوفية كيف و
لم يحوموا قط حولها بل تراهم يتكالبون على الحرام والشبهات واموال
السلاطين ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض

بعض مما خالفه في شي من غرضه **وفرقة اخري** زادت علي هولاء في الغرور
اذ شق عليها الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضي بالدون وارادت
ان تتظاهر بالتصوف فلم تجد بدا من التزي بزيهم فتركت الخز والابريسم
وطلبت المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصنوعة و
لبست من الثياب ما هو ارفع قيمة من الابريسم وظنوا مع ذلك انهم متصوفة
بمجرد المرقع المزين ونسوا انهم اي الصوفية حقا انما لبسوا المرقع اذ كانت
ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فهولاء اظهر حماقة
من كافة المغرورين فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويأكلون
اموال السلاطين ويظنون بانفسهم الخير وشر هولاء مما يتعدي الي
الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم يفسد عقيدته في
اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم من جنس هولاء فيطلقون اللسان
في الصادقين منهم وكل ذلك شوم المتشبهين وشرهم **وفرقة اخري**
ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والملازمة لعين
الشهود والوصول الي القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي
والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات وهو يرددها

ويظن ان ذلك اعلي من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الي اصناف
العلماء بعين الازراء ويدعي لنفسه انه الواصل الي الحق ومن المقربين
وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقي
المغرورين الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب
عملا ولم يراقب قلبا سوي اتباع الهوي وتلقف الهذيان وحفظه **و**
فرقة اخري منهم وقعت بالاباحة وطوت بساط الاحكام فبعضهم
يقول ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم يقول قد كلف
الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا وذلك محال
لانا جربناه وادركنا ان ذلك محال وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح
لا وزن لها وانما النظر الي القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالي
فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب ويزعمون انهم قد ترقوا
من رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان
الشهوات لا يصدهم عن طريق الله لقوتهم فيه ويرفعون انفسهم عن
درجة الانبياء صلعم اذ كان يصدهم عن طريق الحق تعالي خطيئة واحدة
حتي كانوا يبكون عليها سنين متوالية واصناف غرور اهل الاباحة

من المتشبهين بالصوفية لاتحصى وكل ذلك بناء على اغاليط ووساوس
خدعهم الشيطان لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير
اقتداء بشيخ متيقن في الدين والعلم صالح للاقتداء واحصاء اصنافهم يطول
وفرقة اخرى جاوزت حدّ هولاء واحسنت الاعمال واستغنت بتفقد
القلب وصارت تدعي المقامات من الزهد والتوكل وغيرها من غير الوقوف
على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها فمنهم من يدّعي الوجد و
الحب لله تعالى ويزعم انه واله بالله تعالى ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالات
هي بدعة او كفر فيدّعي حب الله تعالى قبل معرفته ثم انه لا يخلو عن مقارفة
ما يكره الله وعن ايثار هو نفسه على امر الله وعن ترك بعض الامور حياء
من الخلق ولو خلا لما تركه حياء من الله عز وجل وليس يدري ان كل ذلك
يناقض حب الله سبحانه وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل والرضا
والحبّ لله فيخوض البوادي من غير زاد لتصحيح دعوى التوكل وليس يدري
ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابة وقد كانوا اعرف بالتوكل
منه بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد وما
من مقام من مقامات المنجيات الا وفيه غرور قد اغتر به قوم وفرقة

اخرى ضيّقت على نفسها في امر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص و
اهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم
من اهمل الحلال في مطعمه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك ولم يدر
ان الله تعالى لم يرض عنه بتفقد بعض الاعمال واهمال البعض فمتى ظنّ
ان بعض هذه الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقة اخرى ادّعوا
حسن الخلق والتواضع والسماحة فتصدّوا للخدمة الصوفية فجمعوا
قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسة وجمع المال
وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون التواضع وغرضهم الاستتباع وهم
يظنون ان غرضهم الارفاق والخدمة ويجمعون من الحرام والشبهات
وينفقون عليهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وفرقة
اخرى اشتغلوا بالمجاهدة وتهذيب الاخلاق وصاروا يتعمقون فيها
فاتخذوا البحث عن عيوب النفس ويتعمقون فيه بكلمات مسلسلة تضيع
الاوقات في تلفيقها وفرقة اخرى جاوزوا هذه الرتبة وابتدوا سلوك
الطريق وانفتحت لهم ابواب المعرفة فلما شموا من مبادي المعرفة رايحة
تعجبوا منها وفرحوا بها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها وفي كيفية

ويتشعفون صح

انفتاح بابها عليهم وانسداده على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجايب
طريق الله تعالي ليست لها نهاية وفرقة اخري جاوزوا هولاء فلم يلتفتوا
الي ما يفيض عليهم من الانوار في الطريق جادين في المسير حتي قاربوا
فوصلوا الي حد القربة الى الله تعالي فظنوا انهم وصلوا الي الله تعالي وغلطوا
فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ولا يصل السالك الى حجاب الا و
يظن انه قد وصل والحجاب الاول بينه وبين الله تعالى نفسه فانه ايضا
امر رباني وهو نور من انوار الله تعالي اعني سر القلب الذي يتجلي فيه حقيقة
الحق حتى انه ليتسع لجملة العالم ويتجلي فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق
نوره اشراقا اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر
محجوب بمشكاة هي كالساتر له فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب بعد
اشراق نور الله تعالي عليه ربما التفت صاحب القلب الي القلب فيري من
جماله الفايق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا
الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به وهلك وانواع الغرور في
طريق السلوك لا تحويه مجلدات انتهى ما ذكره ونحن نرجع الي بقايا
كلام القاضي ابي نصر ابن السبكي رح في معيد النعم قال واعلم ان

الصوفية اكثرهم لا يرضى بدخول الخوانق ولا التعلق بشي من اسباب
الدنيا ونحن نتذكر بهم ولا نذكرهم ولكنا نتكلم على ذوي الاسباب منهم
لانهم لما خالطوا اهل الدنيا تطرق اليهم البحث على قدر مخالطتهم فنقول
منهم شيخ الخانقاه وربما سمي كبير هذه الطايفة شيخ الشيوخ وربما
قيل شيخ شيوخ العارفين وسمعت الشيخ الامام يشدد النكير في هذه
العبارة ويقول شيخ شيوخ العارفين يرددها مرارا منكرا لها ويقول
لم يقنع بادعاء المعرفة حتى ادعى انه شيخ شيوخها اذا عرفت هذا فنقول
حق على شيخ الخانقاه تربية المريد وحمل الاذي والضيم واعتبار قلوب
جماعته قبل قوالبهم والكلام مع كل منهم بحسب ما يقبله عقله ويحمله
قواه ويصل اليه ذهنه والكف عن ذكر الفاظ ليس سامعها من اهلها
كالتجلي والمشاهدة ورفع الحجاب اذا كان السامع بعيدا عنها فان في
ذكرها له من المفاسد ما لا خفاء به بل ياخذ المريد بالصلاة والتلاوة
والذكر وتربية على التدريج والله الله في الفاظ جرت من بعض سادات
القوم لم يعنوا بها ظواهرها وانما عنوا بها امورا صحيحة فلا ينبغي للشيخ
ذكرها المريد لا يفهمها فانه يضله مثل ما يقال عن بعضهم العلم حجاب

فانه لا يريد به ظاهر ما يفهمه المبتدي منه ولكن له معنى لا يناسب حال
المبتدي الكشف عنه وغير ذلك من الفاظ ربما جرى بعضها في حال
السكر فانها لا يقتدى بها ولا توجب لقدح في قايلها بل يسلم اليه حاله
ويقيم عذره فيما سقط من بين شفتيه حالة الغيبة فان الشارع لم يكلف
غايب الذهن هذا اذا فقدت اسباب التاويل لكلامه بالكلية ولن تجد ذلك
ان شاء الله تعالى في كلام احد من المعتبرين بل قد نزه الله الفاظهم عن
الاباطيل وما لهم كلمة الا ولها محمل حسن ومنهم فقراء الخوانق وانت قد
عرفت ان حقيقة الصوفي من اعرض عن الدنيا واقبل على العبادة فقل
لفقير الخانقاه ان دخلتها لتسد رمقك وتستعين على التصوف فهذا
حق وان انت دخلتها لتجعلها وظيفة تحصل بها الدنيا ولست متصفا
بالاعراض عن الدنيا والاشتغال غالب الاوقات بالعبادة فانت مبطل
ولا تستحق في وقف الصوفية شيئا وكل ما تاكله منها حرام لان الواقف
لم يقفها الا على الصوفية ولست منهم في شي وقد كثر من جماعة اتخاذ
الخوانق اسبابا والدلوق المرقعة طرايق للدنيا فلم يتخلقوا من اخلاق القوم
بغير لباس الزور وهولاء المتشبهة الذين فيهم يقول الشافعي رض فيما نقل

عنه رجل اكول نؤوم كثير الفضول وقال الامام ابو المظفر ابن السمعاني
نعوذ بالله من العقرب والفار ومن الصوفي اذا عرف باب الدار وقال
شيخنا ابو حيان في هولاء اكلة بطلة سطلة لا شغل ولا مشغلة وقيل
رجل يظهر الاسلام ويبطن فاسد العقيدة ونهاية الاقدام في رجلة تجمجم
وعذبته من قدام يكون غالبا من بلاد الاعجام وقال بعضهم
ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك ان غنى المغنونا
فهولاء القوم اذا اتخذوا الخوانق ذريعة للباس الزور واكل الحشيش و
الانهماك على حطام الدنيا لا سترهم الله وفضحهم على رؤس الاشهاد
ولكن فيهم ولله الحمد من لا يدخل الخانقاه الا ليقطع علايقه ويشتغل
بربه ويرضى بما تهيا منها معينا له على سد رمقه وستر عورته فلله دره
ومنهم خادم الخانقاه ومن حقه توفير اوقاتهم للعبادة فانه في عبادة
ما دام يعينهم على العبادة بهذه النية فينبغي له السعي في كل ما يكون
ذريعة الى ذلك وينبغي احتفاظه بفاضل اقواتهم ووضعه في مستحق
من مسكين او هرة ونحو ذلك ولا يرميه فليس من شيمتهم طرح الزاد
وينبغي له تثمير وقفهم كما ذكرناه في مباشري الاوقاف ومنهم شيخ الزاوية

وغالب الزوايا في البراري فمن حقه تهيئة الطعام للواردين والمجتازين
ومؤانستهم اذا قدموا بحيث يزول خجلة الغربة عنهم ولا باس بافراد
مكان للوارد ليلا يستحيي وقت اكله وراحته انتهي كلامه فيما يتعلق
بالصوفية فنرجع الي نقل بقية كلامه في العلماء قال ومنهم المفتي و
قد خص جماعة كتاب ادب الفتيا بالتصنيف وذكر الفقهاء ما لا طايل
في اعادته لكنا ننبه علي ما كثر في بعض المفتين فنقول منهم من يسهل
امر الشرع ويتناهي الي ان يفتي ببعض ما لا يعتقده من المذاهب ويرخص
لبعض الامرآء ما رخص فيه لعموم الخلق بعض العلماء فيقول مثلا لمن ساله
عن انتقاض الوضوء بمس الذكر لا ينتقض عند ابي حنيفة وعن لعب
الشطرنج واكل لحم الخيل حلال عند الشافعي وعن مجاوزة الحدود في
التعزيرات جايز عند مالك وعن بيع الوقف اذا خرب وتعطلت
منفعته ولم يكن له ما يعمر به حلال عند احمد بن حنبل وهكذا فليت
شعري باي مذهب افتي هذا المفتي وعلي اي طريقة جري وباي امام
يتعلق فقد ركب لنفسه بمجموع هذه الامور مذهبا لم يقله احد فان
قلت اليس قد ذهب بعضهم الي جواز تتبع الرخص قلت ذلك علي ضعفه

لا يوجب اغراء السفلة بدين الله وتخصيص الامرآء دون غيرهم وقايل
هذه المقالة يخصص بها من يشاء ولا يعتقدها ايضا فانه لو اعتقدها
لم يخص بها وهذا من علامات الاستهانة بدين الله تعالي نعوذ بالله
من الخذلان وما هذا المفتي الا ضال خارق لحجاب الهيبة مسقط لهيبة
الشرع مفسد لنظام الدين انشدت من بعض سفهاء الشعراء

الشافعي من الايمة قايل ۞ اللعب بالشطرنج غير حرام
وابو حنيفة قال وهو مصدق ۞ في كل ما يروي من الاحكام
شرب المثلث والمربع جايز ۞ فاشرب علي امن من الاثام
واباح مالك الفقاح تكرما ۞ في ظهر جارية وظهر غلام
والحبر احمد حل جلد عميرة ۞ وبذاك يستغني عن الارحام
فاشرب ولط وازن وقامر واحتجج ۞ في كل مسيلة بقول امام

فقلت رايي في مثل هذا الشاعر ان يضرب بالسياط ويطاف به
في الاسواق فقبحه الله واخزاه لقد اجترأ علي ايمة المسلمين وهداة
المومنين وقد افتري علي مالك فيما عزاه اليه وعلي الكل في تسمية الشطرنج
قمارا والطلاق الشرب واللواط والزنا علي ما سماه ومن هذه حالة تؤل

كناية عن الاستهزاء بالدين

والعياذ بالله الي الزندقة ولعل الاصل في هذا قول ابي نواس

اباح العراقي النبيذ وشربه • وقال حرامان المدامة والسكرُ
وقال الحجازي الشرابان واحد • فحلّت لنا من بين قوليهما الخمر
ساخذ من قوليهما طرفيهما • واشربها لا فارق الوازر الوزر

ومعنى هذا ان اباحنيفة وهو العراقي اباح النبيذ اذا لم يسكر وحرّم المسكر مطلقا نبيذا كان او خمرا والخمر مطلقا مسكرا كان او غير مسكر وان الشافعي وهو الحجازي قال الشرابان واحد النبيذ والخمر فيحرم قليل كل منهما وكثيره فركّب هو من بين قوليهما قولا ثالثا لكنه رافع للمجمع عليه وهو وفاق الشافعي على ان الشرابين واحد لكن لا في الحرمة بل في الحل فهو مع ابي حنيفة في تحليل النبيذ غير المسكر ومع الشافعي في ان المسكر والخمر مثل النبيذ ومخالف له في حرمة المثلث فيقول مثله لكن في الحل والشافعي يقول مثله لكن في الحرمة فهذا ابو نواس لم يقصد الا نوعا من المجون الذي لا يخلو عنه الادبا ؤلكن المجون في هذا الباب قبيح جدا لانه تلاعب بدين الله اقول اعلم ان ههنا بحثا وهو انه اذا اختلف اهل العصر علي قولين فهل لمن بعدهم احداث قول ثالث فيه مذاهب اصحها المنع

مطلقا وعليه الجمهور كما اذا اجمعوا على قول واحد حرم احداث ثان والثاني الجواز مطلقا واليه ذهب اهل الظاهر وبعض الحنفية والشيعة والثالث وهو الحق عند المتاخرين المحققين ان القول الثالث ان لم يرفع شيا مما اتفق عليه القولان الاوّلان جاز احداثه لان المحذور مخالفة الاجماع وهي منتفية ههنا وان رفع لم يجز للزوم مخالفة الاجماع مثال الاول اختلافهم في متروك التسمية فمنهم من قال يحل اكله سواء كان الترك عمدا او سهوا ومنهم من قال لا يحل اكله سواء كان الترك عمدًا او سهوا فالتفصيل بين العمد والسهو في حل الاكل وعدمه كما نقل عن مالك رضي الله عنه ليس رافعا لشئ اجمع عليه القولان الاوّلان بل هو موافق لكل واحد منهما لكن في حال دون حال ومثال الثاني مسئلة الجدّ والاخوة فان الامّة اختلفوا فمنهم من قال المال كله للجدّ ولا شئ للاخ مع وجوده ومنهم من قال بعضه للاخ وبعضه للجدّ اما بطريق المقاسمة او بطريق الفرضية على اختلاف القائلين على ما بيّن في علم الفرايض فالقول بان المال كله للاخ ولا شئ للجد قول ثالث خارق لما اجمع عليه القولان السابقان وهو ان له قسطا من المال فيكون باطلا اذ لا سبيل الي خرق ما نـ

بالاجماع ولايشكل على هذا ما قال الشافعي رض من ان وطء الجارية الثيب
لايمنع ردها بالعيب بلا عقر مع ان الامة قبله كانوا مختلفين على قولين
منع الرد مطلقا والرد مع العقر لانه لم يثبت خوض جميع من تقدمه
من المجتهدين في المسيلة بل كان القولان من الخايضين فيها لا غير فلذلك
احدث الشافعي القول الثالث فيها وقال بالرد مجانا ومثّل الزركشي في
شرح الجمع لاحداث قول ثالث كما سبق عن القاضي ابي نصر ايضا بان
الشافعي يقول ما اسكر كثيره فقليله حرام سواء ماء العنب وهو المسمي بالخمر
او غيره وابو حنيفة يقول المسكر من كل شي حرام واما غير المسكر فان كان
خمرا فكذلك والا فلا يحرم منه الا القدر المسكر فمن قال يحل ما لا يسكر
من خمر وغيره وقصر التحريم على القدر المسكر من كل شي فقد خرق الاجماع
لان قوله في الخمر امر لم يقل به احد اقول ومقتضي هذا التمثيل ان احداث
قول بحرمة قليل الخمر داخل في هذا الخلاف فيكون تناول القدر الغير المسكر
من الخمر جايزا على قول والحق انه ليس كذلك فان حرمة تناول القدر الغير
المسكر منها كالقدر المسكر منها مما هو معلوم من الدين بالضرورة فلا يجوز
القول بحل القدر القليل منها بالضرورة من الدين بل هو كفر بيقين لانه

انكار لما علم بالضرورة مجيئه من الدين وبالله التوفيق على كل تحقيق
قال في معيد النعم ومنهم طايفة تصلبت في امر دينها فجزاها الله خيرا
تنكر المنكر وتشدد فيه وتاخذ بالاغلظ وتتوقي مظان التهم غير انها
تبالغ فلا تذكر لضعفة الايمان من الامرا او العوام الا اغلظ المذاهب
فيودي ذلك الي عدم انقيادهم وسرعة نفورهم فمن حق هذه الطايفة
الملاطفة وتسهيل ما في تسهيله قايد لمثل هولاء الي الخير اذا كان الشرع قد
جعل للتسهيله طريقا كما ان من حقها التشديد فيما تري ان في تسهيله ما يودي
الي ارتكاب شي من حرمات الله تعالى فقد روي ان سايلا جاء الى عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما فساله هل للقاتل توبة فقال لا وساله آخر فقال له توبة
فسيل ابن عباس عن ذلك فقال اما الاول فرايت في عينيه ارادة القتل فمنعته
واما الثاني فجاء مستكينا قد قتل فلم اقنطه قلت ومن ثم قال الضميري ان
ساله سايل فقال ان قتلت عبدي فهل علي قصاص فواسع ان يقول ان
قتلته قتلناك فعن النبي صلعم من قتل عبده قتلناه ولان القتل له معان
وهذا كله اذا لم يترتب على اطلاقه مفسدة ومنهم من يتسرع الي الفتيا
معتمدا على ظواهر الالفاظ غير متامل فيها فيوقع الخلق في جهل عظيم

ويقع هو في الم كبير وربما اداه ذلك الى اراقة الدماء بغير حق ومن امثلة
ما يصلح للالغاز ما حكي ان شخصا احبّ الاجتماع بالمامون امير المومنين
فاعياه السعي في ذلك ولم يصل اليه فقام في ملاء من الناس وقال ايها
الناس اثبتوا علي فلست بسايل اعلموا ان عندي ما ليس عند الله ولي ما ليس لله
ومعي ما لم يخلق الله وانا احبّ الفتنة واكره الحق واقول ان اليهود قالت حقا
وان النصاري قالت حقا ومعي زرع ينبت بغير بذر وسراج يضيء بغير نار
وانا احمد النبي وانا ربكم ارفعكم واضعكم فقاموا اليه وكادوا ياتون
على نفسه وقالوا لا كفر فوق هذا الكفر وصاروا به الي المامون فلما مثل بين
يديه قال له ما الذي قلتَ فقال لي حاجة الي امير المومنين ولم اصل اليه و
عرفت اني ان اقل هذا امُثّل بين يديه واعاد القول ثم اخذ يتاوّل فقال اما
قولي عندي ما ليس عند الله فعندي الظلم والجور واما قولي لي ما ليس لله فان
لي صاحبةً وولدًا وليس لله تعالي صاحبةٌ ولا ولدًا وقولي ومعي ما لم يخلق الله
القرآن والفتنة المال والولد والحق الموت والزرع بغير بذر شعر الراس و
السراج المضيء بلا نار العينان والحق الذي قالته اليهود والنصاري ما اشار
اليه تعالي بقوله وقالت اليهود ليست النصاري علي شي وقالت النصاري

ليست اليهود علي شي واما قولي وانا احمد النبي فالنبي منصوب علي المفعولية
باحمد واحمد فعل فانا احمد نبيّنا صلعم واشكره وانا ربّ كُمّ صاحب كُمّ
اَرفع الكمّ واَضعه فاستحسن المامون ذلك منه واصغي الي كلامه وقضي
حاجته قلتُ وهذا الاطلاق الذي اطلقه هذا الملغز مستهجن مستقبح
ولا يجوز عندي ذكره مطلقا لما فيه من ايهام الكفر ولكن بتقدير اطلاقه
لا ينبغي الاقدام على التكفير من غير تامل وتفحص ومنهم المدرّس وحق عليه
ان يحسن القاء الدرس ويفهمه للحاضرين ثم ان كانوا مبتدئين فلا يلقي
عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات بل يدرّزهم (اي يخفف عنهم) وياخذهم بالاهون فالاهون
الي ان ينتهوا الي درجة التحقيق وان كانوا منتهين فلا يلقي عليهم الواضحات
بل يدخلهم في مشكلات الفقه ويخوض بهم عُبابة (اي في موجه) الزاخر ومن اقبح المنكرات
مدرّس يحفظ سطرين ثلاثة من كتاب ويجلس يلقيها ثم ينهض فهذا ان
كان لا يقدر علي غير هذا القدر فهو غير صالح للتدريس ولا يحل له تناول
معلومه وقد عطّل الجهة لانه لا معلوم لها وينبغي ان لا يستحق الفقهاء
اقول وكذا طلبة ساير العلوم الجايزة الاشتغال بها شرعا قال المنزّلون
معلوما لان مدرستهم شاغرة (اي خالية) عن مدرس وان كان يقدر علي اكثر منه

لكنه يسهل ويتأول فهو ايضا قبيح فان هذا يطرق العوام الى روم هذه
المناصب فقل ان يوجد عامي لا يقدر على حفظ سطرين ولو ان اهل العلم
صانوه واعطى المدرس منهم التدريس حقه فجلس والقى جملة صالحة من
العلم وتكلم عليها كلام محقق عارف وسال وسيل واعترض واجاب واطال
واطاب بحيث اذا حضره احد العوام او المبتديين والمتوسطين فهم عن
نفسه القصور عن الاتيان بمثل ما اتى به وعرف ان العادة انه لا يكون مدرس
الا هكذا والشرع كذلك لم تطمح نفسه في هذه المرتبة ولم تطمع العوام
باخذ وظايف العلماء فاذا راينا العلماء يتوسعون في الدروس ولا يعطونها
حقها ويبطلون كثيرا من ايام العمالة واذا حضروا اقتصروا على مسيلة او
مسيلتين من غير تحقيق ولا تفهيم ثم رايناهم يقلقون من تسلط من لا يصلح
على المدارس ويعتبون الزمان واولياء الامور فالراي ان يقال لهم انتم
السبب في ذلك بما صنعتم فالجناية منكم عليكم ومن المهمات مدارس
وقفها واقفوها على الفقهاء والمتفقهة والمدرس من الشافعية او الحنفية
او المالكية او الحنابلة فيلقي المدرس في هذه المدرسة تفسيرا او حديثا او
نحوا او اصولا او غير ذلك اما القصوره عن الفقه او لغرض آخر وعندي

253

ان الذمة لا تبرأ في المدرسة الموقوفة على الفقهاء الا بالقاء الفقه فان كان
هذا المدرس لا يلقي الفقيه راسا فهو آكل حرام وكذلك نقول في مدرسة
التفسير اذا القى مدرسها غير تفسير ومدرسة النحو اذا القى مدرسها غير
نحو الاحوط في هذا كله الالقاء من الفن الذي بنيت له المدرسة فان
الواقف لو اراد غيره لسمى ذلك الفن وان كان يلقي الفقه مثلا في مدرسة
الفقهاء غالبا ولكنه ينوع في بعض الايام فيذكر تفسيرا او حديثا او غيره
من العلوم الشرعية لقصد التنويع على الطلبة وبعث عزايمهم فلا باس غير
ان الاحوط خلافه وهذا كله بشرط ان يكون المسمى بالمدرسة اهل نوع
خاص كما مثلناه في مدرسة وقفت على مدرس شافعي او حنفي مثلا وفقهاء
ومتفقهة من اهل ذلك المذهب وان لا يكون شرطا في الدرس معرفة غير
ذلك الفن فان شرط فيه فنون كما في مدارس كثيرة في ديار مصر وبلاد
الشام وغيرها يقفها الواقف على طايفة مذهب معين ويشترط في المدرس
ان يعرف مثلا من العلوم كذا وكذا كالتفسير والحديث وغيرهما وما هذا
شانه رأيي فيه ان ينوع المدرس فيذكر من تلك العلوم التي اشترط فيه
معرفتها فانه لولا ارادة ذكرها لما اشترطت فيه وكان يمكن ان يقال انما

اشترطت فيه ليكون اكمل في استعداده للاجوبة عن الاعتراضات التي
لعلها تعرض ولكن الاحوط ما ذكرناه ومنهم المعيد عليه قدر زايد على سماع
الدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الاعادة و
الا فهو والفقيه سواء فلا يكون قد شكر نعمة الله تعالي علي وظيفة الاعادة
ومنهم المفيد عليه ان يعتمد ما يحصل به في الدرس فايدة من بحث زايد
على بحث الجماعة ونحو ذلك والّا ضاع لفظ الافادة وخصوصيتها وكان
اخذه العوض في مقابلتها حراما ومنهم المنتهي عليه من البحث والمناظرة
فوق ما على من دونه فان هو سكت وتناول معلوم المنتهي لكونه في نفسه اعلم
من الحاضرين فلا يكون شكر نعمة الله حق شكرها ومنهم فقهاء المدرسة
اقول ولو قال طلبة العلم في المدرسة لعمّ وحسن وعليهم التفهيم على قدر
افهامهم والمواظبة الّا بعذر شرعي ومن اقبح ما يرتكبونه تحدّث بعضهم
في بعض في اثناء قراءة الجزء من الربعة فلا هم يقرؤن القران ولا هم
يسلمون من اللغو في الكلام فان انضم الي ذلك ان قراءة الجزء شرطه الواقف
عليهم وان حديثهم في الغيبة فقد جمعوا حرمات ومنهم من لا يصغي للمادح
وربما فتح كتابا ينظر فيه ولا يلتفت لما يقوله المدرس بل يجلس بعيدا عنه اي العظيم العزيز من العلماء

بحيث لا يسمعه وهذا لا يستحق شيا من المعلوم ولا يفيده ان يطالع
في كتاب وهو في الدرس فلو اكتفي الواقف منه بذلك لما شرط عليه الحضور
انتهي كلامه وبما نقلناه ظهر عدم ورود الاعتراض علينا باحوال علماء ديارنا
ونحوهم فانهم متصفون بالصفات التي ذمّها القاضي ابو نصر رح وبيّن
فضايحها وقبايحها في الدنيا والاخرة ثم انهم مستهلكون في طلب الدنيا
وفي اسباب تحصيلها باي امر امكن والعبد الفقير بخلافهم انشاء الله
تعالي لما يري ببصيرته قبح ذلك ومفاسده وبالله التوفيق ثمّ ههنا
دقيقة لا يستغني عن بيانها وهي ان الحافظ ابا بكر البيهقي رح روي
في مناقب الشافعي رض في باب رحلته الي مالك بن انس باسناده عن الربيع بن
سليمان عن الشافعي قال في حكاية ابتداء وصوله الي مالك تقدمت اليه
فقلت اصلحك الله اني رجل مطلبي من حالي وقصتي يعني كذا وكذا فلما ان سمع كلامي
نظر اليّ ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لي ما اسمك قلت محمد قال يا محمّد
اتق الله واجتنب المعاصي فانه سيكون لك شان من الشان وروي باسناده
عن ابي حاتم الحسن بن احمد الفقيه يقول قال مالك بن انس للشافعي ان الله
عز وجل قد القي على قلبك نورا فلا تطفيه بالمعصية انتهي وقد سبق فيما مضى

بيان اسوداد القلب وزوال نوره بالمعاصي وانت خبير مما بنهناك عليه
فيما سبق بان الامارة منبع المعاصي من حقوق العباد بل لا يمكن الانفصال
عن المعاصي من حقوق الله تعالى عليه كما سبق هو ايضا ويؤيده ما رواه البيهقي
في شعب الايمان على ما قال صاحب المشكات عن انس رض قال قال رسول الله صلعم
هل من احد يمشي على الماء الا ابتلت قدماه قالوا لا يا رسول الله قال كذلك
صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب فيجب على الانفصال والانقطاع عن امر
الامارة لئلا ينطفي نور مشكاة البصيرة بتراكم دخان نفس النفس الامارة
وسقوطه عليها فاكون من البهايم بل اضل في بيداء الدنيا الغدارة ثم لا
يتوجه ايضا الى الاعتراض بانا نعلم انه لا يتحقق منك ترك كل الذنوب و
الخروج عن جميع حقوق العباد بل الانسان لا يخلو عن كثير منها غالبا في
مجاري العادات كما قاله الغزالي وقد سبق نقل كلامه في الكلام على وجوب
التوبة من الصغاير فلا فايدة لك في ترك الامارة ووجه عدم التوجه
انا لا ادعي ذلك بل انما ادعي بترك الامارة تقليل الذنوب وتخفيفها
بتخفيف اسبابها ومفارقة اصحابها والخروج عن المظالم العظيمة التي الحاصلة
منها بدون الامارة في قدر عشرها بل اقل او ما يقاربه وقد نجي المخففون وهلك

المثقلون

المثقلون وان لم يتيسر ترك ولاية الامور مطلقا وترك كل الذنوب
لا يلزم السعي في تكبير الامارة وتكثير الولاية بل ولا ابقاء جملة ما حصل
منها ولا الانهماك في جميع الذنوب وان زعمت الجهلة الفسقة ان المتلبس
بولاية شي ينبغي له الاستمرار على الحاصلة منها بل السعي في تعميمها وتكبيرها
والمتلبس ببعض الذنوب لا وجه لامتناعه عن التلبس بكلها فان هذا الزعم
ظاهر البطلان بل هو سفسطة وجنون وللجنون فنون قال الامام الشيخ الشريف
تقي الدين ابو بكر الحصني في كتاب قمع النفوس والولاة طبقات وكل ذنوبه
على قدر ولايته وكلما كبرت وظيفة احدهم كان اكثر ذنوبا واشد عذابا و
اعلاهم في الظلم السلطان لان الناس كلهم تحت ولايته انتهى ولا يلزم
من اتباع هوى النفس في الشهوات المحرمة التي من حق الله تعالى اتباعها
فيما هو حقوق العباد بل لا شك ان حق العبد اصعب من حق الله تعالى
لان حق العبد لا يسقط بالتوبة بخلاف حق الله تعالى كما سبق مفصلا
بل الله تعالى يتجاوز عن حقه لمن يشاء بغير توبة ايضا فالخروج من حقوق
العباد اهم واقدم فقد قال الله تبارك وتعالى فاتقوا الله ما استطعتم
وقال نبيه صلعم اذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه

عند اهل الايمان

ما استطعتم اخرجه البخاري ومسلم عن رواية ابي هريرة رض والامر
بالائتمار بقدر الاستطاعة يرشد الي ان الامر بالانتهاء ايضا بقدر الاستطاعة
نعم منزل الآية ومورد الحديث ليس مثل حالنا لعدم صحة اعتذارنا بعدم
الاستطاعة علي اطاعة الله تعالى حقيقة اذ لا شك انا اقدر علي اكثر من
اطاعتنا لكن المراد به الاستشهاد لما ان من عدم التزام مالا (افعل تفضيل) استطاعة لنا
علي التزامه والاتيان به من الفعل والترك لصعوبة ذلك علي النفس بسبب
شدة كسلها عن الاعمال الواجبة وشدة تنفرها عن ترك المشتهيات المحرمة
الى حد يمنعها عن التزامه والاتيان به لايلزم عدم التزام مالا يصعب علي
النفس التزامه صعوبة ذلك فعلى هذا المراد بعدم الاستطاعة هو العرفي
المجازي لا الحقيقي وما ذكرناه معنى ما قد قيل من انه ما لا يدرك كله لا يترك
كله وروي ابن ماجه في سننه في باب الحزن والبكاء عن سعد بن ابي وقاص
رض قال قال رسول الله صلعم ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال زين الدين
العراقي في تخريج احاديث الاحياء اسناده جيد وعن انس رض عن النبي
صلعم قال ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا فان اهل النار يبكون
في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى ينقطع الدموع

فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا ازجيت فيها لجرت رواه
البغوي في شرح السنة فامر صلعم اولا بالبكاء فان لم يتيسر فبالتباكي
فانه متيسر علي انه روي الترمذي باسناده عن ابي هريرة رض عن النبي صلعم
قال انكم في زمان من ترك منكم عشر ما امر به هلك ثم ياتي عليكم زمان
من عمل منهم بعشر ما امر به نجي لكن قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه
الا من حديث نعيم بن حماد عن سفيان بن عيينة انتهي ومراده الاشارة الي
ضعف الحديث من جهة نعيم فان من العلماء من يضعفه لكن يكفينا ان
البخاري اخرج عنه في صحيحه في موضع او موضعين ومسلما اخرج عنه
في موضع واحد واصحاب السنن سوي النسائي اخرجوا عنه كذا قال ابن
حجر في مقدمة شرح البخاري ويؤيد معنى الحديث المذكور ما رواه مسلم
عن معقل بن يسار رض قال قال رسول الله صلعم العبادة في الهرج كهجرة
اليّ وما رواه مسلم ايضا عن ابي هريرة رض قال ان رسول الله صلعم قال
ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبي للغرباء فان هذين
الحديثين يشعران بان الاسلام والعبادة في زمان الفتن وفتور الاسلام
وقلته في الناس له اجر عظيم مما في زمان الرفاهية ووفور الاسلام وذلك

لمشقة المحافظة على العمل الصالح في زمان الفتن وروي البيهقي عن ابي
هريرة رض قال قال رسول الله صلعم من تمسك بسنتي عند فساد امتي فله
اجر ماية شهيد فيلزم ان يكون للمعاملة القليلة حينئذ ربح عظيم يتجاوز
بسببها عن كثير مما يقع الانسان فيه من الذنوب والله علام الغيوب
وبالجملة فيلزمنا التدارك والسعي في ترك ساير الذنوب والله ولي التوفيق
والهداية الي المطلوب واذا انتهي الكلام الي هذا المقام في دعوة
النفس الطالحة الى الاعمال الصالحة واحترق اللسان بلهب الجنان
فليعذر العقلاء بعجيب حالنا وان كانوا اغفلاء عن تمام بالنا اذ لو وقفوا
لانصفوا قال النبي صلعم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا
رواه البخاري عن رواية انس رض ولكن الناس اعداء ما غفلوا عنه فبواسطة
غفلتهم عن حالنا يغمضون عنا عين الرضا ويلحظوننا بعين الغضب مع
صحة ما قيل بيت وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط
تبدي المساويا وعلي الله فليتوكل المتوكلون وعليه توكلت وهو حسبي
ونعم الوكيل ونعم المناسب لهذا المقام انشاد شعر قاله بابا سلطان رح
جانا جفا قل يا وفا سندن هم اولخوش هم بوخوش

يا درد اولا يا خود دوا سندن هم اولخوش هم بوخوش
خوشدر بكا سندن كلن كرتازه كل يا خود دكن
كر خلعت ويا خود كفن سندن هم اولخوش هم بوخوش
حالومي بردم صوره كل ديلارسك بغروي دل
اي قهري ولطفي كوزل سندن هم اولخوش هم بوخوش
كر باغ يا بستانسه يا وصل يا هجرانسه
يا بند يا زندانسه سندن هم اولخوش هم بوخوش
كر نوشدر كر نيشدر كر مرهم وكر ريشدر
سلطان بوكن درويشدر سندن هم اولخوش هم بوخوش
ولكن الله سبحانه وتعالي لما اجرى عادته بربط المسببات بالاسباب
فلم يجز لنا الاستنكاف في دخول الدار من عبور الباب فلا جرم لزم
المراجعة في طلب المقصود الكلي وكل المراد الي لطف سلطان الكرم وكرم
السلطان بن السلطان بن مراد فانه ظل الله في ارضه واغاثة الملهوف
من فرضه بل هو سلطان سلاطين الممالك في كل ناحية وقد يستغني
عن الاطناب في اثنيته بكلمات كافية وهو قولنا بيت

وانك بين الملوك ذوي السعادة • بالقدر العلي كشمس القلادة
فيقول عبدكم الفقير الصادق • مع انه بمزيد لطفكم واثق • المتضرع عندكم
والمتوقع من لديكم • بالاقسام عليكم • بالله العظيم • وكتابه القديم • ورسوله
الكريم • ان تخلصوني من هذه النيابة والولاية • وارتكاب المظالم بسببها
بلانهاية • وان تجعلوني من خدامكم المتفرقة او من سلك اهل العلم كساير
علماء مملكتكم وقد وصلت في العلم والالتذاذ به الى حد لا يمكنني تركه
والاشتغال بمصالح الامارة بل بباقي امور الدنيا مما يشتغل به امثالنا ايضا
بل وان امكنني الاشتغال تلك المصالح لكن لاشك في صحة ما جري في المثل
من عدم وسع ابط واحد لبطيخين وكذا لاشك في ان الاشتغال بما ينفع
في الاخرة اولي ولذا قال الله تعالى لنبيه وللاخرة خير لك من الاولي وروي
احمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان علي ما ذكره صاحب المشكاة
عن ابي موسي الاشعري رض قال قال رسول الله صلعم من احب دنياه اضر
باخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقي علي ما يفني وصححه ابن
حبان في النوع السادس والستين من القسم الثالث من اقسام السنن
وفي تحقيق هذا المعني استقصي الغزالي رح في الاحياء سبق ايراده فليتذكر

258

وساير وجوه وجوب ترك الامارة علي شرعا وعقلا عرضت علي حضرتكم
مفصلة ولم يبق شي منها في الكون والمامول ايضا ان تعطوني وترسلوا الي
كل سنة من النقد مقدار ما يكفيني ويكفي من يبقي عندي من اتباعي ولواحقي
بعد التخلص من الظلمة والاشراء وان يكون النقد من خراج الكفرة وقد
خمنت ما يكفيني فظهر الاكتفاء بما وقع لي ابتداء بخمسة عشر مائة الف
درهم فلا تزيدوا عليها بلطفكم الجسيم ولا تنقصوا منها بكرمكم العميم
وان تعلق نظر عنايتكم بالفقير فالمتوقع ان يكون المبلغ المذكور بعضها
من خراج صاقز فاني سمعت انه ستماية الف وليس في وصوله الينا مزيد
كلفة والبقية من خراج اهل الذمة التي في ديار الروم وراء بحر القسطنطنية
ولا اريد التصرف في البلاد سوي قضاء انطالية وقضاء المالي والمرجو
ايضا ان تعطوا بقية ديار تكه ولواءها الوزيري ومروه بان يشتغل بمصالحي
الدنيوية وانا اقعد مع الفراغ من المظالم ومن الاشتغال بمصالح الناس
مشغولا بالعلم وما يتيسر لي من العمل وقد ابتدات ببعض الكتب ولم يتيسر
اتمامها بسبب الاشتغال بمصالح الدنيا والامارة فلا تضيعوا بقية عمري
ان قدرت في البواطل لله تعالي ولرسوله صلعم بل اعتقوني في سبيل الله سبحانه

عن عبودية ولاية الامارة سوي مواضع القضاء بن ليحصل لكم ما ثبت
في الاخبار النبوية صلعم منها حديث ابي هريرة رض قال قال رسول الله
صلعم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار
حتى فرجه بفرجه رواه البخاري ومسلم ومنها حديث واثلة بن الاسقع
رض قال اتينا رسول الله صلعم في صاحب لنا اوجب يعني النار بالقتل
فقال اعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار رواه ابو
داود وعن عمرو بن عبسه رض ان النبي صلعم قال من بني مسجدا ليذكر
الله فيه بني له بيت في الجنة ومن اعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم
ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة رواه البغوي في
شرح السنة ثم اني قد بينت فيما مضى مفاسد تحصيل الاولاد لمثلي ومنع الملوك
بعض اولادهم الطالب لترك الامارة وما يترتب عليه من المفاسد المذكورة
هناك من ترك ذلك الولد الامارة اشد ذنبا واعظم اثما من التسبب
مفعول به غير صريح — خبر
لحصول الاولاد اذ ربما يخرج ذلك الولد عن عهدة ما وجب عليه من الجد
في طلب الترك وتحصيله الي حد يستفرغ وسعه ويتوجه حينئذ جميع الاثام
مع اثم منعه ايضا الي الوالد ويبقي عليه اذ يجب عليه البتة تحصيل ذلك

المراد لولده على الفور درءا للمفاسد وجلبا للمنافع واطالة الخصومة مع
ولده في ذلك منكر عظيم فقد روي البخاري ومسلم عن عايشة رض قالت
قال رسول الله صلعم ابغض الرجال الى الله الالد الخصم اسال الله تعالي
ان يعصم والدي عن الامتناع من تحصيل مرادي واطالة الخصومة
مع ولده وعبده الضعيف بلطفه تعالي العميم وكرمه الجسيم على انه
لا يجوز للولد ان ينزجر عن ذلك بزجر الوالد فقد روي البخاري و
مسلم عن عبد الله بن عمر رض عن النبي صلعم قال السمع والطاعة علي المرء
المسلم فيما احب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة
ورويا ايضا عن علي رض قال قال رسول الله صلعم لا طاعة في معصية انما
الطاعة في المعروف واما قوله تعالي اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي
الامر منكم فاقول هو حجة لنا لا للجهلاء الذين نسمع منهم في بعض الاوقات
التمسك به لما يزعمون من وجوب الطاعة اولي الامر مطلقا شرعا وذلك اذ
حيث لا يجتمع فيه الطاعة اولي الامر مع الطاعة الله تعالى ورسوله فلا شك
ولا خفاء في وجوب تقديم مراعاة الطاعة الله تعالي ورسوله صلعم اذ
لا يخلو اما ان يجمع بين الاطاعتين وهو محال لانه جمع بين النقيضين

او تتركا وهو محال ايضا لانه رفع للنقيضين او يقدّم اطاعة اولي
الامر فيلزم تقديم ما ثبت وجوبه بامره تعالي علي اطاعة الآمر سبحانه
وفيه تقديم المحكوم العاجز الضعيف المبين علي الحاكم القادر القوي
المتين ولا يخفي بطلانه عقلا وشرعا بل ان قيل به يلزم الكفر بلا شك
وخفاء ولا يلزمنا الاعتراض بعدم اجتنابنا عن ارتكاب بعض الذنوب
النفسانية من حق الله تعالي ومن حقوق الخدّام وغيرهم التي لا يخلو عنه
الناس غالبا او ما يقرب منها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله وقد مضي
مزيد تفصيل في ذلك وقد سبق حديث ابي ذرّ رض قال قلت يا رسول
الله الا تستعملني قال فضرب بيده علي منكبي ثم قال يا ابا ذرّ انّك ضعيف
وانها امانة وانها يوم القيامة خزي وندامة الا من اخذها بحقها وادي
الذي عليه فيها وفي رواية قال له يا ابا ذرّ انّي اراك ضعيفا واني احبّ
لك ما احبّ لنفسي لا تامرنّ علي اثنين ولا تولّينّ علي مال يتيم رواه مسلم
ولا يخفي اني اضعف من ابي ذرّ رض فلا اقدر علي الابتلاء ببلاء الامارة
حالا ومستقبلا واسال الله تعالي ان يعطي بلطفه وكرمه لوالدي شفقة
النبي صلعم علي ابي ذرّ رض عليّ فلا يحمل عليّ ما لا طاقة لي علي الابتلاء به من

امر الامارة عن ابن عمر رض قال كنّا اذا بايعنا رسول الله صلعم يقول لنا فيما
استطعتم رواه البخاري ومسلم ولا يسع المومن الا اتباع رسول الله صلعم
قال الله تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا وجه
قطعا الان يحمّل والدي علي الامارة حالا ومستقبلا مع عدم استطاعتي
اياها ولا يكلّف الله نفسا الّا وسعها ووالدي عبد من عبيده وذليل
عند سلطانه اعزّه الله في الدارين باحسانه علي انّي لست اول من انشاء
هذا المعني واحدث هذه الحادثة اعني ترك الامارة فقد عرضنا عليكم
حكايات في الباب فان قيل هذا في قديم الازمان ولم يقع في بني عثمان
فالجواب بل وقع فان السلطان مراد بن محمد خان رحمهما الله تعالي
ترك السلطنة وانما ابقي في تصرّفه مواضع يسيرة بالنسبة الي المملكة
غاية ما في الباب انه لم يستمر علي ذلك الحال بسبب اغواء شياطين الانس
والجن ومقصودي ايضا تخفيف شواغلي وتقليل علايقي لا الانفصال
والانقطاع عنها بالكلية الآن كما عرضت ذلك عليكم بخلاف ما جري
للرجال السابقة حكاياتهم نسال الله تعالي التوفيق والهداية اليه ايضا
بلطفه العميم وكرمه الجسيم لا يقال القياس علي السلطان مراد رح قياس

مع الفارق فان السلطان المذكور انما ترك السلطنة غضبا على بعض
امرائه حيث لم يساعدوه في غزاء وقرب من الهلاك في ايدي المشركين
ولان السلطنة يلزمها الاشتغال بمصالح الناس وتدبير المملكة وهو
مانع من الاستغراق في العيش والصفاء واعطاء مراداته على مايشاء على
ان في الاشتغال بتينك مشقة عظيمة ومؤنة كثيرة يصعب صعوبة
شديدة على النفس التزامه لانا نقول ان هذا الفرق غير مبطل للقياس
المذكور بل هو قياس جلي والحكم في الفرع اقوي كيف واذا جاز ترك
الامارة لتحصيل مرادات النفس الامارة فان يجوز تركها ليتوسل به
الي تحصيل رضاء الرحمان الستار بصرف بقية العمر في العلم والعمل بقدر
التيسر والاقتدار ولخوف عذاب الاخرة وشدة اهوال يوم القيامة قدام
الملك الجبار بسبب ما ارتكبه من الظلم شرعا لنفسه ولغيره وخصوصا له
فيما مضي من الازمان والاعصار والملك جل جلاله يقول لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار اولي واظهر بل هذا واجب لا محالة ولا محيد
عن وجوبه على كل حال كما استقصيت في بيان ادلته وان سلم ان ترك
الامارة لم يقع فيهم لكن رعاية مقتضى شرع الله تعالى ورسوله صلعم

اولي واقدم من رعاية مقتضى عادة الملوك وعرف السلاطين
كما لا يقدر على انكاره كل ذي دين ولاسيما المراد بمقتضى الشرع
ترك الامارة الوسيلة الى ترك المظالم على ما بيناه وان خولف في
ذلك وركب باب الامتناع وعرج على معراج النزاع فليتدبر شكاية
المظلوم العاجز قدام الملك الجبار يوما لا يجزي نفس عن نفس شيئا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ثم ان كان
سبب الامتناع عن تحصيل هذا المراد اغواء بعض الاعوان الغلاظ
الشداد فالواجب الاعراض عنهم والرجوع الي اتباع رسول الله صلعم
والله تعالي قال له خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين والعرف
هو المعروف ولا شك لاحد ان امري معروف غير منكر في الشرع
وبالله التوفيق ثم لا يزعم ان طلب هذا المقصود عرض لي في زمان
قريب فيمكن الرجوع عنه بل مضى عشرون سنة وانا في هذا الطلب
لكني لم اقدر على اظهاره والاقدام عليه الى هذا الزمان لما كان يعوقني
عنه النفس الامارة بمعاونة شياطين الانس والجن بسبب حداثة
سني وغلبة التماجن على نفسي وقلة علمي بالمنجيات وكثرة غفلتي عن

المهلكات وعدم ممارستي للعلوم ولاسيما النافعة في الآخرة وما
يتعلق بها فلم اقدر على تدارك حالي بدفع وساوس شياطين الانس
والجن وترويجهم الزخارف قدام النفس وعلى منع النفس عما كانت
منهمكة فيه واما الآن فالحمد لله والمنة قد اعيت النفس في طريق
الضلال وتطرق الى اسباب البغي الكلال اذ وصلت الى سن الاعتدال
وحصلت كثيرا من الكمال بلطف الله ذي الجلال والجمال فلا جرم
تيسر لي فتح الكلام في هذا المقام والجد والاقدام في طلب المرام وقد
حسنت التدبير واسال الله التيسير وليعلم سلطان الكرم ان معظم
الكرم في تعويض هذه الرسالة ان ظهر اللطف والكرم في تعويضها
ان يحصل مرادي والا فلا يمكن قبول الجايزة اذ لا يجوز مقابلة كلام
الله تعالى وتعظم وكلام رسوله صلعم وكلام الاولياء والعلماء بالدنيا
التي هي جيفة وطالبوها كلاب كما يروي هذا المعنى عن النبي صلعم وانما
اجرأني على هذه التغليظات وغيرها في هذه الرسالة الحال المزعج للخزان
والقلب المضطرب الكباب من جهة ما ذكرته في بيان الاسباب الموجبة
لتركي الامارة وعن ابن عباس رض قال كنت خلف رسول الله صلعم

يوما فقال يا غلام اني علمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله
تجده تجاهك اذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله
واعلم ان الامة لو اجتمعت علي ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ
قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ
كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح ولاختم الكتاب بدعاء نافع في دفع
الاحوال المملة المزعجة اوتي به الشافعي رض في منامه فاقول اللهم
اني لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا
استطيع ان آخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم
فوفقني لما تحب وتختار من القول والعمل في عافية واللهم صل على
محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد وازواجه وذريته
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل
محمد وازواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وسلم تسليما كثيرا وعلى ساير الانبياء والمرسلين
وآل كل واصحابهم اجمعين وعلى ساير الاولياء والصالحين واغفر

لي ولوالدي ولجميع المومنين والمومنات والمسلمين والمسلمات
برحمتك يا ارحم الراحمين

تم